المركز القومى للترجمة



حكايات حول المدفأة

الجزء الثانى

تأليف : أنطونيو رودريجيث ألمودوبار

ترجمة : عزة خليل كلفت

2903

حقّق جامعو التراث الشعبى ثروة هائلة من الحكايات الشعبية المستمدة من بيئات ثقافية أخرى - مثل تلك التى جمعها الأخوان جريم فى ذلك الزمن، أو، بدرجة أقل، پيرّو أو أندرسون- كثيرا ما تسببت فى إهمال التراث الرائع للحكايات التى تنتمى لتراث بلدنا. وقد جمع أنطونيو رودريجيث ألمودوبار فى كتابه "حكايات حول المدفأة" مجموعة مهمة من الحكايات الشعبية الإسپانية. ويضمّ هذا الجزء الثانى حكايات العادات (ومنها مجموعة أطفال فى خطر، التى تضمّ حكاية "حمُّص الصغير" وحكاية "بيت النوجة"؛ وكذلك مجموعات صعاليك، وفقراء وأغنياء، والحمقى، ونساء مشاكسات، وحكايات الرعب)، كما يضم حكايات الحيوانات وأبطالها الذئاب والثعالب وكائنات أخرى كثيرة.

حكايات حول المدفأة

(الجزء الثانى)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2903
- حكايات حول المدفأة (الجزء الثانى)
- أنطونيو رودريجيث ألمودوبار
- عزة كلفت
- الطبعة الأولى 2016

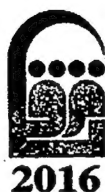
هذه ترجمة كتاب:
Cuentos al amor de la lumber, 2
Por: Antonio Rodríguez Almodóvar

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

حكايات حول المدفأة

(الجزء الثانى)

تـأليـف: أنطونيو رودريجيث ألمودوبار
ترجمـة: عزة خليل كلفت



2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ألموبيار؛ أنطونيو رودريجيث (١٩٤١)
حكايات حول المدفأة ج٢؛ تأليف: أنطونيو رودريجيث ألموبيار؛
ترجمة: عزة خليل كلفت
ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٦
٣٤٨ ص؛ ٢٠ سم
١ - القصص الإسبانية
(أ) كلفت، عزة خليل
(ب) العنوان ٨٦٣

رقم الإيداع ٢٠١٦/١٩٢٨٥
الترقيم الدولى I.S.B.N.978-977-92-0795-7
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتـــويات

حكايات العادات

حكايات الحيوانات

حكايات العادات

(١) أطفال فى خطر

١- حُمّص الصغير

كان يا ما كان، كان هناك زوجان ليس لديهما أطفال، وكانا يتمنيان دائما أن يرزقهما الرب بطفل، حتى لو كان فى حجم حبة الحمص. طلبا هذا كثيرا، حتى رُزقا أخيرا بطفل، لكنه كان صغيرا جدا مثل حبة الحمص. لهذا سمّياه حمص الصغير.

بعد ساعة من ولادته قال لأمه:

- ماما، أريد خبزا.

وأعطته أمه خبزا. أكله حمص الصغير فى لمح البصر. وطلب خبزا مرة أخرى، وأعطته أمه مرة أخرى، ثم أخرى وأخرى. هكذا أخذ حمص الصغير يأكل حتى انتبه إلى أنه أكل تسعين رغيفا، واحدا تلو الآخر.

بعد قليل، قال لأمه:

- جهزى لى حمارة وسلة طعام أبى، فأنا سآخذها له فى الحقل.

- ولكن كيف ستفعل هذا وأنت صغير هكذا؟

- أعديِّها لى حضرتك وسترين كيف سأحملها.

وبالفعل جهزت الأم له الحمارة وسلة الطعام، التى وضعتها فى خُرج الدابة. وبقفزة واحدة، صعد حمص إلى داخل السلة، وأخذ يجرى على رقبة الحمارة، حتى وصل إلى إحدى أذنيها، ودخل فيها.

– شي يا حمارة! حا يا حمارة!

وهكذا ظل يقول للحمارة التي كانت تطيعه. في منتصف الطريق، قابلا بعض الغجر، الذين عندما رأوا حمارة تمشي وحدها قالوا:

– أووه، حمارة وحيدة! هيا نأخذها.

لكن حمص الصغير قال:

– اتركوا الحمارة، فهي ليست وحدها، اتركوا الحمارة، فهي ليست وحدها.

عندما سمع الغجر هذا، خرجوا يركضون مفزوعين، معتقدين أن الحمارة كانت مسحورة.

عندما وصل إلى حيث كان أبوه، قال حمص الصغير:

– يسس يا حمارة!

وقفت الحمارة، ولم يستطع الأب أن يخرج من ذهوله.

– أخرجني يا بابا، فأنا أتيت في أذن الحمارة وأحضر لك سلة الطعام.

وهكذا فعل الأب مندهشا جدا، وعندما كان حمص الصغير على الأرض، خرج وقال له:

– بابا، بينما تأكل أنت، يمكنني أن أذهب أنا لأحفر لك بعض الشقوق.

– لا يا بني، فأنت صغير جدا على العمل.

– لا يا أبي، سترى كيف سأحفرها، وبقفزة صعد على النِّير وأخذ يسوق الثورين: امشي، يا بينتو، هيا هيا يا ماكارينو!

بدأ الثوران يتحركان وفي وقت قصير كانا قد انتهيا من حرث الأرض. ثم أخذ حمص الصغير الثورين إلى الحظيرة، وذهب هو ليستريح في معلف بينتو.

لكنا بينتو أكلت حمص الصغير دون أن تنتبه، وعندما بدأ أبوه يبحث عنه، ولم يجده، أخذ ينادي عليه:

- حمص الصغير! أين أنت؟

وأجابه حمص الصغير:

- أنا فى بطن پينتو يا بابا! اقتله، وسأعطيك خمسة وعشرين غيره!

وفى الحال قام الأب بقتل الثور پينتو، وفتح بطنه وأخذ يبحث بين أحشاء الثور، لكنه لم يجد حمص الصغير بأى شكل. فى هذه الليلة، جاء الذئب، وأكل أحشاء الثور، ومعها حمص الصغير.

كان الذئب يمشى فى الجبل عندما قال حمص الصغير:

- أيها الرعاة، أيها الرعاة، الذئب هنا! أيها الرعاة، أيها الرعاة، الذئب هنا!

خرج كل الرعاة من أكواخهم، وضربوه معا وقتلوه.

- احذروا، لا تصيبونى؛ احذروا، لا تصيبونى!

بحث الرعاة فى كل الأحشاء، لكنهم لم يجدوا أىّ شىء، لم يجدوه.

قام أحد الرعاة بعمل طبلة من الأحشاء، بحيث ظل حمص الصغير داخل الطبلة.

فى هذه الأثناء، جاء بعض اللصوص، وخرج الرعاة يركضون، تاركين الطبلة هناك.

جلس اللصوص تحت شجرة، وبدءوا فى توزيع الغنيمة؛ كانوا قد سرقوا قطعًا ذهبية كثيرة. وقال زعيمهم:

- هذه الجرة لك، وهذه لك، وهذه لى.

وقال حمص الصغير من داخل الطبلة:

- وماذا عنى أنا؟

- ماذا! من قال هذا؟ هل أحدكم غير موافق؟

أخذ الباقى ينظرون إلى بعضهم بعضًا. وأكمل الزعيم قائلا:

- هذا الكوب لك، وهذا لك، وهذا لى.

وقال حمص الصغير:

– أليس هناك أيّ شيء لي؟

– ماذا؟ صاح زعيم اللصوص، من قال هذا؟

لم يقل الباقون شيئا، وبدأ حمص الصغير يدق على الطبلة. أما اللصوص، الذين رأوا الطبلة تطبل وحدها، فقد أخذوا يركضون بأقصى سرعة، تاركين هناك كل الأشياء التى سرقوها.

أخذ حمص الصغير يخدش الطبلة بظفره، حتى قام بعمل حفرة صغيرة واستطاع أن يخرج. أخذ غنيمة اللصوص وذهب إلى بيته. فرح أبواه كثيرا لرؤيته، وأيضا بكل الأشياء الثمينة التى أحضرها. قال حمص الصغير لأبيه:

– طلبت منك أن تقتل بينتو، لأننى سأعطيك خمسة وعشرين.

إذن، أصبحوا سعداء جدا، حتى جاء اللصوص إلى القرية ذات يوم. كان أحدهم عطشان جدا، واقترب من بيت حمص الصغير ليطلب ماء.

فتحت الأم الباب وأعطت اللص ليشرب فى أول شيء وقع فى يدها، وكان أحد الأكواب المسروقة، وبمجرد أن رآه اللص، شده وقال:

– سيدتى، هذا الكوب ملكى، من أعطاه لكِ؟

خافت الأم وأغلقت الباب. عندئذ ذهب اللص ليحكى لشركائه:

– الآن أعرف أين توجد ثروتنا. سنسرقها الليلة مرة أخرى.

أما حمص الصغير، فلم يغمض له جفن، بعد ما حكته له أمه.

– اتركوا النور مضاء، احتياطيا.

ظل حمص الصغير إلى جانب المدخنة، وجهز كومة من نبات الرتم ووضع غلاية السمك على حاملها المعدنى. فى منتصف الليل، شعر كما لو كان اللصوص يتكلمون بصوت منخفض على السطح، وطلّ الزعيم من داخل المدخنة، وقال:

– سندخل من هنا . اربطوا لى الحبل فى وسطى، فأنا سأنزل.

فى هذه اللحظة، أضاء حمص الصغير النور، وألقى مرة واحدة كل نبات الرتم، ونفخ بمنتهى القوة، وبدأ السمك يغلى. أخذ زعيم اللصوص يصرخ:

– إلى فوق، فأنا أحترق! إلى فوق، فأنا أحترق!

ولكن لم يكفِ الوقت لإخراجه، وسقط مباشرة فى غلاية السمك، وحُشِر فى الداخل وأصبح مقليا، وخرج اللصوص ركضا ولم يرهم أحد فى هذه الأنحاء مرة أخرى. توتة توتة، ومن لا يرفع مؤخرته ستحترق هى أيضا.

٢- الكيس الذى يُغَنِّى

كانت هناك فتاة فى منتهى الجمال، أهدتها أمها، فى يوم قديسها الشفيع، خاتما ذهبيا. فى الحقيقة، كان مقاس الخاتم أكبر منها قليلا، لكن الفتاة كانت سعيدة جدا به، حتى إنها كانت تأخذه معها فى كل مكان تذهب إليه. ذات يوم، أرسلتها أمها إلى النبع لتملأ إبريق ماء. عندما وصلت، خلعت الفتاة الخاتم، حتى لا يسقط منها فى الماء، ووضعته فوق صخرة. لكنها انتهت من شطف وملء الإبريق، وأخذته ومشت، ولم تتذكر الخاتم حتى وصلت إلى البيت.

عندئذ خرجت من البيت تجرى بحثا عنه، ولكنْ عندما وصلت إلى النبع، كان الخاتم لم يعد فوق الصخرة ولا فى أى مكان. ومهما بحثت وأعادت البحث، لم تجده. وبدلا منه، كان هناك متسول عجوز، يجلس على ضفة النبع. قال لها العجوز:

- عمَّ تبحثين أيتها الفتاة الجميلة؟

بدأت الفتاة تبكى وأجابت:

- أبحث عن خاتم ذهبى، تركته هنا منذ لحظة، فوق هذه الصخرة، وهو ليس موجودا الآن. وإذا لم أجده، ستضربنى أمى كثيرا.

- لا تقلقى بشأن هذا، يا بنيتى - قال العجوز - هيا، ضعى يدك فى الكيس الجلدى وخذيه أنت بنفسك، فأنا وضعته هنا منذ لحظة.

وضعت الفتاة يدها فى الكيس، وفى هذه اللحظة، دفعها ووضعها بالداخل. ثم ربط فم الكيس بالحبل، وحمله على كتفه.

أخذت الفتاة تئن وتتوسل إليه أن يخرجها من هناك وقال لها العجوز:

- إذا أردتِ أن تخرجى من هنا، عليكِ أن تغنّى كلما أقول لكِ:

غَنِّ أيها الكيس، غَنِّ، وإذا لم تُغَنِّ، سأضربك بالعصا.

وهكذا أخذ يتجول بها فى القرى ليكسب عيشه. وفى كل مكان كان يذهب إليه، كان، بدلا من أن يطلب حسنة، كان يضع الكيس فى وسط الشارع ويقول له: "غَنِّ أيها الكيس، غَنِّ، وإذا لم تُغَنِّ، سأضربك بالعصا". وعندئذ تبدأ الفتاة بالغناء:

أنا محبوسة فى كيس،

أنا سأموت فى كيس،

من أجل خاتمٍ ذهبىّ،

تركتُه عند النبع.

أعطى الناس نقودا كثيرة للعجوز، لأنهم ظنوا أن الكيس كان مسحورا. كان العجوز يجمع النقود، ويلقى الكيس على ظهره مرة أخرى ويذهب إلى قرية أخرى. وكان يفعل نفس الشىء هناك وفى كل مكان، حتى جمع نقودا كثيرة. "الآن سأمتع نفسي"، قال لنفسه، وذهب إلى فندق وطلب عشاء. وعندما امتلأ تماما من كل ما اشتهى، وضع الكيس فى منتصف طاولة الطعام ليدفع الحساب وقال له:

غَنِّ أيها الكيس، غَنِّ، وإذا لم تُغَنِّ، سأضربك بالعصا.

وغنت الفتاة مرة أخرى:

أنا محبوسة فى كيس،

أنا سأموت فى كيس،

من أجل خاتمٍ ذهبىّ،

تركتُه عند النبع.

ولكن ولأنها كانت تغنِّى وهى تبكى، كان على صاحبة الفندق أن تفكر فى الأمر. سأل العجوز عن مكان الحانة، وسأل ما إذا كان يمكنه أن يترك الكيس هناك، بينما يقوم بجولة. بمجرد أن رحل، فتحت صاحبة الفندق الكيس وأخرجت من داخله تلك الفتاة الفاتنة، وكانت المسكينة ميتة من الجوع والبرد. اعتنوا بها فى الحال وخبأوها. وبدلا منها، وضعوا فى الكيس، كل الكائنات التى وجدوها هناك: ضفادع، وفئران، وحيات، وأفاعٍ، وسحالٍ، وأسوأ ما كان موجودا.

فى الصباح، أراد العجوز دفع إيجار السرير بأن يجعل الكيس يغنِّى مرة أخرى. وضعه فى منتصف الفناء، لكنْ، مهما قال له: "غَنِّ، أيها الكيس، غَنِّ، وإذا لم تُغَنِّ سأضربك بالعصا"، لم ينطق بكلمة. وهكذا كان عليه أن يدفع نقودا، لكنه احتفظ به. ولكى لا يفتح الكيس أمام الناس، حمله إلى الجبل. وهناك أخذ يضربه بالعصا، ويضربه بالعصا، ويسبه بشتائم. لكن، بالطبع، الشىء الوحيد الذى حصل عليه هو أنه أغضب كل الكائنات الموجودة بالداخل. بحيث إنه عندما فتح الكيس، قفزت على وجهه وأخذت تعضه وتقرصه فى كل مكان، حتى قتلته. أما الفتاة، فقد أخذوها إلى والديْها وكانت سعيدة جدا، وانتهت هذه الحكاية بالخبز والفلفل والفجل المشوى.

٣- بيت النُّوجَة

كان يا مكان، كانت هناك عائلة فقيرة جدا، وكانت تعيش فى بيت وسط الحقل. وكان لديهما طفلان: واحد اسمه بيريكين والأخرى بيريكينا.

ذات يوم، ذهب بيريكين وبيريكينا لإحضار عشب للأرانب. ولأن أقرب قرية كانت على بعد عشرين فرسخا على الأقل، أخذا قيلولة قصيرة. لكن بدأت فجأة عاصفة كبيرة جدا، كبيرة جدا، وكان على الطفلين أن يبحثا عن مكان يمكنهما أخذه كمأوى لهما. وعندما توقف المطر كان الليل قد حل وضل الطفلان طريقهما ولم يعرفا أين يذهبان. وبدآ يسمعان الذئاب: أعووو، أعووو، أعووو...! أخذت بيريكينا تبكى وقال لها بيريكين:

– لا تبكى، يا أختى الصغيرة، سترين كيف سنجد بيتنا سريعا.

وواصلا المشى، وأخذا يمشيان، ويمشيان، حتى وصلا إلى بيت صغير.

– جميل أننا وجدنا هذا البيت، فقد تورمت مفاصلى. هل هذا بسبب الجوع أم ماذا، فأنا أرى أن هذا البيت الصغير من النوجة والنوافذ من الكراميل.

ولأنهما كانا جائعين مثل كلب رجل أعمى، رمى بيريكين حجرا على الحائط وبوم!، قفزت قطعة من النوجة. أكلها الطفلان فى الحال. حجر آخر وبوم!، قطعة أخرى من النوجة. واستمرا هكذا لفترة. حتى اشتهيا أن يجربا الكراميل. رميا حجرا على نافذة وكسرا زجاجا. عندئذ فُتح الباب وخرجت امرأة عجوز عكرة المزاج، تقول:

– مَنْ؟ مَنْ؟ مَنْ الذى يأكل سكر ولوز حائطى؟

وعندما رأت الطفلين، اللذين كانا ميتين من الرعب، قالت لهما:

– أوه، يا لكما من طفلين فى منتهى الجمال! ادخلا، يا أطفالى، فأنا سأطعمكما.

وبمجرد أن دخلا، أخذت العجوز خطوة باتجاه الباب وأمسكت پيريكين ووضعته فى قفص، وهى تقول له:

– عندما تصبح أسمن قليلا، سآكلك مع البطاطس المقلية!

وقالت لپيريكينا:

– وأنتِ ستكونين مسئولة عن الأعمــال المنزلية. إذن أنتِ تعرفين ما عليكِ فعله. هيا اذهبى لإحضار الحطب!

وهكذا عاش الطفلان وقتا طويلا مع تلك العجوز، بينما كان الوالدان يموتان من الحزن. وكل يوم، كانت العجوز تذهب لتمسك معصمىْ پيريكين. ولكنْ لأنها كانت نصف عمياء وپيريكين يعرف كل شىء. كان يعطيها عظمة دجاجة وكانت العجوز تقول:

– ياه، أنت لا تزال ضئيلا جدا! يجب أن أنتظر بضعة أيام.

ومر يوم ويوم آخر، وتعبت الطفلة من العمل: كانت تذهب لإحضار الحطب، وكانت تنظف البيت، وكانت تطهو وتفعل كل شىء. ذات يوم، قالت العجوز:

– آه، لن يمر اليوم عليه! سآكل هذا الطفل اليوم، وقالت لپيريكينا: هيا، جهزى الفرن، فأنا سآكل أخاكِ الصغير.

بدأت پيريكينا تضع حطبا، حطبا كثيرا جدا، وقالت للعجوز:

– انظرى حضرتك، أنا لا أفهم هذا الفرن.

– آى، يا لكِ من فتاة حمقاء! أنا آتية، أنا آتية.

ذهبت العجوز، ولأنها لم تكن ترى جيدا، اقتربت من فم الفرن لترى ماذا يحدث، وفى هذه اللحظة، دفعتها الفتاة وتركتها هناك تتحمص. ثم ذهبت وفتحت القفص الذى كان فيه أخوها. وأخذا ينظران معا فى كل أنحاء البيت ووجدا فى إحدى الغرف خزينة مليئة بالنقود. أخذا كل ما استطاعا حمله وذهبا إلى البيت. فى الطريق، قابلا قاطف زيتون، قادهما إلى حيث كانا يعيشان. وعندما وصلا إلى البيت، فرح الوالدان كثيرا وأصبحوا أغنياء جدا. وعاش الجميع سعداء.

(٢) صعاليك

٤- پدرو المشاغب

كان يا ما كان، كان هناك بائع جرائد فقير، عنده طفلان. كان الكبير اسمه خوان، وكان أبله بعض الشيء؛ وكان الصغير اسمه پدرو، وعلى العكس من أخيه، كان دائما يقوم بخدعة، ويجهز فخا ما، أو يحتال على الناس. ولهذا كانوا يسمونه، پدرو المشاغب.

ولأنه لم يكن عندهم طعام، وكانا قد أصبحا فى سن العمل، قرر الأب أن يرسل الكبير لصياد غنى كان يعيش فى تلك الأنحاء. ذهب خوان إلى بيت الصياد الغنى، وأراد الآخر أن يستغله، قائلا له إنه يمكنه أن يدخل ليخدم عنده، لكنْ مع هذين الشرطين: ألاَّ يغضب أحدهما من الآخر، ومن يغضب، سيقوم الثانى بشد جلده من مؤخرة عنقه حتى كعبيه. والشرط الثانى هو أن الدفع لن يكون إلا بعد أن يغنى طائر الوقواق.

حسنا، إذن وافق خوان وسأله عما عليه أن يفعله. عندئذ أمره سيده بأن يحضر عربة مليئة بالحطب ولكن ألا يضعها عند الباب الرئيسى ولا عند باب مخزن الخشب.

ذهب خوان، وقطّع الحطب وألقاه فى العربة وحضر أمام البيت. ولأنه لم يكن للبيت أكثر من بابين، أخذ يصيح من الخارج:

- يا سيدى السينيور، أين تريدنى أن أضع الحطب؟

- لقد قلت لك من قبل يا رجل، ليس عند الباب الرئيسى ولا عند باب مخزن الخشب.

– ولكن هذا مستحيل!

– آه، هل غضبت؟

– أنا لا يحق لى أن أغضب. من الذى لا يغضب إذا لم يكن هناك مدخل آخر!

– إذن. شد الجلد.

– وشده شدة من جلده من عنقه حتى كعبه، وجعله يذهب، وكلّ جسمه يؤلمه.

وصل خوان المسكين إلى بيته، وحكى كل ما حدث له.

– هذا لأنك أبله! لو كنت مكانك لعرفت كيف أتعامل مع هذا الرجل.

طلب پدرو من أبيه الإذن ليذهب للعمل فى نفس المزرعة. عندما وصل، لم يقل لسيده من يكون، واتفق الآخر معه على نفس الشروط التى اتفق عليها مع خوان. وأعطاه أيضا نفس العمل، وقال له ألا يضع العربة أمام الباب الرئيسى ولا باب المخزن.

حسنا، جميل جدا. فى آخر النهار، كان پدرو قد وصل ومعه عربة الحطب إلى أبواب المزرعة، وبما أنه لم يكن يعرف أين يضعها، ودون أن يفكر مرتين، أخذ يكسر، بيم! بام!، بيم!، بام!، فتح فتحة كبيرة جدا فى الحائط، تكفى لوضع عربة بداخلها. أما السيد، فعندما رأى هذا التدمير، بدأ يقول:

– ولكن ماذا تفعل يا پدرو؟

– هل أنت غاضب يا سيدى؟

– لا يا رجل، لست غاضبا. لكنه لا يعجبنى. قال السيد، وأضاف بصوت منخفض– "ليتك تأخذ بعض اللكمات القوية!".

– هل تقول شيئا حضرتك؟

– لا، لا شىء، لا شىء.

فى نفس تلك الليلة، أرسل السيد الأخ الصغير پدرو إلى غرفة مليئة بالدقيق، وقال له إنها يجب أن تكون منخولة كلها عند الصباح. انتظر پدرو حتى نام الجميع وأخذ يرمى كل الدقيق من النافذة.

فى اليوم التالى، أطلت ابنة الصياد من النافذة، وقالت:

– أووه، لقد أثلجت!

عندما استيقظ السيد ورأى هذا سأل پدرو:

– پدرو، ماذا حدث؟

– تماما كما قالت لك ابنتك: لقد أثلجت.

– ماذا؟

– هل غضبت يا سيدى السينيور؟ سأل پدرو.

– لم أغضب، لكن لم يعجبنى هذا– أجاب السيد، وأضاف بصوت خافت–: "ليتهم يضربونك لكمات قوية!"

– هل تأمرنى بشىء؟

– لا، لا شىء، لا شىء– قال السيد–. أنت الآن ستزرع مكيالين من القمح. ولكن يجب أن تكون مزروعة عند آخر النهار، اتفقنا؟

– ليست هناك أى مشكلة، أجاب پدرو.

– وذهب پدرو وهو هادئ جدا إلى الأرض التى عليه أن يزرعها. ورمى المكيالين معا فى شق واحد من الأرض، وقلبهما فى الأرض ونام. فى منتصف النهار، وصلت خادمة السيد لتحضر له الطعام، الذى كان طنجرة وطبقا، وقالت له:

– يقول السيد ألا تفرغ الطنجرة فى الطبق وألا ترفع الغطاء عنها.

– حسنا، قال پدرو.

وأخذ حجرا وأخذ يخبط الطنجرة خبطات خفيفة، حتى حفر فتحة. ومنها أخرج كل الطعام وأكله. ثم أكمل نومه. فى المساء، عندما وصل إلى البيت، شرح لسيده كيف قام بالزراعة، وعندما رأى وجهه قال له:

– هل غضبت يا سيدى السينيور؟

– أنا أغضب؟ بالله عليك يا رجل!

فى تلك الليلة، أخذ الصياد يتشاور مع زوجته:

– پدرو الشرير هذا سيفلسنا. يجب أن نفكر فى شىء لنتخلص منه.

وتذكرا حينها المارد الذى كان يعيش فى أعالى الجبل، وقررا إرساله إلى هناك بحجة ما. فى الصباح التالى، قال السيد لپدرو:

– انظر، ستأخذ قطيع الخنازير لتأكل أعلى الجبل. لكن فى أعلى مكان يمكنك الوصول إليه، لأن هناك يوجد الكثير من البلوط، ويجب أن تقوم الحيوانات ببعض التمارين.

حسنا، كان پدرو ذاهبا هناك بالقطيع، وفى الطريق، ظهر له بعض التجار وقالوا له:

– كم تريد مقابل الخنازير؟

– إذن أنا سأعطيها لكم – أجاب پدرو كما لو كانت خنازيره– بثمن رخيص جدا، وأضاف: ولكن بشرط أن تقطعوا ذيولها كلها وتسلموها إلىّ. وأن تتركوا لى خنزيرة منها.

وقد كان. دفع له الآخرون وسلموه كل الذيول المقطوعة، بالإضافة إلى خنزيرة. بعد وقت قليل، أمطرت وتكونت هناك بركة كبيرة جدا مليئة بالطين. أخذ پدرو بكل صبر يغرز ذيول الخنازير، تاركا الأطراف بالخارج. وترك أيضا الخنزيرة تتمرغ جيدا جدا فى الطين. ثم عاد إلى البيت وعندما وصل، بدأ يصيح:

– سيدى، يا سيدى!

وخرج السيد غاضبا، بمجرد أن سمعه، وقال:

– ماذا حدث لخنازيرى؟ ماذا حدث لها؟

– حسنا لا شىء، لقد دخلت فى بركة وأنا لا أستطيع أن أخرجها وحدى.

ذهب السيد ركضا، وعندما وصل، رأى ذلك المشهد، أخذ يصيح:

- إنها تغرق، إنها تغرق!

- شد يا سيدي، شد جيدا، فلا يزال يمكن إنقاذ بعضها.

أخذ السيد يشد بكل قوته، لكن، طبعا، لأنه لم يكن هناك شيء بالأسفل، وقع على مؤخرته في الطين، ثم وقع مجددا. عندئذ ذهب پدرو وقال له:

- ذلك لأن حضرتك لا تعرف كيف تشد، يا سيدي. ألا تعرف يا سيدي المثل الذي يقول: من لديه قوة يخرج ذيلا ويخرج خنزيرا؟ إذا علمتك كيف تفعل هذا، هل ستعطيني حضرتك ما أخرجت؟

- حسنا. لكن أخرج واحداً فقط، قال السيد.

عندئذ ذهب پدرو للخنزيرة وأخذ يشدها من ذيلها حتى استطاع أن يرفعها.

- أرأيت يا سيدي؟

تشجع الآخر وشد الذيول مرة أخرى، ولكن لم يَجْنِ أكثر من الوقوع على مؤخرته، واللعنات التي كان يلقيها!

تلك الليلة، ظل السيد وزوجته يناقشان كيفية التخلص من پدرو. أفضل شيء هو اقتياده إلى حيث يوجد المارد، وذهب الصياد وقال له:

حسنا يا پدرو. لم يتبقَّ لنا إلا قطيع الخرفان، ويجب رعايتها في الجبل. لهذا اصطحبها إلى الأعلى، ليكون لديها عشب في العودة.

وصل پدرو إلى أعالي الجبل وفي الحال ظهر له المارد. كان ماردا مخيفا، بعين واحدة في منتصف جبينه. قال له:

- ماذا تفعل هنا؟ ألا تعرف أن من يدخل في مناطق ملكيتي لا يخرج ثانية؟

- لا تغضب يا رجل- أجابه پدرو- ضع في اعتبارك أنني عبد المأمور، وإذا قالوا لي أن أذهب، ليس أمامي إلا أن أفعل.

– حسنا. سأعطيك ثلاث فرص. لكن أنت تعرف ماذا يمكن أن يحدث لك. أولا سنجمع حطبا لندفئ أنفسنا الليلة. وعليك أنت أن تحضر حطبا أكثر منى.

ذهبا إلى غابة أشجار البلوط، وبدأ المارد ينتزع فروعا ضخمة جدا ويجمّعها. أما پدرو، فأخذ لفة من الحبل وبدأ يحيط الأشجار.

– ماذا تفعل؟ سأل العملاق.

– لا شيء، سأنتزع بشدّة واحدة كل أشجار البلوط.

– لا يا رجل، لا تفعل هذا، فواحدة تكفى.

– حسنا، إذن إذا كانت شجرة واحدة، فلتحملها أنت!

– حسنا– قال المارد– سيكون من الأفضل أن تذهب لتحضر لى ماءً. خذ جلد الثور هذا وأحضره مملوءًا من النبع الموجود هناك فى الأسفل.

ذهب پيدرو، وبدلا من أن يملأ الجلد، أخذ يثبت بعض العصيان الخشبية حول النبع، كما لو كان يبنى حائطا. وصل المارد وقال له.

– ماذا تفعل الآن؟

– سترى. سأجمع ماء النبع كله. لأن هذا الجلد لن يكفى لأى شيء.

– لا يا رجل، لا، هذا الجلد يكفى.

– إذن إذا كان الجلد فقط، فلتحمله أنت!

– حسنا– قال المارد– لنر إذا كنت ستستطيع عندما تصعد إلى أعلى، أن تخرج ماء من صخرة. انظر، هكذا.

وأخذ المارد صخرة، وأخذ يعتصرها، حتى كسرها وأخرجت ماءً. لكن پدرو، أخذ قطعة من القرنبيط دون أن ينتبه الآخر، كما لو كانت صخرة. واعتصرها فأخرجت ماءً أيضا.

– حسنا يا رجل، أرى أنك بارع. يمكننا أن نصير أصدقاء وكل شيء. ولكىْ ترى هذا، أدعوك لقضاء الليلة فى كهفى. وهكذا ستكون بالقرب من شعلة النار أنت وخرفانك ولن تشعر بالبرد.

وضع پدرو كل الخرفان فى كهف المارد، ولكنه لم يكن واثقا فيه. تظاهر بأنه كان نائما، وانتظر حتى ينام المارد هو أيضا. عندئذ اقترب من شعلة النار، وأخذ واحدة من أكبر الجمرات ووضعها في عين المارد. أصبح المارد أعمى، وأخذ يصرخ من الألم والغضب. صرخات كانت تُسمع فى كل مكان فى الجبل. وفى الحال وقف على باب الكهف ليمنع هروب پدرو. لكن پدرو كان قد قتل كبشا ووضع نفسه فى جلده. فى الصباح، فتح المارد لتخرج الخرفان، وكان يحسس على كل واحد منها وهو يقول:

- هيا أيها الخروف، اخرج، فهذا ليس بيتك.

وعندما حسس على پدرو، الذى كان يمشى على أربع أرجل، واضعا الجلد فوقه، لم ينتبه وتركه يمر أيضا.

لم يستطع السيد وزوجته أن يصدقا عندما رأيا پدرو المشاغب آتيا وهو هادئ جدا ومعه القطيع. ولم يعرفا ماذا يقولان، وقالا له:

- غدا عليك أن تخرج الثورين من الحظيرة: واحد يضحك والثانى يهز رأسه.

ولم يفكر پدرو فى الأمر مرتين. أخذ سكينا وقطع لأحد الثورين شفتيه حتى تظهر أسنانه. وقطع للثانى إحدى رجليه الأماميتين.

هيا يا سيدى السينيور، تعال لتراهما! قال پدرو.

واحدٌ يموت من الضحك والثانى يجثو على ركبته!

- لكن، يا رجل، ماذا فعلت أنت؟

- هل أنت غاضب يا سيدى؟

- لا، لست غاضبا، لكن لا يعجبنى هذا- وأضاف-: "ليتهم يعطونك لكمات قوية!".

- هل كنت تقول شيئا يا سيدى؟

- لا، لا شىء.

وأخيرا، قال السيد تلك الليلة لزوجته:

– انظرى، يجب إنهاء هذا الموضوع بأى شكل. لقد فكرت فى أن تصعدى أنت على شجرة حور وتغنى مثل طائر الوقواق.

– وهكذا فعلت زوجته. تسلقت شجرة حور وأخذت تغنى.

– أووه، انظر يا پدرو! إن طائر الوقواق يغنى. يجب الآن أن أدفع لك وأن ننهى عقدنا.

– وقواق فى هذا الوقت؟ قال پدرو. سنتأكد من هذا الآن. لنعرف على الأقل إذا كان ذكرا أم أنثى.

وذهب فى الحال وأخذ معه بندقية وضرب فى الاتجاه الذى كان صوت التغريد يُسمع منه. بحيث لم يسعف السيد الوقت حتى يمنعه، حتى شعر بزوجته وهى تسقط على الأرض. ذهبا ركضا ليراها، وقال السيد:

– لكن، أيها الشرير!، ماذا فعلت؟ هل قتلت زوجتى!

– يا رجل! وهل هذا يغضبك؟ إذن الاتفاق هو الاتفاق.

وفى الحال، شد السيد شدة من جلد بعرض نعل حذاء، من مؤخرة العنق حتى القدم؛ وخرج الآخر يجرى ويصيح ولم يره أحد مجددا. وبهذا احتفظ پدرو بكل الأراضى وأرسل لإحضار أبيه وأخيه الأبله.

٥- الخال صرَّار الليل العراف

كان هناك رجل يسمونه "الخال صرّار الليل". كان المسكين فقيرا جدا، لأنه لم تكن له لا وظيفة ولا فائدة. ذات يوم، بعد أن فاض به الكيل من هذا البؤس، تظاهر بأنه عراف ووضع لافتة على باب بيته، تقول: "هنا يسكن الخال صرّار الليل، العراف". لكن قبل ذلك، قرر سرقة بعض الأشياء وتخبئتها فى مكان آخر. فى البداية، سرق غطاء سرير ووضعه فى المدخنة. ذهبت صاحبة المكان لتستشيره وأصاب هو، كما لو كان خمن الأمر. أخذت المرأة الغطاء ودفعت له رغيف خبز وقطعة سجق. فى يوم آخر، سرق حصانا من سينيوريتو وأخذه إلى أحد المروج البعيدة جدا. ذهب السينيوريتو ليستشيره، ولأنه أصاب فى تخمينه، دفع له المقابل لحم خنزير.

وهكذا غدا مشهورا بـ"الخال صرّار الليل، العراف".

ذات يوم، عندما كان هادئا جدا، طرق الجنود بابه، وكانوا آتين من طرف الملك، لينجم لهم عن مكان خاتم ثمين جدا سُرق من جلالته.

لم يجرؤ الخال صرّار الليل على الرفض وخرج مع الجنود. وكان يفكر فى الطريق: "هذه ستكون نهايتى. لِنَرَ ماذا سأفعل عندما نصل إلى القصر". وكانوا قد قضوا فترة فى الطريق، عندما قال القائد:

– هل لديك رغبة فى الأكل؟

– يا رجل، أعتقد نعم! فنحن قد قطعنا على الأقل سبعة فراسخ!

– إذن لنأكل، فالملك قال لنا أن نعامل حضرتك كما يجب؛ فلتأكل ولتشرب كل ما تريد.

– هذا جميل جدا! قال الخال صرّار الليل. وفكر على الأقل أن يشبع من الأكل تماما قبل أن يحدث ما سيحدث. بحيث أكل بشراهة كل ما اشتهى، وكل أربعة أو خمسة فراسخ، كان يقول إنه جائع. كان الآخرون يتوقفون ويلتهم هو الطعام بنهم. وعندما وصلوا إلى القصر، قال له الملك:

– أيها الخال صرّار الليل، لقد أرسلت لإحضارك خصيصا لتخمن أين يوجد خاتم عائلتى، الذى سُرق منى. لكن إذا لم تصب، سأقتلك.

– جلالتك، ما تطلبه سموك منى صعب للغاية. سأحتاج إلى ثلاثة أيام لأفكر فى الأمر.

– حسنا. سآمر بحبسك فى غرفة ويألا يتركونك تخرج من هناك خلال الثلاثة أيام. ولكن يمكنك أن تأكل وتشرب قدر ما شئت.

– جميل جدا، قال الخال صرّار الليل، وفكر: "على الأقل سأموت شبعانًا".

عندما أكمل أول يوم، ذهب خادم ليحضر له ما طلبه، وقال الخال صرّار الليل:

– أى، سينيور سان برونو، فمن الثلاثة قد رأيت واحدا!

ذهب الخادم ركضا إلى المطبخ ليبحث عن اثنين آخرين، فقد كانوا ثلاثتهم هم الذين سرقوا الخاتم، وقال لهما:

– لقد تعرف إلينا الخال صرّار الليل!

لم يصدقه الاثنان الآخران، وقال أحدهما:

– غدا سأحمل له أنا الطعام.

مر يوم آخر وحضر الخادم فى الغرفة. قال الخال صرّار الليل بتنهيدة:

– أى، سينيور سان أنتون، فمن الثلاثة رأيت اثنين!

خرج الخادم يجرى وحكى للآخرين ما حدث. ولكن لم يصدق الثالث أيضا وذهب فى الصباح التالى ليحمل الطعام إلى خال صرّار الليل. وبمجرد أن رآه يظهر، قال، بتنهيدة قوية جدا:

– آى، سينيور سان أندريس، لقد رأيت ثلاثتهم!

حينئذ قال له الآخر:

– اصمت من فضلك. إذا لم تكشف أمرنا، سنقول لك أين يوجد الخاتم، وإضافة إلى ذلك، سنعطيك نقودا كثيرة.

ظل الخال صرّار الليل صامتا للحظة، لكنه أدرك فى الحال ما كان يحدث. قال حسنا. أعطاه المحتالون ثلاثة آلاف ريال وقالوا له إنهم خبأوا خاتم الملك فى حوصلة الديك الرومى الملكى.

ووصل الملك وسأل أين يوجد الخاتم. عندئذ قال له وكان هذا حقيقيا: اقتلوا الديك الملكى وأخرجوا الخاتم من الحوصلة. فرح الملك كثيرا، وقدم للخال صرّار الليل هدايا كثيرة وعرض عليه أن يصطحبه هو بنفسه إلى بيته. صعدا على عربة تجرها الخيول، وعندما كانا على وشك أن يبدأ رحلتهما، سقط صرّار الليل من النافذة. لم ينتبه الخال صرّار الليل، أما الملك فقد فعل، وأخذه وخبأه فى يد من يديه. ثم قال للخال صرّار الليل:

– لنر إذا كنت عرافا بارعا جدا. إن أصبت، ستتزوج ابنتى. وإذا لم تصب، سأقتلك. ماذا أمسك فى يدى؟

لم يعرف الخال صرّار الليل بمَ يجيب، لأنه لم يرَ شيئا. عندئذ قال:

– آى، صرّار الليل، آى صرّار الليل، فى أى ضائقة وقعت أنت!

– يا إلهى! لقد أصبت! الآن يجب أن تتزوج ابنتى!

وتزوج الخال صرّار الليل ابنة الملك، وعاشا فى سعادة.

٦- خوان ونصف

كان ياما كان، كان هناك زوجان ثريان جدا، ولكن لم يكن عندهما أطفال. وكانت الزوجة تقضى حياتها تتنهد:

- آه، لو أعطانا الرب ابنا ليأكل المزرعة.

طلبته كثيرا، حتى رزقا أخيرا بابن فى منتهى الجمال. وسرعان ما بدا أنه يصير مستعدا لأكل مزرعة أبويه ومزارع أخرى كثيرة، من فرط قوته وشجاعته. عندما صار صبيا، كان قادرا على التهام بقرة كل يوم، بالإضافة إلى مكيال من الحمص وآخر من الخبز. وفى كل المشاجرات كان دائما الفائز، بحيث إنهم شيئا فشيئا صاروا يتجنبونه، وأرسله أبواه ليحرث الأرض. ولهذا الغرض أعطوه فأسا فى منتهى الضخامة، كان على ثلاثة رجال أن يحملوه. وفى لمح البصر، كان قد حرث كل الأراضى، وكلما كان يعمل أكثر، كلما كان يأكل أكثر، حتى التهم مزرعة أبويه بأكملها.

ثم حمل، خوان ونصف، هكذا كانوا يسمونه، الفأس على كتفه ومشى فى طريقه. بدأ يخدم فى المزارع وكان يعمل كثيرا جدا، لكن عندما يحين وقت الطعام، كان يأكل أكثر بكثير. وهكذا لم يكن يجدى نفعا لأحد وكانوا يطردونه؛ ولكن مع مراعاة كبيرة لشعوره، لم يكن يغضب:

- انظر يا خوان ونصف، لا يمكنك البقاء هنا، لأنها قريبا ستصبح خرابة، وعندئذ لن تصلح لك ولا لغيرك.

أكمل خوان ونصف طريقه، وحدث له نفس الشىء فى كل الأماكن. وفى النهاية، وصل إلى قصر الملك. ولأنه كان آتيا وسمعته تسبقه، أظهر الملك اهتماما كبيرا فى الاتفاق معه، معتقدا أنه سينفعه فى حرث أراضيه، التى كانت مهجورة تماما.

أخذ خوان ونصف يعمل بفأسه وفى نهار واحد ترك كل الأراضى جاهزة. وبما أنه كان لا يزال أمامه وقت حتى آخر النهار، ذهب للبستان وقطف كل الزهور، محولا إياه إلى أرض قابلة للزراعة. أغضب هذا الملكة كثيرا، وحينئذ اقتنع الملك بأن ذلك الرجل لا يناسبه. ولأنه تلقى أيضا شكاوى كثيرة، قرر أن أفضل شيء هو الاستغناء عنه، وهكذا ستبقى مملكته فى سلام.

إذن أرسله ليطحن القمح فى مطحنة العمالقة، حيث لم يَعُدْ أحدٌ من هناك قط. لكن ذهب خوان ونصف إلى هناك، وتحدى العمالقة. أما هم، الذين كانوا يعرفون من يكون، فصعدوا إلى السطح، وأخذوا يرمونه بأحجار من الطاحونة. لكن كان خوان ونصف، يمسك بها فى الهواء ويعيدها كأن شيئا لم يكن. خاف العمالقة وفروا هاربين. دخل خوان ونصف عندئذ فى الطاحونة وأخذ يلفها فى هدوء. ورأى فى غرفة، تلا من عظام كل الذين قتلوا على أيدى العمالقة، ورأى فى غرفة أخرى أسلحتهم. طحن قمحه وحمل الأسلحة إلى الملك. وبها استطاع الآخر أن يُحسن جيشه.

ما حدث هو أن الملك، بعد تداول الأمر مع فرسانه، قرر إرسال كل جيشه ضد خوان ونصف. خرجوا جميعهم إلى الحقل لمحاربته، أما هو، بمجرد أن جاء، أمسك حصانا من ذيله وأخذ بيم-بام، بيم-بام!، وقضى عليهم فى لحظة.

عندئذ أمر الملك بإحضار حرفى مملكته، وقال لهم:

– أيها السادة، أنا لم أعد أعرف كيف أتخلص من هذا الرجل، الذى سيكون مفيدا لنا جميعا، ولكن لا أحد يحتاجه! فلتقولوا حضراتكم ماذا نفعل.

يبدو أن اتحاد الجزمجية هو من اقترح بناء دمية من الصمغ. جمعوا كل الصمغ الموجود فى المملكة وصنعوا به دمية كبيرة جدا، ووضعوها إلى جانب النهر. ثم قالوا لخوان ونصف:

– هيا يا خوان ونصف، فقد وصل إلى القرية أحد يقول إنك لا تساوى شيئا وأنك متفاخر.

ذهب خوان ونصف إلى حيث توجد الدمية. اقترب منها، وقال لها:

– ماذا! ألن تلقى علىّ التحية؟ وبما أن الآخر لم يفعل شيئا، قال: إذن الآن ستعرف من أنا.

وأعطاه لكمة قوية جدا، غرزت له يده فى الصمغ ولم يستطع فكها.

– إذن الأمر كذلك! اتركنى وإما ضربتك بيدى الأخرى! قال خوان ونصف.

ولأن الآخر لم يفعل شيئا، ضربه بقوة بيده الأخرى التى لزقت أيضا.

– هيا، يا رجل! ألا تريد أن تفهم. حسنا فلتأخذ هذه!

وأعطاه ركلة، أبقت قدمه بالداخل.

– اتركنى وإما سأضربك بالقدم الأخرى!

وهكذا فعل، ولكنها لزقت أيضا.

– إذن سأضربك الآن ببطنى!

ولزقت بطنه أيضا.

– آه! هكذا؟ أنا سأعضك!

وعندما عضه، لزق فمه أيضا، وهكذا لم يستطع قول شىء آخر.

وعندما رأى الآخرون أنه أصبح غير قادر على الدفاع عن نفسه، اقتربوا بعصا، ودفعوا الدمية، التى سقطت فى الماء، ومعها خوان ونصف، الذى غرق هناك.

٧- خوان بلا خوف

ذات مرة، كان هناك صبيٌّ لم يكن يعرف ما هو الخوف. لهذا سموه خوان بلا خوف. لم يكن هناك شىء فى الدنيا يخيفه، وكان يمشى دائما من جهة إلى أخرى، وكان أيضا يصطاد الحيوانات الأكثر خطورة، فقط بحثا عن الخوف. لم تعد أمه تعرف ماذا تفعل معه، وأى تعليمات تعطيه، ليجد الخوف أو ليرحل من البيت.

ذات يوم، ذهبت لتتحدث مع القسيس، واتفقا معا على أنه عندما يحل المساء، ستتظاهر بأن بطنها يؤلمها، وترسل الفتى ليبحث عن زيت مصباح الكنيسة. وهناك سيكون القسيس ينتظره ليخيفه جيدا. وهكذا جاء الليل وأخذت الأم تصيح كما لو كان بطنها يؤلمها بشدة:

– آه، آه، يا بنى، يا بنى! ما هذا الألم الشديد! هيا، اِجْرِ وأحضر لى زيت مصباح الكنيسة!

أخذ خوان بلا خوف يجرى ودخل الكنيسة. كانت مظلمة تماما، إلا مصباح الزيت. وكان القسيس قد اختبأ فى غرفة الاعتراف، ووضع فوقه غطاء. عندما مر خوان بلا خوف من أمامه، خرج له فجأة وهو يقول:

– أنا روح من المطهر وأنا أحوم هنا وأنا أتعذب!

لكن خوان بلا خوف، لم يرمش له جفن. أخذ شمعدانا وذهب إلى القسيس الذى يضع فوقه الغطاء، وهو يقول له:

– إذن عد من حيث أتيت!

ونزل عليه بوابل من الضربات، تركت القسيس يرقد مكانه. ذهب وحكى لأمه ما حدث. حينئذ قالت له أمه إن عليه أن يرحل من القرية على الفور.

ذهب خوان بلا خوف حول العالم بحثا عن الخوف. وفى كل مكان يذهب إليه كان يصيح:

- من يعلمنى ما الخوف؟ من يعلمنى ما الخوف؟

اعتبره الناس فى البداية ثرثارا، واختبروه بعدة طرق. أرسلوه إلى المقابر فى الليل، كانوا يضعون له جماجم ليشرب فيها وأشياء من هذا القبيل، لكن لم يؤثر فيه أىّ شىء. لم تكن هناك أى طريقة يشعر بها ذلك الصبى بالخوف.

فى قرية حيث كانوا قد شنقوا بعض أفراد عصابة، قالوا له أن يذهب ليقضى الليلة معهم، فربما يخيفه هذا.

- خوف؟ سأل خوان. وما عساه أن يكون هذا؟

- سترى، سترى.

ذهب الفتى إلى حيث كان المشنوقون معلقين، وأخذ ينظر إليهم ويدور حولهم، وكان ينزلهم ثم يرفعهم مرة أخرى، كما لو كانوا خنازير! ولا شىء. لم يشعر بشىء.

رحل من هذه القرية ووصل إلى أخرى. وكالعادة أخذ يصيح:

- من يعلمنى ما الخوف؟ من يعلمنى ما الخوف؟

وأخذ خبر وصول خوان بلا خوف إلى القرية ينتشر، حتى وصل إلى مسامع الملك.

- يجب رؤية هذا الصبى! إذا كان حقيقيا أنه لا يعرف الخوف، سيكون أفضل جنودى.

وليختبره، قال له إنه سيزوجه لابنته إذا استطاع أن يقضى ثلاث ليال فى قلعة مسحورة موجودة فى تلك المملكة. وبدون أن يشعر بخوف.

- خوف؟ وماذا يكون هذا؟ سأل خوان مرة أخرى.

- سترى، سترى.

أخذوه إلى القلعة المسحورة وتركوه هناك وحيدا. أخذ يتجول ولم ير أحدا. ولكنها كانت مرتبة جيدا جدا. فى الغرف، كانت هناك سرائر فخمة جدا وأيضا خزانة طعام بها أفضل طعام فى العالم. يمكنه البقاء هناك طوال الحياة، يأكل وينام، دون عمل شيء أكثر من طبخ الطعام الذى يشتهيه.

عندما جاء الليل، وضع على النار، سجقًا وبيضًا، وفى هذه الأثناء، سمع صوتا يقول له:

– أسقط أم لا أسقط؟

وأجابه هو:

– اسقط إذا أردت، لكن احذر جيدا ألا تسقط فى المقلاة، لأننى سأجعلك تتذكرنى.

وبمجرد أن قال هذا، سقطت على الأرض يد. واصل خوان بلا خوف طبخ طعامه بكل هدوء. وفى الحال سمع مرة أخرى:

– أسقط أم لا أسقط؟

– بالنسبة لى، يمكنك أن تفتح رأسك، لكن لا تسقط فى المقلاة...

وسقطت يد أخرى. وقال الصوت مرة أخرى:

– أسقط أم لا أسقط؟

– لتنزل مرة واحدة بالله عليك، فأنت لن تدعنى أنتهى. وسقطت ساق ثم سقطت أخرى.

فى تلك الليلة، توقف ما كان يسقط عن السقوط، واستطاع خوان بلا خوف أن ينتهى من عشائه. وعندما كان ذاهبا للنوم، كان يقول: "هل هذا ما يسمونه الخوف؟ حقا؟". نام بهدوء طوال الليل، وفى اليوم التالى، حدث نفس الشيء مرة أخرى، ومرة أخرى سمع الصوت يقول:

– أسقط أم لا أسقط؟

وسقط ذراعان، وجثمان دون أن يعطى خوان بلا خوف أدنى اهتمام. تعشى كل ما اشتهى وذهب للنوم، وهو يقول:

– هل هذا هو الخوف؟ كنت أريد أن أعرف ما الخوف.

في الليلة الثالثة، كان خوان ينتظر سقوط ما تبقى، عندما سمع الصوت:

– أسقط أم لا أسقط؟

– اسقط يا رجل، كاملا، أكمل ما تبقى...

عندئذ سقطت الرأس. وقالت، من على الأرض:

– هل تريد أن أتجمع مرة أخرى؟

– وما شأنى أنا؟

– أحذرك أنك قد تشعر بالخوف.

– خوف؟ لا أتمنى شيئا أكثر من ذلك!

وتمت إعادة تجميع جسد الرجل، الذى قال:

– أنت الوحيد الذى كانت لديك الشجاعة لتفك سحرى، ولهذا سأعطيك كمكافأة كل الخيرات الموجودة فى القلعة.

أخذ خوان بلا خوف كل ما أعجبه: مجوهرات، وشمعدانات ، ومفارش، وحملها على عربة، إضافة إلى لحم خنزير، وقطع من السجق والجبن، وهكذا حضر فى القصر، مستعدا للزواج بالأميرة.

لم يكن أمام الملك إلا أن ينفذ وعده ويجهز للعرس. وتزوج خوان بلا خوف من الأميرة. ولكن فى ليلة الزفاف، كان خوان متعبا جدا، وبمجرد أن ذهب للفراش، غرق فى النوم. لم يعجب الأميرة هذا وأمسكت بأول شىء جاء فى يدها، وكان حوض سمك به ثلاث أو أربع سمكات. وقالت لنفسها: "أنا سأوقظ هذا الآن"، وأدخلت رأسه فى الماء والسمك وكل شىء. عندئذ استيقظ خوان بلا خوف وهو يصرخ:

– النجدة، إنهم يقتلوننى، النجدة، إنهم يقتلوننى!

٨- خوان قاتل السبعة

كان يا ما كان، كان هناك إسكافيٌّ. ومثل كل الإسكافيين، لم يكن يجنى فى اليوم أكثر من ثمانى عملات، وتقريبا لا تكون لديه رغبة فى العمل أبدا. كان الكثير من الناس يدفعون له مقدما حتى يجبروه على إنهاء عمله. ولكن يسوء الأمر أكثر فى بعض الأحيان، لأنه يذهب ويصرف النقود فى الحانة، ولا يعمل أيضا فى اليوم التالى، لأنه يظل نائما ليتعافى من الليلة الماضية.

ذات يوم، وجد خوان، هكذا كان اسمه، أنه متعب أكثر من الطبيعى، أىْ إنه كان منهكا تماما ولم يكن فى جيبه ولا ريال. كان الرجل شارد الذهن ومزاجه سيئا، عندما رأى بعض الناموس قد وقف على وعاء اللصق. اجتاحته شجاعة كبيرة، فضرب الوعاء كفا وقتل كل الناموس، وكان عددها سبعًا. أخذ يفكر قليلا ثم قال: "انتهى البؤس، ولا حتى يوم واحد زيادة".

أخذ ورقة وكتب اللافتة التالية: "هنا خوان قاتل السبعة، بضربة عادية". وعلقها على قبعته ومشى فى الشارع. خرج من القرية، وأخذ يمشى، ويمشى، حتى وصل إلى قرية أخرى. كانت الناس فى البداية تقترب لترى ماذا يضع على القبعة، لكن، عندما يقرءون "هنا خوان قاتل السبعة، بضربة عادية"، كانوا يبتعدون عنه، على سبيل الحذر. أصبح خوان قاتل السبعة أكثر شهرة، وعندما وصل إلى قرية أخرى، كان الناس لا يجرءون على مشاهدته إلا من الشرفات فقط.

علم الملك أيضا بأنه يوجد فى مملكته، رجل شجاع جدا وأمر بإحضاره. حضر خوان إلى القصر، وتم إعلان حضوره كما لو كان من الشخصيات المهمة. اصطحبوه على سلالم كبيرة جدا، وبينما كان يصعد كان الخادم يقول بالفعل، بصوت مرتفع:

– هنا خوان قاتل السبعة، بضربة عادية!

وهكذا وصل فى حضرة الملك، الذى سأله:

- هل صحيح أنك تقتل سبعة بضربة واحدة؟

- بضربة عادية، قال الإسكافى.

- حسنا، يا رجل. هل ستكون قادرا على قتل مارد يعيش بالقرب من هنا ولا يتركنا نعيش فى سلام منذ سنين؟ فهو يلقى علينا صخوراً من الغابة، ويقتلع الأشجار وليست هناك طريقة للإمساك به، لأنه يجرى كثيرا.

ظل خوان يفكر للحظة وأجاب:

- على الأقل سأحاول.

- إذن عليك أن تعلم أنه إذا استطعت أن تفعل، سأعطيك، كجائزة، ابنتى لتكون زوجة لك. والآن قل لى ماذا تحتاج؟

- الآن، أن آكل جيدا. وعندما أخرج للبحث عن المارد، أريد عصفورا وحبلا طويلا جدا.

بقى خوان فى القصر يومين أو ثلاثة، يستمتع بحياة رغدة، وفى النهاية، قال إنه سيخرج للبحث عن المارد. أعطوه العصفور والحبل ومشى فى اتجاه الغابة.

بمجرد أن وصل، خرج له المارد وقال له:

- هل تظن نفسك شجاعا. أم لا تدرى أنه لا أحد يجرؤ على الدخول فى ممتلكاتى؟

ثم انتبه إلى اللافتة التى كان يضعها على قبعته وانحنى ليقرأها:

- "هنا خوان قاتل السبعة، بضربة عادية". ها، ها، ها!

أخذ المارد يضحك، وظل يضحك لفترة.

- أرى أنك مهرج، يا صديقى الصغير. افترض أن تلك اللافتة لا تنطبق علىّ.

عندئذ قال خوان:

- إذا كنت تعتقد أنك شجاع جدا، أنا أتحداك على ما تريد.

- يا رجل، حسنا! سأتسلى قليلا.

- على ماذا سنتراهن أولا؟

- على من يرمى الصخرة أبعد، قال المارد.

- حسنا قال خوان قاتل السبعة.

رمى المارد الصخرة أولا، وعندما كان ينظر أين سقطت، أخرج خوان العصفور الذى كان يحمله فى جيبه، وأطلقه.

- هل رأيت أيها القزم، أين سقطت الصخرة؟ سأل المارد.

- أعتقد نعم. أنظر أنت أين لا تزال صخرتى ذاهبة، قال خوان، مشيرا إلى العصفور، الذى كان يحلق عاليا لدرجة أنه كان لم يعد يمكن تمييزه جيدا.

- تبا، نعم، إنها ذاهبة بعيداً جدا! حسنا، أنت تفوز. لِنَرَ الآن من سيقتلع أشجاراً أكثر.

- حسنا. يمكنك أن تبدأ، بينما أجهز نفسى.

أخذ المارد يقتلع أشجاراً، بينما كان خوان يفك الحبل الذى كان يحمله ملفوفا على جسده. أثار هذا انتباه المارد الذى سأله:

- ماذا تفعل؟

- لا شىء، سأمرر هذا الحبل حول كل الغابة لأقتلع كل الأشجار مرة واحدة.

- اهدأ، اهدأ! قال المارد. لا تفعل هذا يا رجل، فهكذا ستتركنى من دون غابة، ماذا عساى أن أفعل حينها.

- حسنا، كما تشاء. لكننى فزت هذه المرة أيضا.

- حسنا، حسنا. لنذهب للثالث.

- ماذا نفعل؟ سأل خوان.

- لنر من سيأكل عصيدة شوفان أكثر.

طبخ المارد مرجلا من عصيدة الشـوفان وأخذا يأكـلان. أكل الآخر بوحشية. أما خوان، فكان يتظاهر بأنه يأكل، بينما كان فى الواقع يلقى الشوفان فى حقيبة، علقها فى رقبته. حتى امتلأ المارد وقال:

- أنا لا يمكننى أكل المزيد. وأنت؟

- اسكت يا رجل، فأنا ما زلت أبدأ.

- هيا، حسنا، يا رجل الشيطان! لقد فزت علىّ مرة أخرى. لكن هيا لآخر مرة.

- ما هى؟

- لنر من سيجرى أكثر.

- حسنا.

خرجا إلى مرج كبير جدا وقال خوان:

- فى موطنى، جرت العادة على إعطاء ميزة للأصغر.

- مثلما تريد يا رجل قال المارد، وظل يضحك مرة أخرى. يمكنك أن تبدأ فى الركض، وأنا لن أبدأ إلا عندما تصبح خارج مرمى نظرى.

وهكذا أخذ خوان يجرى بكل قوته، ووصل إلى حيث كان هناك بعض الرعاة. وقال لهم:

- انظروا، أنا أهرب من المارد! إذا رأيتموه آتيا، قولوا له إننى قمت بفتح بطنى حتى أستطيع أن أجرى أسرع، لأن عصيدة الشوفان كانت تثقلنى كثيرا.

- لم يكن قد أكمل ما يقول، عندما غرزوا السكين فى الحقيبة، وبدأ كل الشوفان يخرج ويغرق كل شىء ثم واصل جريه.

وفى هذه اللحظة، وصل المارد، وسأل الرعاة:

- هل رأيتم شيئا تافها يمرّ من هنا؟

– نعم، يا سينيور– أجابوا–. منذ قليل مر من هنا ركضا، لكنه توقف للحظة وفتح بطنه، لأن الشوفان كان يثقله كثيرا عندما يجرى. انظر كيف أخرج كل هذا.

– آه، حقا؟ يا لها من خدعة.. حسنا، الآن سيرى. وأخرج المارد سيفا مقوسا وفتح بطنه، حتى يخرج الشوفان. ولكن خرجت مع الشوفان، كل أحشائه ولم يستطع أن يمشى أكثر من ثلاث أو أربع خطوات. وسقط مثل الجبل ومات.

عاد خوان بعد فترة ورأى العملاق ميتا. عندئذ ذهب إلى القصر. عندما وصل، قال للملك:

– جهزوا عربة تجرها البغال لتذهبوا وتحضروه، فهو ميت.

– لكن، هل هذا ممكن؟ قال الملك.

– يكفى أن أقول أنا هذا! بطعنة واحدة تركته فى منتصف الطريق.

– حسنا يا رجل. لا تقل المزيد.

خرجوا لإحضار المارد، وعندما كان خوان ينزل السلم، كان يقول:

– هنا خوان قاتل السبعة، بضربة عادية! وسأتزوج الأميرة!

وتزوج الأميرة فى احتفالات رائعة. وأنا كنت هناك، ولكن بركلة واحدة أرسلونى هنا.

٩- خوان الجندى، والسيد المسيح، وسان پدرو

بينما كان المسيح وسان پدرو يتجولان فى الدنيا، تقابلا ذات يوم مع خوان الجندى، وكان خوان قد أنهى لتوه خدمته العسكرية، وكان جالسا على جانب الطريق. طلب المسيح من سان پدرو أن يقترب ويطلب منه واحدة من السيجارتين اللتين كانتا معه. ذهب سان پدرو، وطلب منه السيجارة، وأعطاها له الآخر. ثم، أيضا بطلب من المسيح، طلب منه سان پدرو ريالين من الأربعة التى كانت معه، وأعطاهما لهما أيضا. وأخيرا طلب منه نصف الخبز الذى كان معه، وأعطاه خوان الجندى نصف الخبز.

ثم انضم خوان الجندى إلى المسيح وسان پدرو وبدوا يمشون معا. وعندما قضوا وقتا كثيرا يمشون، قابلوا راعيا، وبما أنهم كانوا جائعين جدا، اشتروا منه كبشا ليأكلوه. قال المسيح:

– من سيذبحه؟

أجاب خوان الجندى:

– أنا، أنا سأذبحه.

– ومن سيطهوه؟

– أنا، فأنا أعرف أيضا كيف أعده.

إذن ذبح وشوى خوان الجندى الكبش، ولكن قبل أن يقدمه، أكل أمعاءه هو وحده ولم يقل شيئا. بدءوا يأكلون، وقال المسيح:

– أين الأمعاء؟

– فعلا، قال سان پدرو، أين الأمعاء؟

- فلتأخذني الشياطين إذا كنت أعرف.

وانتهى الأمر على هذا.

ثم وصلوا إلى قرية وسمعوا ناقوس الموت يدق.

- لمن يدق هذا الناقوس؟ سألوا.

وأجابوهم بأن ابنة كونت قد ماتت وسيدفنونها. قال يسوع لواحد:

- أرشدنا إلى البيت.

أرشدوه إلى مكانه وقال المسيح للعائلة إنه إذا تركوه سيبعث الفتاة إلى الحياة. ووافقوا بترحيب.

دخل المسيح فى غرفة الميتة وأمر بأن يحضروا له إناء به ماء مغلى. وضع الميتة ثلاث مرات فى إناء الماء المغلى وعادت الفتاة إلى الحياة. دفعوا له أربعة آلاف ريال وذهبوا.

- هيا أيها الأحمق، لماذا لم تطلب منهم حضرتك ثمانية آلاف؟ قال خوان الجندى.

ثم قسم المسيح النقود إلى أربعة، وسأله خوان الجندى نصيب مَنْ سيكون الرُّبْع الرابع، لأنهم كانوا ثلاثة فقط. فأجابه المسيح:

- أول ثلاثة أرباع، هى ربع لكل منا، والربع الرابع، لمن أكل أمعاء الكبش.

- إذن فهو لى!

وهكذا فضح خوان الجندى نفسه. وعندما انتبه، قال هو:

- حسنا، من الآن فصاعدا، سأذهب وحدى.

- مثلما تحب قال المسيح. لكن انتبه إلى أننى قد قدمت لك معروفا مرة.

وصل خوان الجندى إلى قرية أخرى وكانوا يدقون الناقوس للميت. سأل لمن كانوا يدقون وقالوا له إن ابنة الملك ماتت وسيذهبون لدفنها. طلب خوان الجندى أن يرشدوه عن مكان القصر وحضر هناك وقال إنه يمكنه أن يبعث الأميرة إلى الحياة مقابل ثمانية آلاف ريال. وافق الملك، لكن، إذا لم يفعل ذلك، سيشنقه فى الحال.

طلب خوان الجندى إناء به ماء مغلى، وأن يتركوه وحده مع الميتة. ووضع الأميرة ثلاث مرات فى الإناء، ولكن لا شىء. لم يبعث فيها الحياة ولا شىء. ولما رأوا أن خوان لم يخرج، فتحوا الباب ووجدوه مع الميتة دون أن يدرى ماذا يفعل. عندئذ استوقفوه ووضعوه على حمارة لتحمله إلى حيث سيشنقونه.

قابلوا فى الطريق، المسيح وسان بدرو.

– هذان المشاغبان هما اللذان علمانى أن أُعيد الميت إلى الحياة، قال خوان الجندى.

سأل الآخران لماذا يحملونه هكذا، وعندما شرحوا لهما، قال المسيح:

– لنذهب مرة أخرى إلى القصر فأنا سأحيى الأميرة.

وهكذا فعل. فرح الملك كثيرا بعودة ابنته إلى الحياة، وترك خوان الجندى.

– انظر قال المسيح لخوان الجندى، لا تظن أنه بإمكانك أن تفعل كل ما أفعله أنا، وضَعْ فى اعتبارك أننى قد فعلت لك معروفين. التالية ستكون الأخيرة.

– لا تكن أحمق واطلب الجنة، فهذه فرصتك الأخيرة، قال سان بدرو لخوان الجندى.

– أى جنة هذه! قال خوان الجندى. أريد شجرة كمثرى، كل من يصعد عليها لا يتمكن من النزول حتى يروق لى هذا. وعصا، عندما أقول: "أيتها العصا، استعدًى!"، تضرب أى شخص كان. وكيسا، يفتح ويقفل فقط عندما آمره أنا، وأن يكون مليئا بالذهب.

وحققا له كل ما أراد ومشى خوان الجندى مرة أخرى فى الدنيا. مر وقت طويل، ولم يكن خوان الجندى يفعل شيئا غير أن يحيا حياة مرفهة بكل هذا المال، مدافعا عن نفسه بعصاه ضد كل الذين أرادوا سرقته، ويسلى نفسه بأن يجعل أىّ شخص يحلو له يتسلق شجرة الكمثرى وأن يتركه فوقها لفترة. لكن، لأنه فات وقت طويل، قال الشيطان:

– لقد أصبح خوان الجندى عجوزا. يجب أن نذهب للبحث عنه، فهو لنا، لأنه لم يرد الجنة. لنر، من يُرد أن يذهب؟

– ليذهب يهوذا.

– جيد جدا، فليذهب يهوذا.

وهكذا ذهب يهوذا وطرق باب خوان الجندى:

– من ؟

– يهوذا

– وماذا تريد؟

– جئت بحثا عنك.

عندئذ أطل خوان الجندى من الباب وقال:

–حسنا، الآن سأستعد. لكن بما أن الطريق طويل جدا، نحتاج إلى شىء نأكله. هيا، اصعد على شجرة الكمثرى وخذ كل ما تستطع من الكمثرى.

تسلق يهوذا شجرة الكمثرى ومهما حاول لم يستطع أن ينزل من فوقها. ثم قال خوان الجندى لعصاه: "أيتها العصا، اجهزى!" وأخذت العصا تضرب يهوذا، وتضربه، وتضربه، حتى تركه محطما. ثم، سمح له بالذهاب ولم يكن أمام الشيطان إلا أن يرسل شيطانا آخر. وطرق باب خوان الجندى وقال:

– هيا يا خوان، لقد حانت ساعتك.

– ادخل، يا رجل، ادخل قال خوان. لكن، انظر، بما أن الرحلة طويلة جدا، سنحتاج إلى الكثير من المال. ضع يدك فى هذا الكيس وخذ كل ما تستطيع أخذه.

وضع الشيطان يده فى الكيس، وبالطبع، لم يستطع إخراجها، لأن خوان قد أغلق الكيس برغبته. ثم قال خوان لعصاه: ""أيتها العصا، اجهزى!"، وفى الحال أخذت تضرب الشيطان، حتى تركته مدمرا.

واصل خوان الجندى العيش بضع سنين أخرى، وكان قد أصبح عجوزا جدا، عجوزا جدا، حتى إنه وصل إلى أبواب جهنم وحده، بكيسه على كتفه، حيث لم تتبقَّ معه نقود تقريبا. نادى وسألوه من الداخل:

- من أنت؟

- خوان الجندى.

- خوان الجندى؟ لا بد أنك ذكى جدا إذا كنت تعتقد أننا سنفتح لك بعد الذى فعلته بيهوذا المسكين والشيطان الآخر. ارحل من هنا، فالجو هنا حار جدا.

وهكذا لم يَعُد أمام خوان الجندى إلا أن يواصل المشى، وأخذ يمشى بكيسه على كتفه، حتى وصل إلى أبواب الجنة. طرق الباب وفتح له سان پدرو:

- يا رجل! أنت هنا؟ عندما عُرض عليك أن تدخل الجنة، قلت لا، وفضلت كيس النقود هذا.

- نقود؟ قال خوان الجندى. يمكنك أنت بنفسك أن ترى أننى تقريبا لم أصرف شيئا.

عندئذ فتح سان بدرو الكيس ووضع رأسه ليرى كمية النقود الموجودة، وبالطبع، لم يتمكن من إخراج رأسه، لأن خوان لم يُرد. بدأ سان پدرو يعترض:

- أخرجنى من هنا، أيها المشاغب! أخرجنى من هنا!

صاح كثيرا، حتى إن المسيح خرج ليرى ماذا كان يحدث، وقال:

- يا رجل، يا خوان الجندى! لماذا تفعل هذا فى سان پدرو؟ ألا ترى أنه برأسه فى الكيس هكذا لا يمكنه حراسة الباب ويمكن أن يدخل هنا أى أحد؟

وبما أن خوان الجندى لم يوافق على تركه، لم يكن أمام المسيح إلا أن يتركه يدخل الجنة، فى مقابل أن يسمح لسان پدرو بإخراج رأسه من الكيس.

وتوتة توتة، فرغت الحدوتة.

١٠- تنحَّ جانبًا

ذات مرة، كانت هناك قرية بها شوارع عديدة ضيقة، ولم تكن البهائم تتمكن من المرور بالسلال التى تحملها دون أن تحتكّ فى الحوائط. أما العمدة، الذى رأى أن هناك شكاوى لأنها كانت تصطدم ببعض الناس، أصدر أمرا بأن يقول كل من يمر ببهائم "تنحَّ جانبًا" مرات عديدة.

ذات أمسية، مر واحد ومعه بهيمتان، وكانت هناك امرأتان تتحدثان بخصوص زوجيهما: زوجى سيئ، زوجى لا يعمل؛ والثانية، زوجى سكير؛ والرجل يصيح قائلا: "تنحَّ جانبًا!" وكلتاهما تواصلان التجول، وضرب الرجل كل بهيمة ضربة بالعصا عندما رأى أنهما لا تهتمان، واصطدم بالمرأتين. وبدأتا تقولان: "أيها الصعلوك، سأخبر العمدة بأنك جرحتنا ومزقت ثيابنا!" أما هو، فقد ذهب قبل أن تذهبا للشكوى منه، وترك البهيمتين فى البيت وذهب للعمدة وحكى له كل ما حدث مع المرأتين؛ وقال له القاضى:

- عندما يتم استدعاؤك، مهما قلت لك من أفظع الشتائم، يجب أن تبقى صامتا، لأننى أريد أن أجعلهما تعتقدان أنك أصم وأبكم.

ثم ذهب هو إلى بيته، وأتت السيدتان للشكوى منه؛ وأرسل ضابطا لإحضار الرجل فى الحال، وعندما كان ثلاثتهم مجتمعين، سألهما العمدة ماذا لديهما ضد هذا الرجل؛ وقالتا إنه صدمهما فى الشارع، وأنه جرح وجهيهما ومزق ثيابهما؛ ثم عاد العمدة إلى الرجل وسأله ما إذا كان لا يعرف بشأن الأمر الذى أصدره، ولم يُجبه الآخر بشىء؛ وتظاهر العمدة بأنه غاضب، قائلا له إنه إذا كان يسخر منه، فلم يفعل أحد ذلك من قبل، وأنه سيرسله إلى السجن؛ ومهما قال له لم يجبه بأى شىء؛ فأدار العمدة

وجهه إلى السيدتين، وقال لهما أى عدالة هذه التى سيطبقها على رجل أصم وأبكم، فهو لا يجيبه، مما يدل على أنه لا يسمع؛ أما السيدتان، اللتان كان قد نفد صبرهما، وشعرتا بالازدراء، عندما رأتا أنهما لن تتمكنا من الحصول على أى تعويض عن الأذى الذى تعرضتا إليه، قالتا:

- يا سيدى العمدة، أتقول إنه أبكم وأصم؟ إنه يسخر من سيادتك، فقد صاح كثيرا قائلا" "تنحَّ جانبًا!"؛ إن هذا المشاغب يسخر من سيادتك.

عندئذ قال القاضى:

- فلتذهبا الآن إلى البيت لعلاج وجهيكما ولإصلاح ثيابكما، لأنكما أتيتما لى بالأكاذيب والادعاءات، لأن الرجل قد نفذ الأمر الذى أصدرته وتوتة توتة، فرغت الحدوتة.

١١- الأسئلة الثلاثة

كان هناك قسيس فى مكان ما، وكان عندما يخرج من القداس فى الصباح، ومن صلوات الأمسيات، ينسى كل همومه. وكان كل الباقى يمر به "بلا هموم"، وكان الرجل يشعر برضا شديد، حتى إنه وضع على باب بيته البسيط لافتة تقول: "هنا يعيش قسيس بلا هموم". ذهب الجيران إلى السيد الأسقف ليعترضوا، وأمر هو بإحضار القسيس.

- لنر، لماذا تقول حضرتك إنك "قسيس بلا هموم" سأله:

لأن، سعادتك، كل ما أحتاجه يوفره لى خادم يعمل عندى.

- بالله عليك يا رجل. الأمر هكذا إذن. حسنا حتى يكون لديك شىء تفكر فيه، سأسألك ثلاثة أسئلة، وإذا لم تجب عنها فى نهاية اليوم الثالث، سأسحب رخصتك وسيكون عليك أن ترحل من القرية.

- أأمر يا سيدى الأسقف، قال القسيس.

- الأول: كم أساوى أنا؟ الثانى، كم من الوقت تستغرق جولة حول العالم؟ والثالث، ماذا أظنّ؟

- عاد القسيس إلى القرية مهموما جدا، وعندما وصل إلى البيت، كان يبكى تقريبا. وفى خلال هذا ظهر الخادم، الخدوم جدا، وعندما رآه بهذا الوجه قال له:

- ماذا بك يا سيدى القسيس؟ هل ينقص الكنيسة شىء؟ هل تريد أن أعد لك العشاء؟ هل أحلق لك رأسك؟ هل أحلب لك نعجة؟

- لا يا رجل، لا. اتركنى فى سلام.

لكن ألح الخادم كثيرا، حتى حكي له القسيس كل ما حدث معه والثلاثة أسئلة التى يجب أن يجيب عنها فى خلال ثلاثة أيام.

- هذا كل شيء؟ قال الآخر. لا تقلق أبدا، فأنا سأتولى كل شيء.

وهكذا، فى اليوم التالى، ارتدى الخادم زى القسيس، وحضر أمام السيد الأسقف. قالوا له أن يصعد، وسأله الأسقف أول سؤال:

- كم أساوى أنا؟

وقال الخادم:

- انظر سعادتك، إذا كانوا قد باعوا السيد المسيح مقابل ثلاثين قطعة من الفضة، ستساوى حضرتك تسعًا وعشرين.

- صحيح يا رجل، صحيح. والآن يأتى السؤال الثانى: كم من الوقت تستغرق جولة حول العالم؟

- إذا كانت على حصان، على مدار الشمس، فستستغرق أربعًا وعشرين ساعة.

- صحيح، صحيح. الثالث: ماذا أظنّ؟

- سترى سعادتك. أنت تعتقد أنك تتكلم مع القسيس، ولكن أنت تتكلم مع حامل الصولجان (ساكريستان)، والطباخ، والحلاق، وراعى الغنم الخاص به.

وأضحك هذا الأسقف كثيرا، حتى إنه غفر للقسيس، لكن بشرط أن يترك له الخادم.

١٢- خطبة القديس سان روكى

ذات مرة، ذهب قديس من قرطبة ليلقى خطبة على أهـل قرية فى يوم القديس سان روكى. ذهب القسيس دون رغبة منه، لأنهم قالوا له إنهم يدفعون قليلا مقابل الخطب فى هذه القرية.

وهكذا وصل القسيس، وقبل إقامة القداس، دخل غرفة الاعتراف ليتلقّى اعترافات الناس. ذهبت امرأة لتعترف وقال لها:

– يا سينيورة، أنتِ مغفور لكِ، لكن، هل يمكن أن تقولى لى لماذا يدفعون قليلا جدا هكذا مقابل الخطب فى هذه القرية؟

وأجابته المرأة:

– انظر يا سيدى القسيس، فأنا أريد أن أقول لك الحقيقة، إذا وعدت ألا تقول لأى شخص، سأحكيها لك.

وقال القسيس:

– لا تقلقى يا سينيورة، لمن عساى أن أقول؟ أنا فقط أريد أن أعرف لماذا يدفعون قليلا جدا هكذا مقابل الخطبة.

عندئذ قالت له المرأة:

– انظرْ يا سيدى القسيس. كل من يأتى لإلقاء خطبة، لا يذكر سان روكى تقريبا، ولهذا يدفعون لهم قليلا جدا. فكلما أتى أحد القساوسة فى يوم القديس ليلقى الخطبة، يقف شرطىٌّ تحت المنبر ومعه عصا ومنجل، وكل مرة يذكر فيها القسيس اسم سان روكى، يَشُقّ الشرطى خطًا على العصا بالمنجل، وعندما ينتهى القسيس، يذهب العمدة ويدفع له ريالا مقابل كل خط. وهذا هو كل شىء.

حسنا، وبما أن القسيس، قد تم تنبيهه، صعد على المنبر، وبدأ الخطبة هكذا:

– إخواني الأعزاء: أنتم تعرفون أن اليوم هو يوم سان روكي.

وأحدث الشرطي صوتا "تك" بشَقِّ خطٍّ على العصا. وأكمل القسيس:

– وفي يوم سان روكي هذا، يجب علينا جميعا أن نشكر سان روكي.

والشرطي، تك، تك، خطَّان. وواصل القسيس:

– آوه، مبارك أنت يا سان روكي! يا سان پدرو يا حكيم! سان پدرو فوق وسان روكي تحت! الكل يعشق سان پدرو! الكل يشتكي لسان روكي! الكل يصيح لسان روكي! حتى الضفادع، بدلا من أن تنقنق، تقول اليوم: روكي، روكي، روكي!

والشرطي، تك، تك، تك، تك... وأخذ يشُقّ خطوطا، حتى إنه لم يعد يستطيع مجاراته. لكن واصل القسيس:

– ولأننا كلنا علينا أفضال عند سان روكي. ذات يوم، ذهب سان روكي إلى قرية وخرجوا لاستقبال سان روكي. قبلَت كل النساء يد سان روكي، وقبَّل الأطفال يد سان روكي، وحتى الرجال قبّلوا يد سان روكي، والفتيات قبّلن يد سان روكي.

والشرطي بالمنجل: تك، تك، تك، تك... والقسيس لا يتوقف:

– وعندما عاد سان روكي إلى قريته، خرجوا أيضا لاستقباله، وقبلت كل النساء يد سان روكي، وقبل كل الأطفال يد سان روكي، وحتى الرجال قبّلوا يد سان روكي؛ وفي النهاية، قبَّل كل الناس يد السينيور روكي.

أما الشرطي، فلم يعد قادرا على العد: تك، تك، تك، تك...

– ولأن سان روكي كان قد قضى فترة طويلة خارج قريته، أراد البعض أن يذهب سان روكي لرؤية ابنهم المريض، وطلب آخرون أن يعالج سان روكي رجلا كفيفا، وامرأة تريد أن يعالج سان روكي أمها لها، والزوج يطلب من سان روكي ألا يعالجها، وشخص يريد أن يعالج سان روكي ابنه، والزوجة لا تريد أن يعالجه سان روكي. وامرأة تريد أن

يعالج سان روكى ابنتها، التى كانت مريضة بالجذام، وأن يبحث لها عن عريس؛ وفتاة تريد أن يأخذ لها سان روكى حبيبها من واحدة أخرى؛ فى النهاية، طلب الجميع أشياء من سان روكى، لأن سان روكى كان يفعل الكثير من المعجزات، ولأن...

عندئذ خرج الشرطى من تحت المنبر وقال:

– توقف، يا سيدى القسيس، فالعصا قد امتلأت بالشقوق وسأذهب لإحضار عصا أخرى!

وقفز العمدة:

– حسنا، حسنا، ولكنْ لنكسرها على ضلوعه إذا ذكر اسم سان روكى مرة أخرى!

١٣- المعجزات التى تفعلها

كان سان سيباستيان القديس الشفيع لقريةٍ كانت ستحتفل قريبا بأعياده. كل عام، كانوا يتفقون مع واعظ مرموق وكانوا يضعون القديس فى المذبح الرئيسى. ذلك العام، عندما ذهبوا ليحركوه، وجدوا أن العثة قد أكلته كله من الداخل، وبمجرد أن لمسوه، تهشم.

- ماذا نفعل الآن! فالأعياد قد اقتربت جدا والواعظ على وشك الوصول!

كان رئيس الرهبان عنده شجرة برتقال فى حديقته، لم تثمر أى ثمار قط. قال هو:

- إذا أردتم أخذ شجرة البرتقال، فسأعطيها لكم. لكن بشرط أن تعيدوا لى كل الأخشاب المتبقية.

وهذا ما حدث. وبسرعة، وعلى الفور، كلّفوا نحاتا بأن يصنع سان سيباستيان آخر من تلك الشجرة، وأعطوا كل الأخشاب المتبقية للرئيس، الذى صنع منها معلفا لحماره.

حسنا، إذن جاء يوم الخطبة، وصعد الخطيب على المنبر، والكنيسة مليئة بالناس. وبدأ يحكى معجزات القديس: وأنه فى هذا التاريخ عالج كفيفا، وفى الآخر عالج أعرج، وظل هكذا يحكى تلا من المعجزات، التى اخترع أغلبها، ليحصل على إعجاب أهل القرية. حتى تعب الرئيس؛ وقام فى منتصف الكنيسة، ونظر إلى القديس وقال:

- أيها القديس المجيد سان سيباستيان،

الذى تربىً فى أرض مزروعة فجلاً؛

على معلف جماري

أنت أخ من لحم

ربيتك في حديقتي،

ومن فاكهتك لم آكل.

المعجزات التي تفعلها،

كلها تُنسب إليّ.

١٤- الطلاب الأربعة

كان هناك أربعة طلاب وجدوا أنفسهم ذات مرة دون نقود لشراء الطعام. وقالوا:

- لنرَ كيف سنحصل على نقود لنأكل، ثم قال أحدهم:

- انظروا، أنا سأحضر اللحم.

- ممتاز، رائع، قال الآخرون.

وقال الآخر عندئذ:

- وأنا سأحضر الخبز.

وقال آخر:

- إذن أنا سأحضر النبيذ.

وقال الرابع:

- وأنا سأحضر النُزل الذى سيجهزون لنا فيه كل هذا.

ذهب الذى سيحضر اللحم وخرج من الكنيسة وهو وسيم جدا وذهب إلى حيث كان مربى الديك الرومى يعتنى بالديوك، وقال له:

- اسمع من فضلك، يطلب منك الأسقف أن تختار له ديكين من أفضل ما لديك.

اختار مربى الديك الرومى أفضل ديكين من ديوكه وأعطاهما للفتى.

وقال له الطالب:

- قال الأسقف إنه سيدفع لك ثمنهما بعد القداس.

وافق مربى الديوك، وذهب هو بالديكين إلى حيث كان الآخرون.

ذهب الذى سيحضر الخبز إلى نُزل، واختار سلة وطلب من صاحبة النُزل مريلة بيضاء. ذهب إلى المخبز وقال للخباز أن يضع له دستة أرغفة من الخبز، ودستة بسكويت وبعض حلوى الدوناتس. وكان يحمل فى يده كتلة من الشمع. وبعد أن أعطاه الخباز طلبه، أخذ يجرى ومعه السلة المليئة بالخبز، والبسكويت والدوناتس.

أما الخباز، فعندما رآه يجرى، خرج وصاح:

– اسمع، أنت يا صاحب السلة، انتظر قليلا، فأنت لم تدفع لى.

لكن عندما انعطف مع الناصية، أخرج كتلة الشمع ووضعها على عينه اليمنى. عندما رآه الخباز، شده وقال له:

– يا رجل، اعذرنى حضرتك، ليس أنت. فلتذهب حضرتك. الذى ذهب دون أن يدفع لى هرب من هنا، ولكن لست أدرى أين ذهب.

وذهب الطالب إلى النُزل الذى ينتظر فيه الآخرون وهناك أمروا بتحضير كل شىء.

وطلب الآخر زجاجة نبيذ، أكلوا وشربوا كيفما شاءوا. وبعد أن أكلوا واستمتعوا كثيرا، طلبوا الحساب من صاحبة النُزل، وقالت لهم إن الحساب ستون ريالا.

وفى الحال قال أحد الطلاب:

– سأدفع أنا.

وقال الآخر:

– لا، لا تدفع أنت. أنا سأدفع.

– لا قال الثالث، أنا من سيدفع.

– لا ولا– قال الرابع– أنا سأدفع.

وظلوا يتشاجرون هكذا لفترة طويلة، حتى قال أحدهم:

– حسنا، انظروا. سنغمى عينى صاحبة النُزل ومن تختاره هى سيدفع.

وافقت صاحبة النُزل، وغمّوا لها عينيها. وفى اللحظة التى غمّوا لها عينيها، خرجوا هم إلى الشارع وأخذوا يركضون. أخذت صاحبة النُزل تمشى باحثة عن الذى ستمسك به، لكنها لم تجد أحدا.

وصل عندئذ زوجها فأمسكت به وقالت:

– أنت ستدفع.

وقال لها:

– أعتقد فعلا أنه يجب على أن أدفع. لقد نالوا منكِ. رأوا أنكِ حمقاء فنالوا منكِ.

مرت فترة وكان زوج صاحبة النُزل لا يزال يبحث عن الطلاب. وذات يوم تقابل مع أحدهم وقال له:

– يا رجل، هل تتذكر عندما أكلت يومًا فى بيتى مع زملائك ولم تدفعوا؟ الآن عليك أن تدفع.

– نعم، نعم، قال الآخر، لكن لم يعد زملائى موجودين.

– لا يهم. عليك أن تدفع على أية حال.

وبما أن الآخر لم يرد أن يدفع ذهب الآخر وأبلغ القضاء. وكان عليهم الذهاب والوقوف أمام القاضى. قال الطالب للرجل الآخر:

– يا رجل، انظر، لا يمكننى أن أذهب لأننى لا أرتدى قبعة. كيف سأقف أمام القاضى من دون قبعة ولا أى شىء؟

قال له الرجل:

– لا تقلق بهذا الشأن، سأعيرك قبعتى. هيا بنا نمشى.

وأعاره الرجل قبعته وذهبوا إلى القاضى.

ووصلوا للإدلاء بأقوالهم وسأل القاضى الأول:

– حسنا، ماذا تطلب حضرتك؟

– حسنا، يا سيدى القاضى، فهذا الصبى قد أكل فى نُزلى منذ بضعة أشهر ومعه ثلاثة آخرون ولم يدفعوا لنا أى شىء ولا يريدون أن يدفعوا. والآن يقول إنه لن يدفع لأن الآخرين ليسوا موجودين، ماذا أفعل الآن؟

عندئذ سأل القاضى الآخر:

– وماذا تريد أن تقول أنت؟

– أريد أن أقول لا، لسنا مدينين له بشىء. تماما مثلما يمكنه أن يقول إن هذه القبعة قبعته. هل ستصدقه حضرتك؟

وقال الآخر على الفور:

– بالطبع هى لى! فأنا الآن قد أعرتها لك لتقف أمام القاضى. أعطنى هذه القبعة!

– بالله عليك أيها السينيور– قال له القاضى– أنت تقول إن هذا الصبى يدين لك بثمن الطعام فى النُزل، والآن تريدنى أن أصدق أنك أعرته قبعة. لا يا سينيور، لا يا سينيور، لا يمكن لذلك أن يحدث. بالله عليك.

(٣) فقراء وأغنياء

١٥- الأخوان ودستة اللصوص

كان هناك أخوان، أحدهما غنى والآخر فقير. ذات يوم، ذهب الفقير ومعه بعض الجحوش ليحضر حطبا من الغابة. وعندما وصل إلي حيث يوجد حطب كثير، رأى سحابة رملية وشعر بالخوف. ترك الجحش وصعد على شجرة. ورأى أن هذا كان بسبب أن اثنىْ عشر رجلا قادمين على خيولهم وصلوا إلى صخرة كبيرة وقالوا:

- أيتها الصخرة، افتحى.

وعندما قالوا هذا، فتحت الصخرة ودخلوا.

وسمع عند دخولهم أنهم قالوا:

- أيتها الصخرة، اقفلى. وقفلت الصخرة.

ولم ينزل الفقير من على الشجرة من الخوف الذى كان لديه وظل هناك حتى خرج الرجال مرة أخرى من الصخرة.

وعندما رحلوا، نزل الفقير من فوق شجرته. وذهب إلى الصخرة وقال:

- أيتها الصخرة، افتحى، وفتحت ودخل.

رأى هناك حقائب كثيرة مليئة بالذهب. أخرج كل ما استطاع ووضعه على الجحش. وعندما خرج من الصخرة، قال:

- أيتها الصخرة، اقفلى.

ثم ذهب، وأخذ الحطب ووضعه فوق حقائب الذهب ليوحى بأنه يحضر حطبا.

أما أخوه، الذى كان غنيا، فلم يساعده أبدا، وكان يسخر منه دائما لأنه فقير. عندما وصل الفقير إلى بيته فى الجبل، أرسل لطلب ميزان أخيه ليزن بعض القمح. أرسله له، لكن، لأنه كان مشاغبا، وضع بعض الصمغ فى أسفل الميزان. وزن الفقير ذهبه على الميزان، ولكن التصقت منه عملة ذهبية فى الأسفل. وعند إعادة الميزان للأخ الغنى، قالت زوجة الأخ:

– أخوك، الفقير، أغنى منَّا. انظر هذه العملة الذهبية التى التصقت من الذهب الذى كان يزنه بالميزان.

عندئذ ذهب الغنى إلى بيت الفقير وقال له:

– لكن، يا رجل، من أين أتيت بذهب إلى بيتك؟ لقد وزنته بالميزان، والتصقت هذه العملة الذهبية به.

عندئذ حكى له الفقير ما حدث معه وكيف دخل الكهف ليحمّل جحشه حقائب مليئة بالذهب.

– هل لا تزال هناك بعض حقائب الذهب باقية؟ سأله الغنى.

– أنا أعتقد– قال له الفقير– أنه يوجد الكثير.

ذهب الأخ الغنى إلى بيته دون أن يقول شيئا.

وصل إلى بيته سعيدا جدا وقال لزوجته:

– اسمعى، أنتِ، جهزى العربة الكارو والسلال لأذهب إلى الجبل لأجلب ذهبا، فأنا سألت أخى كيف وجد كل هذه النقود وقال لى إنه هناك، فى الجبل، توجد صخرة يقال لها "أيتها الصخرة، افتحى" فتفتح، ويوجد هناك الكثير من الحقائب المليئة بالذهب.

أعدا الجحشين والعربة الكارو والسلال، وذهب الأخ ليبحث عن صخرة الجبل. وصل وقال:

– أيتها الصخرة، افتحى.

وفتحت الصخرة ودخل. وكان هو هناك يجمع حقائب الذهب عندما وصل اللصوص وسألوه:

- ماذا تفعل هنا؟

فقال:

- أجمع الحطب.

- إذن فلا تجمع حطبًا سيئا، أجابوه هم.

عندئذ أخرج سكينا وقتل زعيم اللصوص. فأمسكه الباقون وقطعوه قطعًا صغيرة وتركوه هناك ميتا.

وعندما لم يعد الأخ الغنى، ذهب الفقير للبحث عنه ووجده ممزّقا.

عاد إلى البيت محطما وقال لزوجة أخيه:

- أتعرفين أنهم قتلوا أخى بسبب جشعه؟

لكن الزوجة، ذهبت بكل حيوية، وحملت الجثة إلى إسكافى وكلفته بأن يخيطها جيدا. وخيطها الإسكافى.

بعد قليل جاء أحد اللصوص وقال للإسكافى:

- يا عم الإسكافى، أنت مستيقظ مبكرا جدا.

- كان علىّ أن أعمل، ولهذا استيقظت مبكرا.

- وهذا الدم، دم من؟ قل لى الحقيقة وسأعطيك حقيبة مليئة بالنقود.

- سأقول لك الحقيقة. هذا دم رجل خيطتُه هذا الصباح.

- وهذا الرجل، أين هو؟ سأله اللص.

قال الإسكافى:

- فى ذلك البيت.

فى اليوم التالى، ذهب اللص على الباب وقال للزوجة:

– سيدتى، هل يمكننى أن أترك هذه الليلة إحدى عشرة قربة زيت، يجب أن أذهب غدا لبيعها؟

وقالت له هى:

– حضرتك يمكنك تركها، فستكون هنا فى أحسن حال حتى الصباح. لكن بداخل هذه القرب كان الأحد عشر لصًا مختبئين.

شكت المرأة فى أن هذا ليس زيتا، وفى الليل، سخنت ماء وأخذت ترمى على كل منهم إناءً، واحترقوا جميعا بالماء الساخن.

فى الصباح الباكر استيقظ الزعيم الجديد وقام بعمل إشارة لهم ملقيا على كل قربة بعض الأحجار الصغيرة. لكن لأنه رأى أنهم لا يتحركون، قال للمرأة إنه راحل ومعه قربه.

لكن قالت هى له:

– لا تذهب الآن يا سيدى. انتظرْ، سنرقص. وبينما كانا يرقصان، أخرجت سكينًا وقتلته.

١٦- الرفيقان

كان هناك عامل فقير، وكان قد انتهى لتوه ومعه حماره، من بيع حمولة شمام، مقابل ثلاث پيسيتات. وكان خائفا من أن يسرقه أحد فى طريق عودته إلى قريته. وقال الرجل:

- أين أضعها؟ فى جيبى، لا. فى المحفظة، لا أيضا. سأضعها فى مؤخرة الحمار.

وهكذا فعل. وضع كل البيسيتات، واحدة وراء الأخرى، فى مؤخرة الحمار.

وصل إلى قريته ونظر حوله، حيث كان سيمر من أمام بيت رفيقه، الذى كان غنيا جدا وكان يدين له بخمسين دورو. قال رجلنا:

- سيكون من الأفضل أن أسرع، حتى لا يظهر لى الرفيق.

أعطى الحمار ضربة بالعصا، فانطلق الحمار وأخرج پيسيتات. وفى أثناء هذا خرجت الرفيقة على الباب، ورأت كل ما حدث، ولأن الرفيق ضربه بالعصا فأخرج پيسيتات أخرى، وعصا أخرى وپيسيتات أخرى. وأخذت النقود تتساقط، حتى إن العامل أخذ يجمع من الأرض.

- أوه، أيها الرفيق، تعال إلى هنا!

لم يكن أمام الرجل حلٌّ آخر غير أن يعود. قالت الرفيقة:

- هل تبيع لى هذا الحمار؟

- لا، أيتها الرفيقة، لأننى أكسب عيشى به وكما ترين فهو يعطينى پيسيتات كثيرة. ركزى حضرتك، ضربه بالعصا مرة أخرى وأخرج الحمار پيسيتا أخرى.

عندئذ قالت المرأة:

– أيها الرفيق، ألست مدينا لزوجي بخمسين دورو؟

– حسنا، حسنا– قال الرجل– سأعطيك الحمار وسنبقى في سلام. أوه، الآن أصبح لديك صاحب آخر! قال للحمار وأعطاه ضربة أخرى، فأخرج آخر پيسيتا.

– اهدأ، أيها الرفيق، فهكذا لن يتبقَّ لنا شيء. وقل لي حضرتك، ماذا يأكل الحمار وأين يجب وضعه؟

– انظري حضرتك. الحمار يأكل الحمص فقط. حمصا كثيرا وماءً كثيرا. الحمص في طبق أنيق والماء في كوب من الكريستال. ويجب إبقاؤه في الصالون، لأنه سينيوريتو جدا. بالطبع! فهو يستحق العناء!

أمرت المرأة بعمل طبق كبير وأنيق وكوب كبير جدا من الكريستال. حبست الحمار في الصالون ورمت له كيسا من الحمص وماءً.

في الليل، وصل زوجها، وقالت الزوجة، وهي سعيدة جدا:

– انظر، يا زوجي العزيز. لقد عقدت صفقة رائعة. لقد تبادلت الخمسين دورو التي كان رفيقك مدينا لك بها في مقابل حمارٍ يُخرج پيسيتات.

– هيا يا امرأة، لا تكوني حمقاء، سنرى هذا الأمر. منذ متى كان لدى رفيقي حمارٌ كهذا؟

ذهبا حينئذ إلى الصالون ولم يستطيعا فتح الباب. وأخذا يدفعان، ويدفعان، ولم يحدث أيّ شيء. وكأن هناك شيئا ثقيلا جدا وراء الباب.

– أترى، يا زوجي العزيز؟ لا يمكن فتحه بسبب وجود پيسيتات كثيرة.

في النهاية، استطاعا أن يفتحاه قليلا ورأيَا الحمار مستلقيا على الأرض، وبطنه منتفخًا من كثرة أكل الحمص ومن كثرة شرب الماء. لم تعد الغرفة تسع الحمار فانفجر.

عندما رأى الزوج هذا، وبخ زوجته بشدة وخرج يستشيط غضبا بحثا عن رفيقه.

أما الرفيق، الذى كان يشم بالفعل رائحة الشياط، فكان مستعدا. كان قد اشترى أرنبين أبيضين، متشابهين. وبعد أن تكلم مع زوجته وأعطاها التعليمات، ترك لها أحدهما وذهب بالآخر إلى الحانة.

وبمجرد أن خرج، ظهر الرفيق الغنى أمام البيت:

– أيتها الرفيقة! أين زوجك عديم الحياء؟

– أوه، لماذا تقول هذا حضرتك؟ لم يفعل زوجى شيئا غير أنه خرج من الباب. إذا كنت قد أتيت حضرتك قبل دقيقة، لكنت وجدته هنا. لكن اجلس يا رجل؛ اجلس، فأنت غاضب جدا. سأرسل الأرنب فى الحال ليبحث عنه.

– ماذا تقولين؟ أىّ أرنب؟

– أىّ أرنب عساه أن يكون؟ الأرنب الذى يقوم بقضاء الطلبات لنا.

– آه، لكن...!

– نعم يا سيدى، ستراه على الفور.

ذهبت الرفيقة إلى الداخل وعادت والأرنب الأبيض بين ذراعيها. وضعته على الباب وقالت له:

– هيا، أيها الأرنب الصغير، اركض إلى الحانة واطلب من زوجى أن يأتى فى الحال، فرفيقه ينتظره.

أما الأرنب فقد انطلق، بالطبع، ومر راكضا من أمام الحانة. ذهب إلى الحقل ولم يعد حتى الآن. لكن الرجل الذى كان فى الحانة، والذى رآه يضل طريقه، بدأ الطريق، ومعه الأرنب الآخر بين ذراعيه، وحضر إلى بيته فى لحظة. ولم يستطع الرفيق الغنى تصديق هذا.

– ولكن هل هذا ممكن؟

– ما الممكن؟ موضوع الأرنب؟، آه، ألم تكن حضرتك تعرف؟

– انظر، أنا لم أكن أعرف هذا. اسمع، كم تريد فى هذا الأرنب؟

- أنا؟ هذا الأرنب لا يباع، أيها الرفيق. ألا ترى حضرتك أننى معه لا أحتاج إلى خادمة؟ حضراتكم الأغنياء، يمكنكم أن تدفعوا لها، لكن نحن...

- بِعْهُ لى يا رجل. سأدفع لك ما تطلبه.

- حسنا. ما دمت مصراً. سأفعل هذا من أجلك فقط، فإذا لم يكن من أجلك أنت... حسنا، أعطنى خمسين دورو قبل أن أندم.

وفى الحال أعطاه الرفيق الغنى خمسين دورو وذهب بأرنبه إلى بيته. وصل مليئا بالسعادة وقال لزوجته:

- انظرى يا زوجتى العزيزة. لقد قمت بصفقة رائعة. اشتريت أرنبا يقضى الطلبات بخمسين دورو.

- ماذا تقول؟

- نعم يا امرأة، سترين بنفسك. انظرى، منذ وقت طويل وأنا أرغب فى دعوة السيد العمدة على الطعام. ولهذا ستقومين أنتِ بإعداد طعام شهى وأنا سأرسل الأرنب ليبلغه.

- هيا، أيها الأرنب الصغير، اذهب ركضا إلى بيت السيد العمدة، وقل له إننا ندعوه على الغداء!

وضع الرجل الأرنب على باب البيت وخرج الحيوان مندفعا.

- هل رأيت سرعته يا امرأة؟

- السرعة، نعم. شيء آخر.. لا أدرى، لأنه يبدو لى أن هذا مثل الحمار الذى يخرج بيسيتات.

- اسكتى يا امرأة! كيف سيفعل رفيقى هذا بى؟ هذا يفعله بك أنتِ، لأنكِ حمقاء.

مرت فترة طويلة وخانت ساعة الأكل. لم يكن يفعل الصياد الغنى شيئا إلا أن يُطِلّ من الباب، ليرى ما إذا كان الأرنب أو العمدة قادما، ولكنه لم يَرَ أحدا، وكانت تدخل ناموسة كل مرة يفتح فيها الباب.

– ألم أقل لك؟

– اصبرى، يا امرأة، اصبرى.

ولكن مرت ساعة أخرى، وكان قد حلّ المساء، ولم يأكلا، وكانا ينتظران جائعين! أن يظهر العمدة أو الأرنب السعيد.

– هيا، فأنت تظلّ أكثر حماقة منى، قالت الزوجة.

عندئذ قفز الرجل وقال:

– سيعرف الرفيق حالا من أنا! وخرج يسبّ ويلعن، مستعدا لما سيحدث.

لكن الرفيق، الذى كان يعرف جيدا ما سيحدث، كان ينتظره بحيلة أخرى من حيله. كان قد اشترى مثانتى عجل، وملأهما بالدم، وقال لزوجته:

– ضعى هاتين تحت مريلتك، بينما سأتظاهر أنا بالنوم.

فى هذه الأثناء، وصل الرفيق الغنى غاضبا جدا:

– أين زوجك، لأطعنه الآن؟

– أوه، يا إلهى! اهدأ أيها الرفيق، سأقول لك شيئا. زوجى يأخذ قيلولة، ويستيقظ بمزاج سيئ جدا. ولهذا لا أجرؤ على إيقاظه، لأنه سيكون عصبيا وقد يفقد أعصابه معى.

– ادخلى الآن وأيقظيه، فأنا لا أسيطر على نفسى!

– حسنا يا رجل. لكننى أنا لا أجرؤ على الدخول. سأناديه من هنا: زوجى! زوووجى!

عندئذ خرج الآخر وكأنه غاضب جدا وممسكا بسكين فى يده:

– ألم أقل لكِ ألا توقظينى عندما أنام قيلولتى؟ الآن سترين!

وذهب فى اتجاه زوجته وضربها طعنتين فى بطنها. وبالطبع، فى الحال، سالت الدماء! وصرخت المرأة وارتمت على الأرض، كما لو كانت ميتة.

– يا رفيق، يا لك من وحشى! قال الغنى.

– لا تقلق يا رجل. هذه ليست أول مرة يحدث فيها هذا.

أخذ جيتارا وأخذ يعزف لزوجته الملقاة على الأرض.

– ولكن ماذا تفعل أنت؟ هل جننت؟ هل ستعزف لها الجيتار أيضا بعد كل ما فعلت؟

– انتظر يا رجل، سترى الآن. سأعزف لها ثلاث مقطوعات من موسيقى الفاندانجو وستكون بخير.

وعلى الفور بدأت الأخرى تحرك رقبتها كما لو كانت تعود إلى الحياة. وأفاقت منتعشةً جدا.

– أيها الرفيق، كم تريد فى هذا الجيتار؟

– الجيتار؟ هذا بالذات مستحيل. ألا ترى أننى أقتل زوجتى كثيرا؟ لولا الجيتار، لأصبحت أرمل. هذا أمر غير قابل للنقاش.

– هيا يا رجل، لا تكن هكذا. تذكر أن كل أطفالك تقريبا تم تعميدهم على يدى، وأحبهم مثل أطفالى.

– حسنا يا رجل، فأنت حركت مشاعرى...، كفى... هيا، خمسين دورو ولن نتحدث فى الموضوع مجددا!

دفع الغنى بحماس الخمسين دورو وعاد إلى بيته فى منتهى السعادة، ومعه الجيتار.

– والآن، ماذا يعنى هذا الجيتار؟

– اسكتى يا امرأة، فبخمسين دورو اشتريت من رفيقى هذا الجيتار الذى يعيد الموتى إلى الحياة.

وبمجرد أن سمعت الزوجة هذا، خرجت تركض وكأن شيطانا ركبها، ولكن خرج الزوج يجرى أيضا وراءها وفى يده سكين، وهو يقول لها:

- لا تجرى يا امرأة، فلن يحدث لكِ شىء! سترين!

حتى وصل إليها وطعنها بالسكين مرتين أو ثلاثا. وفى الحال ماتت الأخرى.

بدأ الغنى يعزف على الجيتار، فاندانجو مرة، مرتين، ثلاث مرات. لكن لم يحدث شىء؛ الميتة ميتة. فاندانجو أخرى، وأخــرى، وأخــرى، والمرأة، المسكينة، على الأرض لا تتحرك. وبقيت هناك.

أخذ الآخر يشدّ شعره ويصرخ، حالفا أن ينتقم. اجتمع مع بعض الأصدقاء، وشرح لهم ما حدث معه وذهبوا إلى الرفيق. هذه المرة، لم يسعفه الوقت ليجهز حيلة أخرى، وعندما حضر الآخرون تركهم يأخذونه. ذهبوا ووضعوه فى كيس، وكانوا يحدثون ضوضاء كبيرة، كما لو كانوا سيلقونه فى النهــر. وعندما مروا أمام الحانة، قال الغنى:

- أنا أدعوكم على كأس نخب موت هذا الشرير.

دخل الجميع الحانة وتركوا الكيس فى الشارع. وفى هذه الأثناء مرَّ راعى ماعز، وكان يأخذ قطيعه إلى الجبل، وسمع صوتا يصيح داخل الكيس:

- النجدة، أخرجونى من هنا! أخرجونى من هنا!

اقترب الراعى وسأله ماذا به.

- إنهم يريدون أن يزوجونى ابنة الملك وأنا لا أريد، أجاب الآخر.

- ماذا يمكننى أن أفعل أنا؟

- إذا أردت، ضع نفسك فى الكيس وستتزوج بابنة الملك، لأن الملك قال إنه سيفعل هذا مع أول شخص يحتمل رحلة من هنا إلى مدريد موضوعا داخل كيس.

- إذن لا بدّ أن أتزوج من ابنة الملك. قال الراعى.

فك الكيس، وخرج الرفيق الفقير ووضع الراعى نفسه بالداخل. وربط الآخر الكيس مرة أخرى وذهب بالماعز. خرج الآخرون من الحانة، بعد أن شربوا كثيرا، وحملوا الكيس وعندما وصلوا إلى النهر ألقوه. وبالطبع، غرق الراعى المسكين.

كانوا عائدين إلى القرية مرة أخرى، عندما سمعوا قطيعا من الماعز قادما. نظروا وراءهم، ورأوا الرفيق الفقير مع القطيع. صار الجميع مذهولين، خاصة الغنى أكثر من أىّ شخص آخر، ولم يستطع حتى أن يتكلم. وهكذا جاء آخر وقال:

– اسمع، ألم نلقك فى النهر منذ لحظة؟

– نعم، أعتقد هذا. ولكن انظروا حضراتكم فقد يكون هناك ماعز أو خرفان داخل الماء، فكلما كان العمق أكثر، خرجت ماعز أكثر.

اقترب الآخرون من الضفة ورأوا كل الماعز منعكسة فى الماء، وبما أنهم كانوا أنصاف سكارى، تقدموا وأخذوا يلقون بأنفسهم. وكان أولهم، الرفيق الغنى، وبما أنه لا أحد منهم يمكنه السباحة، فإنهم سيظلون هناك ولا يزالون يبحثون عن الماعز فى الماء.

وتوتة توتة، فرغت الحدوتة!

١٧- الإسكافى الفقير

كان يا ما كان، كان هناك إسكافى فقير يعيش فى قرية مع زوجته وأولاده السبعة. وكانوا دائما فقراء جدا، جدا جدا، لكن سعداء جدا. وكان أكثر ما يجنيه مقابل تصليح حذاء ريالاً واحداً، ومرت أيام قضوها تقريبا من دون أكل، ولكن كانوا دائما سعداء. كانوا يقومون بكل الأعمال وهم يغنون وكان الأولاد يذهبون ويجيئون ومعهم ألعابهم دائما.

كان يسكن أمامهم، زوجان غنيان جدا، جدا جدا. ورغم أنهما لم يكن ينقصهما شيء، كانا دائما غير سعيدين. وكانت الزوجة تقول لزوجها:

- انظرى إلى عائلة الإسكافى الفقير هذا. فقراء جدا دائما، لكن دائما سعداء جدا ومسرورون. ونحن، الذين لا ينقصنا شيء ولدينا كل ما نحتاج إليه، لا نكون سعداء أبدا.

ذات يوم، عرفا أن زوجة الإسكافى حامل مرة أخرى، فذهبت زوجة الغنى وقالت لزوجها:

- بما أنهم فقراء جدا، فنحن سنقوم بإنقاذهم. وعندما تلد هى، سنعمد ابنها أو ابنتها. وبما أننا سنصير عرابين، فعلى الأقل يجب أن يكون لهم بيتٌ راقٍ وشيء يأكلونه.

- حسنا يا زوجتى- قال الزوج- سنعطيهم البيت الذى هناك والمزرعة التى يصل مكسبها إلى أربعين ألف ريال.

أرسل الغنى غلاما ليبلغ الإسكافى أنه يريده أن يأتى إلى بيته.

– فى ماذا يريدنى هذا السينيور؟ قال الإسكافى، وذهب ليرى ماذا يريد منه، وهو يرتعش من الخوف، كما يفعل الفقراء دائما.

– أتسمح لى حضرتك؟ سأل على الباب.

– ادخل حضرتك، يا رجل. ادخل واجلس، فنحن سنصبح أصدقاء.

اندهش الإسكافى كثيرا وسمع ما كان يقوله الآخر.

– زوجتى وأنا فكرنا فى أن نكون عرابين للطفل القادم فى الطريق إلى بيتكم، وحتى تتمكنوا حضراتكم من استقباله جيدا، سنهديكم البيت الموجود هناك ومزرعة تكسب أربعين ألف ريال، وبالإضافة إلى هذا، سأعطيكم النقود مقدما هذا العام.

– لكن يا سيدى، لماذا تفعل لنا هذا المعروف الكبير؟

– بصراحة لأننى أنا وزوجتى ليس لدينا أطفال، ونريد أن نساعدكم لتصبحوا عائلة كبيرة جدا.

فى نفس ذلك اليوم، وضع الإسكافى الأربع خرامات التى كانت لديه وبعض الخردة أيضا فى صندوق وذهبوا ليعيشوا فى البيت الجديد، الذى كان كبيرا وجميلا جدا. وبما أن الغنى كان قد أعطاه نقودَ مكسب المزرعة مقدما، لم يكن الإسكافى الفقير يعرف أين يضعها. مرة يضعها تحت السرير، ثم يضعها فى المرتبة، بعد ذلك يحفر حفرة فى الفناء. وضعها فى كل الأماكن وأخرجها. وعندما حل الليل، أغلق كل الأبواب والشبابيك بإحكام، حتى لا يدخل أحد ويسرقها.

وكان يرسل أبناءه وهو جالس فى السرير للتأكد من أن كل شىء مغلق جيدا، وفى النهاية، لم يغمض له جفن، لا هو ولا كل العائلة. وهكذا قضوا بضعة أيام دون أن يجرؤوا حتى على الخروج إلى الشارع، وكانوا لا يقومون إلا بعدِّ النقود دون نوم أو أىِّ شىء آخر. ذات يوم، قالت له زوجته:

– اسمع، أرأيت أننا لم نعد سعداء، ولا نغنِّى ولا شىء، بعد أن أصبحت لدينا نقود كثيرة؟ دائما نمشى ونحن نقول "أغلق الباب"، "أغلق الشباك" وليس هناك شخصٌ سعيد فى هذا البيت. فيم تنفعنا النقود الكثيرة؟ قبل ذلك كنا نذهب للنوم دون مشاغل والآن ننام ونحن نفكر أن أحدا سيسرقنا. أتدرى ماذا؟

- ماذا؟

- تذهب الآن وتأخذ النقود وتعيدها إلى ذلك الرجل.

وافق الإسكافى وفى الحال ذهب إلى بيت الأغنياء، وقال لهم:

- شكرا جزيلا على كل الذى أردتمـا منحتنا إياه. ولكن لأننا لسنا معتادين على امتلاك كل هذه النقود، فنحن لسنا سعداء. لهذا سنعود إلى بيتنا الصغير فلنكنْ كما كنا، وها هى الأربعون ألف ريال.

وعندما رحل، قالت زوجة الغنى:

- أرأيت!

وقال الزوج:

- هذا يثبت كيف يكون الفقراء، وأن إنقاذهم لا يفيد بشىء. فهم يعجبهم أن يكونوا فقراء.

وبعد ذلك بأيام قليلة، كان الإسكافى وزوجته يعيشان فى سعادة كبيرة مرة أخرى؛ هو يدق النعال وهى تغنى كثيرا وهى تقوم بأعمال البيت. وقفت زوجة الغنى لتسمعها وقالت لزوجها:

- انظر إليها . فقريبا ستصل بطنها إلى فمها، ولن تتوقف عن الغناء. أرأيت!

١٨- الإسكافى والخياط

ذات مرة، كان هناك إسكافى يدين بالمال لكل جيرانه فى القرية. يدين لأحدهم بخمسين ريالا، ولآخر بثمانين، ولآخر بمائة... بحيث إنه لم يستطع أن يدفع للجميع، رغم أنه بسبع أرواح مثل القطط، لا بإصلاح ولا بتركيب نصف نعل لأحذية كل أولاد وأحفاد دائنيه. وكان أقل شخص يدين له هو الخياط، وكان يدين له بريال واحد.

كان الأشخاص الذين يدين لها بالمال، يضغطون عليه كثيرا، حتى قال لزوجته ذات يوم:

- لا يمكننى أن أدفع بأىّ حال من الأحوال. وهكذا، فإن أفضل شىء يمكننى فعله هو أن أموت. وبهذا، سيسامحنى كل من أدين لهم.

لكن بالطبع، ما كان يقصده هو أن يتظاهر بأنه مات. وأن يجعل كل الناس تصدق أنه مات، ويهرب من القرية فى أسرع وقت ممكن. حسنا، تظاهر هو بأنه ميت وأخذت زوجته تمشى فى كل مكان وتقول هذا الخبر وتبكى وتولول. ماذا كان يمكن للناس أن تفعل؟ لنرى ما الحل: أن تسامحه على ديونه، وتصطحبه إلى الكنيسة فى الليل، وفى اليوم التالى إلى المدفن.

لكن الخياط، الذى كان يدين له بريال واحد، لم يوافق. وقال: "هذا الريال سيُدفع لى بأى شكل"، وفكر فى البقاء تلك الليلة فى الكنيسة، عندما لا يكونون موجودين بجانب الجثة، ويخلع عنها سترتها، التى كانت تساوى ريالا.

وهكذا كانوا يحملون الإسكافى على نعش إلى الكنيسة، وتركوه هناك مع شموعه الأربع، لأنه جرت العادة على ألا يدفنوه إلا فى اليوم التالى. استغل الخياط غفلة من

الآخرين ودخل تحت ثنيات النعش السوداء. انتظر فترة، بعد أن شعر بأن آخر واحد قد خرج. ولكن فى هذه الأثناء، دخلت الكنيسة عصابة من اللصوص هاربين من العدالة. وهناك، أمام التابوت، أخذوا يقسمون كيس النقود الذى سرقوه.

– هذا الجزء لك، وهذا لك، وهذا، لك، لك..

وهكذا ظل يقول زعيم العصابة. وعندما انتهى من التوزيع عليهم هم الخمسة، تبقى جزء آخر، وقال أحدهم:

– وهذا، لمن؟

وأجاب الزعيم:

– هذا لمن يستطيع أن يطعن الميت بسكين.

بقى الجميع صامتين ولم يتجرأ أحد، لكن فى النهاية، قال أحدهم، أكثرهم شرا:

– أنا سأفعل.

وذهب فى اتجاه الإسكافى، الذى كان يسمع كل شىء، وهو ميت من الخوف. وعندما رأى الآخر يرفع يده ليطعنه بالسكين، صاح:

– ليخرج كل الموتى!

أما الخياط الذى كان ميتا أكثر منه حيا، أجاب:

– ها نحن هنا جميعا معا!

خرج الذى كان يمسك بالسكين وباقى اللصوص يركضون مفزوعين، وتركوا هناك تلال النقود.

خرج عندئذ الخياط من تحت النعش وقال للإسكافى:

– أنت ميت، ها؟ الآن ستعطينى ريالى، يا عديم الحياء!

– ريالك؟ لكن يا رجل، كيف تتذكر ريالك الآن، مع كل هذه النقود التى لدينا نحن الاثنين الآن؟

– ولا شيء، لا شيء، أنا أريد ريالى، ريالى، قال الخياط.

أما اللصوص، فبعد أن هربوا فى البداية، فكروا فى الأمر بشكل أفضل. وقال أحدهم:

– هل من الممكن أن، نخاف نحن المجرمين، من الموتى؟ الآن سنعود.

وعادوا، لكن قبل أن يدخلوا الكنيسة، وقفوا على الباب يستمعون وسمعوا الخياط يقول:

– إذا لم تعطنى ريالى، سأفتح بطنك!

وقال اللص:

– آووه! لا بد أنه يوجد الكثير من الموتى بالداخل، فمع كل نقودنا هذه ويتنازعون على ريال! وبهذا المزاج السيئ الذى لديهم! سيكون من الأفضل أن نرحل.

وخرجوا يركضون مرة أخرى ولم يعودوا إلى الآن.

١٩- القضايا الخمس

كان هناك رجل فقير عنده كثير من الأولاد وقد عمّدهم كلهم نفس العراب، الذى كان غنيًا.

ذات يوم، قال الرجل الفقير لزوجته:

- انظرى، سأذهب إلى بيت العراب لأطلب منه قطعة أرض لأزرعها بستانا، وسندفع له بعد ذلك قليلا بقليل؛ فلدينا كثير من الأولاد، ومن الضرورى تشغيلهم.

وصل الرجل، وكانت العرابة هى الموجودة فى البيت، وقال لها:

- أيتها العرابة، أتيت لأطلب من حضرتك معروفا.

- قل لى ماذا تريد أيها الرفيق.

- انظرى حضرتكِ، المروج التى لدى حضرتك دون زراعة ولا أى شىء... إذا أردتِ حضرتكِ إعطائى جزءًا صغيرًا من الأرض لأزرعها بستانًا... وبعد ذلك، سنستطيع، أن ندفع شيئا فشيئًا.

- أيها الرفيق، دون حاجة إلى أن تدفع حضرتك لى أى شىء، انتزع ما شئت حضرتك وخذه لنفسك.

عمل الكثير من الفقراء، بجد، وبما أنهم لم يكن عليهم دفع أى مقابل، زرعوا مساحة كبيرة وعملوا بستانا جميلا. وأخذ ينمو فى البستان شجر كمثرى جميل جدا، وقالت الأم للأولاد:

- اذهبوا واحملوا بعض الكمثرى للعرابة.

أحضروا لها الكمثرى وقالوا لها:

– أيتها العرابة، هذا لتجربى حضرتك الكمثرى التى تنمو فى البستان.

وقالت العرابة:

– يا أولادى، يثمر البستان كمثرى فى منتهى الجمال!

وقال الفتى:

– انتظرى فقط حتى ينضج المشمش، سترين حضرتك كم هو لذيذ!

عندما جاء زوجها، قالت له:

– انظر لهذه الكمثرى الشهية التى أحضروها لى من بستاننا.

– لا يا امرأة؛ البستان بستانهم، فأنتِ قلتِ لهم أن يزرعوا كل ما يريدون.

قالت الزوجة إنها لن تفوّت هذا الأمر، وأنها ستقاضيهم. استطاع الزوج أن يهدئها عندئذ؛ لكن عندما وصل المشمش، قالت لزوجها:

– هذه المرة لن تمرّ! اذهبْ إلى المحكمة لتقاضيهم!

لم يكن أمام الرجل إلا أن يرفع شكوى ليرضى زوجته.

كان عليهم أن يرفعوا الشكوى فى قرية مجاورة بها محكمة. بدأ العراب الغنى والرجل الفقير الطريق. كان العراب الغنى يمشى ممتطيا حصانا وكان الفقير يحمل كيس طعامه على كتفه.

وتقابل الذى كان راكبا، مع رجل فى الطريق، سقط منه الحمار، وطلب منه معروفا هو أن يساعده فى رفعه.

– هذا ما كان ينقصنى الآن... لأنشغل بمساعدته.... وواصل طريقه.

وعندما جاء السائر على قدميه، قادما من الخلف، طلب منه أيضا أن يساعده على رفع الحمار. فقام بذلك بحماس حتى إنه نزع ذيله؛ وقال صاحب الحمار:

– سأقاضى حضرتك، لأنك نزعتَ ذيل حمارى.

وقال له البستانى الفقير:

- حسنا فهذا الذى يمشى فى الأمام أيضا سيقاضينى: فلتنضما إلى بعضكما.

ثم أكمل حامل كيس الطعام ووجد كيسًا به نقود: أخذه دون أن يرى حتى ماذا يوجد بداخله. جاء صاحب الكيس وقال:

- هل وجدت حضرتك كيسا؟

- نعم، يا سيدى؛ ها هو.

وأعطاه له.

قال له صاحب الكيس إنه ينقصه عشرون ريالا.

قال:

- لكن يا رجل، أنا لم أر حتى ماذا يوجد بداخله!

- إذن أنا سأقاضى حضرتك. قال الآخر.

- انضم حضرتك إلى هذين اللذين يمشيان هناك واجتمعوا ثلاثتكم.

وها هو الرجل مكتئب جدا بالثلاث قضايا، ولم يكن يعرف ماذا سيحل به. كان يمر فوق جسر نهر كان يوجد فى الطريق، ولما رأى أنه ملَّ كل هذا، قال:

- إذن أنا سألقى بنفسى من فوق الجسر.

فى العيون الأولى فى الجسر لم يكن هناك ماء وكان يوجد رجل عجوز يأخذ حمام شمس: وعندما ألقى بنفسه بالأسفل، سقط على الرجل العجوز وقتله. رأى حفيد صغير ما حدث لجده وقال للبستانى:

- حضرتك قتلت جدى وأنا سأقاضيك.

- إذن يا بنى انضم إلى هؤلاء الثلاثة ولتصبحوا أربعة.

وصلوا إلى بيت مراكبى ذلك النهر. مر المراكبى بمركبه على الأربعة الذين كانوا يمشون فى المقدمة وعندما وصل هو لم يتمكن من العبور. جلس على باب البيت وأنزل الكيس ليأكل لقمة. وعندما كان يتناول طعامه، خرجت زوجة المراكبى وطلبت أن يعطيها من الخيار الذى كان يأكل منه. قال لها إنه لن يعطيها الخيار لأن زوجها لم يدعه يركب المركب. أما الزوجة، التى كانت حاملا، فأُجهضت بسبب الغضب. غضب الزوج كثيرا وقال له إنه سيقاضيه.

تركه المراكبى يمر وذهب معه إلى القرية.

ووقفوا أمام القاضى.

أمرهم السيد القاضى بأن يأتوا بترتيبهم وأن يقول كل منهم ما يجب عليه قوله؛ بحيث كان البستانى هو أول مَنْ تحدث، وقال إنهم أعطوه قطعة أرض دون أن يأخذوا منه فوائد، وإنه بعد أن زرع البستان قالوا له إنه بستانهم.

– البستان بستانك والآن سنقوم بتوقيع الأوراق، قال القاضى للرجل الفقير.

اشتكى صاحب الحمار من أنه نزع ذيل الحمار وهو يرفعه.

– سيأخذ هذا السينيور الحمار حتى ينمو له ذيل آخر.

قال الآخر:

– وجد السينيور حقيبتى وينقصنى عشرون ريالا.

– إذن سيحتفظ السينيور بالحقيبة لأنه لم يلمسها. إذا كان لصا لنقصك أكثر.

– إنه قتل جدى– قال الصبى– عندما ألقى بنفسه من على الجسر.

قال له القاضى:

– إذن فليجلس هذا الرجل حيث كان جدك، وأنت ترمى نفسك، وسنرى إذا كنت ستتمكن من قتله.

– عندئذ يا سيدى قد أقتل نفسى أنا.

– حسنا إذن اتركه كما هو.

عندئذ أخبرهم صاحب المركب عن الإجهاض الذى حدث لزوجته عندما لم يحقق لها البستانى رغبتها الملحة.

وقال القاضى:

– إذن فليذهب البستانى لعلاج الإجهاض.

(٤) نساء مشاكسات

٢٠- الزوجة المتسلطة

كانت هناك امرأة جميلة جدا، لكنها كانت متسلطة جدا. جدا، إلى درجة أنها قتلت ثلاثة أزواج لأنهم لم يفعلوا لها ما كانت تريد. لقد تزوجت ثلاث مرات وأصبحت أرملة ثلاث مرات لنفس السبب.

أحبها رجل آخر من نفس القرية، وبدأ يغازلها. وقال له أصدقاؤه:

- لكن، يا رجل، هل جننت؟ ألا تعلم أنه لا أحد يتحمل هذه المرأة، وأنها دفنت ثلاثة أزواج لأنهم لم يرغبوا فى أن ينفذوا ما كانت تطلبه؟ تذكر أن آخر زوج منهم مات من فورة غضب، لأنه صمم على أن يتعلم عزف الماندولين، وذهبت هى وكسرت له الماندولين الذى كان قد اشتراه لتوه، وقالت له إنها لا تحب الموسيقى.

لكنه أجابهم:

- لكنها لا تخيفنى. سأتزوجها وسترون كيف لن تتمكن من أن تفعل هذا معى.

حسنا، وتراهنون إذن على من سيكسب منهما، هو أم هى عندما يتزوجان.

وتزوجا. وكانت هى معتنية جدا بثورين جميلين، وسمينين جدا، وبصحة جيدة جدا، كانا ملكا لها قبل الزواج. فذهب هو، ودون أن يستشيرها إطلاقا، أخذ الثورين واستبدلهما فى السوق باثنين نحيفين وعجوزين. واشترى أيضا ماندولين. عاد إلى البيت ووضع الثورين فى الحظيرة والماندولين فى الصندوق. ثم قال لزوجته:

– انظرى، بما أن هذا هو أول يوم فى زواجنا، سنأخذ جولة فى أرضى لتتعرفى عليها.

وهكذا فعلا. أعداً الحمارة وخرج الاثنان راكبين إلى الحقل. كان الناس يرونهما يمران وتقول:

– لنر كيف سيعود هذان آخر النهار.

إذن وصلا إلى الأراضى، وربط الرجل الحمارة فى غصن شجرة أخضر جدا. وذهب وقال للحيوان:

– انظرى أيتها الحمارة. إذا أكلت من الغصن، سأذبحك!

– لكن يا رجل! كم أنت وحشى! – قالت الزوجة– إذا ربطت الحيوان فى الغصن، أليس عليه أن يأكله؟

– اخرسى ولا تجادلى. فقد حذَّرتُها.

إذن أخذا جولة ليريا كل شىء، وعندما عادا، بالطبع، كان الغصن قد تساوى بالأرض، من دون ورقة.

– الأمر كذلك إذن! – قال الرجل للحمارة–. الآن سترين.

أخرج سكينا كبيرا جدا كان يحمله فى جيبه وطعنها ثلاث طعنات فى بطنها، فقتلها.

– يا لك من متوحش! قالت الزوجة.

– اخرسى ولا تجادلى. لقد حذرتك. وبما أننى لست معتادا على أن أحمل شيئا من هنا إلى القرية، خذى بردعة وخطام الحمارة وهيًّا بنا.

لم تتجرأ الأخرى على قول كلمة. أخذت البردعة والخطام وأخذت تمشى بسرعة. وعندما كانا على وشك الوصول إلى القرية، قال لها:

– انظرى كم أنا متعب، سأركب على ظهرك حتى نصل إلى البيت.

وركب على ظهرها، ولم تتجرأ على أن تقول أى شيء. لم يستطع الناس تصديق ما كانوا يرونه، لكنهم قالوا:

- حسنا، حسنا. سنرى ماذا سيحدث عندما تنتبه لما فعله بالثورين.

وصلا إلى البيت، وبعد أن استراحا قليلا، قال هو:

- لنذهب إلى الحظيرة لنر الثورين اللذين استبدلتُهما بالثورين اللذين كانا لديك.

ذهبا إلى الحظيرة، وبمجرد أن رأت الثورين، بدا عليها الانزعاج...

- ماذا! ألا يعجبانك؟ سأل.

- بلى يا زوجى؛ كيف لا يعجبانى؟ كل ما تفعله يعجبنى.

- آه، ظننت شيئا آخر.

وعندما رأى الزوج أن الأمور تسير على ما يرام، قال لنفسه: "لا يزال علىّ أن أروِّضها فى كل شيء". وذهب وقال لها:

- اسمعى، ألا تظنين أنه سيكون من الجيد أن يدخل الحمار فى الحظيرة مباشرة؟

- نعم صحيح، يا زوجى. كيف تريد أن أدخله؟

- أدخليه بالعكس.

وكانت الزوجة تشد ذيل الحمار لتدخله بالعكس. ولم يكن يريد، لكنها أخذت تشده، وتشده، وكانت على وشك أن تفقد أعصابها. لكن الزوج، أخذ المانولين الذى كان يحتفظ به فى الصندوق، وبينما هى تشد بكل قوتها، أخذ هو يغنى:

- آتٍ من السوق سعيدا،

لأننى اشتريت المانولين

تذكرى يا زوجتى العزيزة،

ما حدث للحمارة.

٢١- فى السر

يُحكى أنه كان هناك رجل، وعندما كان يُحتضر، نادى على ابنه الوحيد وأعطاه ثلاث نصائح: "لا تثق فى رجل أشقر؛ ولا تزرع صنوبر فى مزارعى، ولا تحكِ سرا لامرأة".

مات ذلك الرجل ولم يكن الابن يفعل شيئا غير التفكير فى سبب نصائح أبيه الثلاث له. ذهب ليرى مزارعه، التى لم يتم استغلالها بشكل جيد، وقال لنفسه: "على الأقل سأزرع صنوبر"، وعلى الرغم من الكلام الذى قاله له أبوه، زرع بعض أشجار الصنوبر. احتاج لاحقا إلى خادم ولم يجد فى القرية. ذات يوم، تقدم صبى أشقر، يقول له إنه سمع أنه يبحث عن خادم. نظر الآخر إلى الخادم بتشكك، ولكن، لأنه لم يجد أحدا غيره، عيَّنه لخدمته.

بعد ذلك بقليل، تزوج الرجل، وعندما كان قد مر عام على زواجهما، أراد أن يعرف إذا كان ما قاله له أبوه صحيحا أم لا، وقال لنفسه: "سأرى ما إذا كانت زوجتى تستطيع حفظ السر". نادى على متسول كان موجودا فى القرية، واتفق معه على أن يدفع له عشرين ريالا، بالإضافة إلى الطعام، فقط مقابل أن يبقى فى الحانة محبوسا حتى ينبهه هو أنه يمكن أن يخرج. وافق المتسول بكل سرور وأجلسه الرجل فى حانته مع كل ما يمكن أن يؤكل.

ثم ذهب إلى بيته، متظاهرا بالقلق الشديد. عندما رأته زوجته قادما، سألته:

– ماذا بك يا رجل، لماذا أنت حزين هكذا؟

وبعد برهة، أجابها:

– انظرى، سأقول لكِ، لأنكِ زوجتى. لكن لا تحكى لأحد مهما كان الأمر.

– لا تقلق يا رجل. كيف يمكننى أن أحكى لأحد؟

– حسنا. انظرى: كنت أصطاد عندما رأيت شيئا يتحرك بين الحشائش؛ ظننت أنه خنزير برى وأطلقت النار. وعندما ذهبت لأرى ماذا كان ذلك الشىء، وجدت المتسول، الذى تعرفينه. خلاصة الأمر أننى قتلته ودفنته حتى لا يعرف أحد. لكن بالله عليكِ ألا يفلت لسانك، فهذا سر بينى وبينك.

فى اليوم التالى، خرج الرجل من البيت وجاءت المزينة. وعندما رأت المرأة حزينة جدا، قالت لها:

– لكن ماذا بك يا امرأة؟

– ماذا بى؟ لا شىء، ماذا عساه أن يكون.

– هيا، لماذا إذن وجهك هكذا.

– ليس بى شىء يا امرأة.

– حسنا، إذا كنتِ لا تريدين أن تحكى لى... رغم أننا صديقتان مقربتان دائما.

عندئذ لم تتمكن المرأة من الكتمان وحكت الأمر لها:

– آه، سأحكى لكِ لأن دمى يحترق! لكن، حلفتك بأغلى ما عندك، لا تفكرى أن تقولى لأحد، فهذا سر كبير جدا.

– لا تقلقى، فسرُّك فى بير.

– حسنا انظرى: ما حدث هو أن زوجى، ذهب أمس للصيد، ودون أن يقصد قتل المتسول، لأنه ظنه خنزيرا بريا. آه، يا له من حزن عميق هذا الذى أشعر به!

خرجت المزينة من البيت، وقبل أن تصل لبيتها، قابلت إحدى الجارات. وقالت لها:

– أتدرين ما حدث؟

– أنا، لا.

– إنها مصيبة كبيرة، لكن لا تقولى لأحد، لأنه سر.

– لا تقلقى، لن أقول لأحد. أجابت الأخرى.

– لقد قتل جارنا المتسول. يقولون دون قصد.

– أووه يا إلهى. قالت الأخرى.

ذهبت إلى الدكان، وهناك باحت بالأمر، وهى تقول لكل الناس إنه سر. وفى خلال دقائق، كانت القرية كلها تعرف.

فى النهاية، وصل الأمر إلى مسامع القاضى، الذى أمر فى الحال بأخذ الصياد ووضعه فى السجن. ذهبت زوجته لتراه فى السجن وأخذت تبكى له طالبة السماح. لكنه طلب منها أن تذهب إلى البيت وألا تتحرك من هناك.

حسنا، إذن ذهبوا وقاضوا الرجل، وحكموا عليه بالموت. أمر القاضى أن يشنقوه على إحدى شجرات الصنوبر الموجودة فى مزرعته نفسها، وكانت كل القرية قد اجتمعت لترى كيف سيشنقونه. لكن مر الكثير من الوقت ولم يأت الشانق. لم يكن أحد يريد أن يفعل هذا، حتى وصل الخادم الأشقر، الذى كان قد عينه الرجل عنده، وقال إنه لا يهمه هذا. ورمى الحبل على رقبته، عندئذ قال الرجل:

– لحظة، يا سيدى القاضى! فأنا برىء.

ثم حكى له كل شىء. قال لهم أن يخرجوا له مفتاح حانته، الموجود فى جيبه، وأن يذهبوا ليتأكدوا من صحة كلامه. وهكذا ذهبوا وأخرجوا المتسول، الذى كان فى أحسن صحة، من السجق ولحم الخنزير اللذين أكلهما. لم يصدّق الناس ما كان يحدث، وشرح لهم الرجل الثلاث نصائح التى أعطاها له أبوه. وفى الحال أمر بقطع كل شجر الصنوبر، وطرد الخادم أمام كل الناس، وقال للقاضى بصوت عالٍ حتى يسمع كل الناس:

– والآن، يا سيدى القاضى، سأذهب إلى بيتى لأضرب زوجتى. لكن فى السر، لا تقولوا هذا الأمر لأحد!

٢٢- الزوجة الكسول

ذات مرة، كان هناك راعٍ، وكان سيتزوج بفتاة معروفة بالكسل.

- لا تتزوج هذه الفتاة- قالوا له- فهى ليست معتادة على العمل، وستدمر بيتك.

وكان الراعى يقول:

- لا أعتقد، فأنا لدى نظام الضرب بالعصا، التى بمجرد أن تراها، ستعمل أكثر مما أريد.

تزوج الراعى، ولم تكن زوجته تقوم من على السرير قبل الثانية عشرة ظهرا. وكانت تقضى باقى النهار فى الكلام مع جاراتها النساء.

- الأمور تسير بشكل سيئ - قال الراعى-؛ لن أفوِّت غدا دون أن أستعمل العصا لنر ما إذا كانت زوجتى ستهتم بالبيت.

فى اليوم التالى، عندما رأى أن زوجته لا تقوم من السرير، أنزل حقيبة كانت معلقة بمسمار، وأخذ يضربها بعصا شائكة من نبات الإيليكس، وكان يقول فى نفس الوقت:

- أيتها الحقيبة الكسول؛ الساعة الثانية عشرة ظهرا، ولا تزالين فى السرير؟ خذى!

كانت الحقيبة تقفز فى البيت مثل الكرة، وكان الراعى يكرر:

- خذى! عليكِ إشعال النار، وترتيب البيت؛ خذى أيتها الحقيبة! إذا لم تستيقظى غدا أبكر من اليوم، ستكونى مسكينة: خذى، خذى!

علق الحقيبة بالمسمار، وأعطاها بضع ضربات أخرى، وقال لها:

- إذا لم تغيرى حياتك، سأمزق جلدك.

عندما سمعت زوجة الراعى هذا الضرب، وضعت رأسها تحت غطاء السرير ولم تنطق بكلمة.

لكن فى اليوم التالى، استيقظت مبكرا جدا وبدأت تهتم ببيتها. وبعد وقت قليل، أصبحت أكثر امرأة كادحة فى القرية.

٢٣- الزوجة التى لا تأكل مع زوجها أبدًا

كان يا ما كان، كان هناك راعى ماعز وزوجته. كان المسكين يذهب كل يوم اثنين إلى الجبل ولا يعود حتى يوم السبت. كان نحيفا، نحيفا مثل القصب، وكانت زوجته سمينة، سمينة مثل شجرة البلوط العجوز. لكن، على الرغم من أنها كانت سمينة جدا، فإنه لم يرها تأكل أبدا. ولم تكن دائما على ما يرام ولا تأكل أى شىء. فكانت إما تشكو من معدتها، وإما تشمئز من كل شىء. المهم أنها لم تكن تأكل. ذات يوم، حكى الزوج الأمر لراعٍ آخر.

- أنا قلق جدا، لأن زوجتى لا تأكل.

قال الآخر:

- فعلا الأمر غريب، بكل هذه السمنة...

وقال الزوج:

- لا شىء، هى لا تأكل، لأنها دائما ليست بخير.

وأجابه الآخر:

- إذن فالبقرة التى لا تأكل مع الثور، إما تأكل قبله أو بعده.

- هى لا تأكل أمامى، قال الزوج.

والراعى الآخر:

- إذا حدث هذا معى، لشككت على الفور.

- وماذا كنت ستفعل؟

– أنا؟ كنت سأراقبها دون أن تنتبه.

عندما جاء يوم الإثنين التالي، ودع الراعي زوجته قائلا لها:

– ماريا، أراك السبت. اعتن بنفسك يا زوجتي. فأنتِ ستمرضين من عدم الأكل.

وقالت له ماريا:

– آه يا خوان! كم أتمنى هذا! لكن كل شيء يجعلني أرغب في التقيُّؤ. ياه، فأنا أغرق. هذه السمنة التي عندي ليست طبيعية!

حسنا، أخذ الآخر البهيمة وذهب إلى الحقل. لكن في منتصف الطريق، كان قد اتفق على مقابلة الراعي الآخر وطلب منه أن يهتم هو بالقطيع، لأن عليه أن يعود إلى القرية. دخل البيت دون أن تنتبه زوجته واختبأ في مخزن الحطب، حيث يمكنه أن يرى كل شيء من هناك. في هذه الأثناء، بدأت السماء تمطر مطرا خفيفا، دخلت ماريا إلى المطبخ، وهي تقول:

– آه يا ربي! في هذا الجو أشتهي أكل الميجاس.

أخذت رطل خبز وفَتَّتَتْه كله، وأضافت إليه قطعا من لحم الخنزير وطبخت ميجاس، وأكلتها بشهية رائعة. في منتصف اليوم، رآها زوجها ذاهبة إلى الحظيرة، وعائدة بثماني أو تسع بيضات؛ قامت بعمل عجة والتهمتها. في الليل، ذبحت فرخة، وألقتها في الماء الساخن ونتفت ريشها. وطبختها بالصلصة وابتلعتها كلها، وبللت رطلا آخر من الخبز وأكلته. وكل هذا وكانت السماء لا تزال تمطر.

عندما انتهت ماريا من الأكل، خرج خوان من مخبئه من باب الحظيرة ودخل مرة أخرى من الباب الرئيسي. قال لها:

– مرحبا، ماريا!

– أوه، يا للرعب! قالت الزوجة. ماذا تفعل هنا؟

– لا شيء، ولأن الجو كان سيئا جدا لم يتمكن القطيع من الخروج، قلت لنفسي: سأبقى قليلا مع ماريا، التي تركتها شبه مريضة. من فضلك ساعديني في جمع بعض الحقائب.

– أنا؟ هل تعرف ماذا تقول؟ فأنا كنت ميتة. طوال اليوم أتقيؤ! وعندى صداع وكل شيء.

– حسنا يا امرأة، لا تضغطى على نفسك. من الأفضل أن تدخلى فى السرير، فأنا سآكل شيئا وأعطى لك العلاج الذى قاله لى الطبيب على الفور.

– أوه، فعلا؟ هل ذهبت إلى طبيب؟ وكيف أنت جاف هكذا، مع كل ما يسقط هذا؟ ألم تمطر هناك؟

عندئذ أجابها خوان:

– نعم يا زوجتى، أعتقد هذا. فى البداية نزل بعض الرذاذ القليل، تماما مثل الميجاس. ثم قطع ثلج مثل قطع لحم الخنزير، ولولا أننى قد احتميت تحت كوخ كبير جدا مثل عجة عشر بيضات لكنت ابتلت مثل فرخة جاهزة لتنتيف ريشها. وانظرى، لقد وصف لى الطبيب لتوه خشبة الدردار.

وبدون أن ينتظر حتى تصل الأخرى إلى السرير، أعطاها ضربة جعلتها تفقد رغبتها فى الأكل لفترة.

٢٤- أنا اثنتان وأنتِ واحدة

يحكى أنه كان هناك زوجان بلا أطفال. وكانا متزوجين منذ سني طويلة. ذات يوم، جلسا لتناول العشاء، وكالعادة، أعدت ثلاث بيضات مسلوقة: واحدة لها، واثنتين لزوجها. لكن تلك الليلة، لا أدرى ماذا حل بالزوجة، وقالت:

- انظر، لقد سئمت من أن تأكل أنت كل ليلة بيضتين وأنا واحدة. الليلة سيحدث العكس: أنتَ واحدة وأنا اثنتان.

- ولا كلمة. أنا اثنتان وأنتِ واحدة. كالعادة.

- لماذا؟

- لأننى أقول هذا، وفى هذا البيت السلطة للزوج.

- مستحيل. هذه الليلة، أنتَ واحدة وأنا اثنتان.

- لا.

- نعم.

وظلا يتشاجران هكذا لفترة ولم يتنازل أىٌّ منهما. وعندما تعب الزوج، قال:

- بما أنكِ مصممة، سأموت.

- إذن فلتمت.

عندئذ تظاهر هو بالموت وخرجت هى إلى الشارع تصرخ:

- آى، زوجى الحبيب مات! آى، لقد مات!

جاء القسيس وجهزوا للدفنة. وكانوا يحملونه إلى المدفن، عندما اقتربت الزوجة من النعش، وهى تقول:

- اتركونى أقبّله للمرة الأخيرة!

وبهذه الحجة اقتربت من وجهه وقالت له فى أذنه:

- أنت واحدة وأنا اثنتان.

وأجاب الآخر بصوت منخفض جدا:

- أنا اثنتان وأنتِ واحدة.

واستمرت مراسم الدفن. وكانوا على وشك الوصول إلى المدفن، واقتربت هى مرة أخرى:

- انظر، سأتركهم يدفنونك.

والآخر:

- السلطة هى السلطة: أنا اثنتان وأنتِ واحدة.

وهكذا وصلوا إلى المدفن. أنزلوا النعش وكانوا على وشك وضعه فى المقبرة. وصاحت هى مرة أخرى، وارتمت فوقه وقالت له فى أذنه:

- للمرة الأخيرة. أنتَ واحدة وأنا اثنتان.

- لا يمكن. فليدفنونى.

وعندما كانوا ينزلونه، قالت هى:

- حسنا، كل أنت الثلاث، يا حيوان!

عندئذ اعتدل هو جالسا بقفزة وصاح أيضا:

- سآكل ثلاثًا، سآكل ثلاثًا!

أما الناس، الذين لم يعرفوا ماذا كان يحدث، فخرجت تجرى مفزوعة، وقال أعرج كان فى موكب الجنازة:

- لا تركضوا كثيرا، يا لك من رجل، فعلى الأقل يمكنك الاختيار.

٢٥- لا تقرّبوه من شجرة الكستناء

كان ياما كان، كان هناك زوجان، متقدمان فى العمر، ولم ينجبا أطفالا. كانا فقط يقولان إنهما يحبان بعضهما كثيرا. كثيرا لدرجة أن الزوجة أكدت لزوجها أنها تفضل أن تموت قبله. أما الزوج، فإنه لكىْ يرى ما إذا كان حقيقيا أنها تحبه كثيرا، تظاهر بالموت. فكفنوه ووضعوه فى النعش وحملوه ليدفنوه. أما الزوجة، التى لم تستطع أن تبكى، فى لحظة الحقيقة، فقد نادت على جارتها التى كانت كثيرة البكاء لتذهب وراء زوجها عندما يحملونه إلى القبر مقابل ثلاثة مكاييل من حبوب الجاودار.

وهكذا ذهبت المرأة الأخرى تبكى بقوة وراء النعش، وأخذت تتنهد وهى تقول:

- أى، أبكى على أزواج غرباء،

مقابل ثلاثة مكاييل من حبوب الجاودار!

قبل الوصول إلى المدفن بقليل، كانت توجد بعض أشجار الكستناء الهندية، وعندما مر موكب الجنازة تحت واحدة منها، شد الزوج أحد الغصون، وجلس معتدلا، ثم أوقع نفسه على الأرض. أخذ كل الناس يركضون وهى تصرخ، وهو أيضا، لكن وراء زوجته، ليضربها لأنها لم تتمكن من البكاء عليه.

حسنا، بعد هذه الضربة، عاشا معا بضع سنوات أخرى. لكن ذات يوم، مات الزوج فعلا، وهذه المرة، لم تتفق الزوجة مع أى جارة لتبكى لها عليه. كانت تمشى وراء النعش، وهى تبكى، وتبكى. وفى أثناء هذا انتبهت إلى أن الذين يحملون النعش يقتربون من شجر الكستناء الذى كان قريبا من المدفن، وقالت:

- لا تقربوه من أشجار الكستناء،

حتى لا يحدث ما حدث سابقا!

- لا تقربوه من أشجار الكستناء،

حتى لا يحدث ما حدث سابقا!

(٥) الحمقى

٢٦- شابّات بالرداء الأسود

كان خـوان الغبى يعيـش مع أمه، التى كان لديها بالكـاد ما تصرفه عليـه. ذات يوم قالت له أمه:

- هيا يا بنىّ، اذهب لبيع فخذىْ الخنزير هذين.

ذهب خوان ومعه الفخذين إلى القرية. لكنْ، قبل أن يصل، مر على باب مزرعة وخرج كلبان.

- ماذا؟ قال لهما خوان. أتريدان شراء الفخذين؟

اندفع الكلبان، وأخذ كل منهما فخذة فى فمه. قال خوان الغبى:

- حسنا. سأمر غدا لأخذ ثمنهما.

عاد إلى بيته وقال لأمه:

- أمى، لقد بعت الفخذتين فى مزرعة.

- أين النقود، يا بنى؟

- سأمر غدا لأخذها.

- حسنا، الآن خذ هاتين العنزتين الصغيرتين واذهب لبيعهما أيضا.

ذهب خوان الغبى ودخل فى أول باب رآه مفتوحا. وكانت كنيسة. اقترب من مذبح الكنيسة حيث كان هناك قديسان وقال لهما:

- هل تشتريانهما منى؟

وفى ضوء القناديل، بدا لخوان أن القديسين حركا رأسيهما وقالا نعم. ولهذا شد العنزتين الصغيرتين وتركهما هناك، وربط كل واحدة منهما فى أحد القديسين وهو يقول:

- إذن سأمر غدا بالتأكيد لأخذ النقود.

عاد إلى بيته وقال لأمه إنه قد باع العنزتين الصغيرتين لسيدين، وأنه سيأخذ ثمنهما فى اليوم التالى.

- حسنا يا بنى، إذن اذهب الآن لبيع وعاء العسل هذا.

ذهب خوان الغبى بعيدا بوعاء العسل. لكنه مرّ فى الطريق أمام مزرعة نحل، وطبعا، تجمع كل النحل حول الوعاء.

- هل تريدون أن تشتروا العسل منى؟ سألهم خوان، وبدا له أن الطنين الذى كانوا يصدرونه، ززززز، أنهم يقولون نعم، حسنا، سأترك لكم الوعاء. لكن سأت غدا لأخذ ثمنه.

عاد إلى بيته وقال لأمه إنه باع العسل.

- حقا يا بنى؟ وإلى من بعته؟

- إلى الشابات بالرداء الأسود. وسأمر غدا لآخذ النقود.

ظلت الأم تفكر فى من تكون تلك الشابات، لكنها لم تقل شيئا.

فى اليوم التالى، استيقظ خوان الغبى مبكرا جدا وخرج. ذهب مباشرة إلى المزرعة وخرج له الكلبان مرة أخرى وأخذا ينبحان فيه.

- آه، ألا تريدان أن تدفعا لى! الآن ستريان!

أخذ عصا وأخذ يضربهما. وفى أثناء هذا، جاء صاحب الكلبين وسأله لماذا يضرب الكلبين. عندئذ قال له خوان:

– لأنهما اشتريا منى فخذتين ولا يريدان أن يدفعا لى.

– وكم كان سعرهما يا رجل؟ سأل صاحب الكلبين، مدركا أنه من الأفضل ألا يتناقش مع خوان الغبى.

– عشر دوروهات.

– هيا يا رجل، لك ما تريد، قال صاحب الكلبين ودفع له، حتى لا يضع نفسه فى مشاكل.

واصل خوان الغبى إلى الأمام ودخل الكنيسة. وذهب إلى القديسين وقال لهما:

– ها أنا قد جئت.

ولأن الآخرين لم يقولا شيئا، ضرب أحدهما بالعصا وكسره. وجاء القسيس على صوت الضجة الذى أحدثه وقال:

– لكن ماذا تفعل يا خوان!

– لا شىء. فبالأمس، اشترى منى هذان عنزتين صغيرتين واليوم لا يريدان أن يدفعا ثمنهما.

فهم القسيس ما كان يحدث ودفع لخوان وهو غاضب جدا العشرين دورو التى طلبها فى العنزتين.

ثم واصل خوان طريقه ومعه ما جمعه وقال لنفسه:

– الآن حان دور أخذ ثمن العسل.

ذهب إلى مزرعة النحل وفى الحال خرج له النحل بنية سيئة جدا. استدار خوان وقال له:

– إذن إذا لم تريدوا أن تدفعوا لى، سأذهب حالا لأشتكى للعمدة!

ذهب إلى البلدية وقال له العمدة:

- ماذا أتى بك إلى هنا يا خوان؟

- حسنا انظر حضرتك. اشترت الشابات بالرداء الأسود منى بالأمس وعاء عسل، والآن لا يُردن أن يدفعن لى.

- ومن هن الشابات بالرداء الأسود، إذا كان يمكنني أن أعرف؟

- تعال معى حضرتك وأنا سأريهن لك قال خوان.

اصطحبه القاضى إلى مزرعة النحل وقال له:

- انظر يا خوان، تلك الشابات سيدفعن لك القليل. إذا كنتُ مكانك لضربت كل واحدة أراها ضربة بالعصا.

وفى نفس الوقت الذى كان يقول فيه هذا، وقفت على رأس العمدة نحلة، وقال خوان:

- آه، نعم! إذن هذه هى الأولى! پوم!

وأعطى العمدة ضربة عصا على رأسه، أبقته مكانه.

٢٧- الكمية، بوشل

كان خوان الغبى راعى ماعز يعيش فى الجبل، ولم يكن عنده شىء يهتم به غير عنزاته وصغارها. ولم يكن قد نزل إلى القرية ولا مرة واحدة. وعندما صار صبيا، بحثت له أمه عن عروس وأرسلته إلى القرية وهى تقول له:

- انظر يا بنى، ستذهب إلى بيت الخال خوان لتتعرف إلى عروسك، سأصنع لك بعض الجوارب الجديدة من جواربى القديمة. لكن لا تجعل أحدًا يعرف هذا. وعندما تصل تقول وأنت على الباب: "السلام عليكِ يا مريم الطاهرة"، وسيجيبون: "حملتْ بلا دنس". وأنت ستقول: "هل تسمحون لى؟"، وهم: "تفضل". ثم ستدخل وتقول:

- "مساء الخير على حضراتكم"، وسيقولون لك: "فليملأ الرب لياليك خيرا. اجلسْ". عندئذ ستجلس وتجيب: "سأجلس"، لكن تجلس فوق، ليس على الأرض.

وبعد كل هذه التوضيحات، ذهب خوان الأحمق إلى بيت عروسه. وبمجرد أن وصل، وهو على الباب، أطلق الموشح كاملا:

- السلام عليك يا مريم الطاهرة، حملتْ بلا دنس. هل تسمحون لى بالدخول؟ تفضل. مساء الخير على حضراتكم، فليملأ الرب لياليك خيرا. اجلس. سأجلس.

وفى تلك الأثناء التى كان يقول فيها هذا، كان قد صار فى الداخل، وبما أن أمه طلبت منه أن يجلس فوق ولا يجلس فى الأرض، فقفز وذهب ليجلس فوق مخزن الحطب. عندئذ ظهرت جواربه فقال:

- قالت لى أمى ألا أخبر أحدا بأن تلك الجوارب مصنوعة من جواربها القديمة.

لم يقل الآخرون شيئا، من شدة الدهشة، ولأن الأم لم تعلِّم الأحمق كيف يودع الناس، نزل من فوق مخزن الحطب عندما رغب فى ذلك، وفعل كما يقول للماعز:

– هررور، أيتها الماعز الصغيرة!!

حسنا، وهكذا تقدَّم خوان الأحمق إلى عروسه. وقالت له أمه فى يوم آخر، ليعرف بعض الأشياء عن دينه بما أنه سيتزوج.

– انظر يا خوان. اذهب إلى القرية وادخل حيث ترى أشخاصا كثيرين. يوجد هناك شيء شبيه بوعاء به ماء. ضع يدك وارسم الصليب على نفسك.

صديقى الغبى، بما أنه لم يكن يعرف أين الكنيسة، دخل محل جزارة كان بها أناس كثيرون. رأى وعاء به دم، فوضع يده هناك وبدأ يرسم علامة الصليب على نفسه بروحانية كبيرة، وجعل الدم يتناثر على كل من كانوا هناك. ألقوه فى الشارع وعاد إلى بيته.

عندما رأته أمه، غارقا فى الدم، قالت:

– لكن يا بنى، كيف أتيت هكذا! هيا، سأريك أين توجد الكنيسة. لكن لا تفعل هناك غير ما تراه يُفعل.

أخذته وجعلته يركع على ركبتيه أمام امرأة. فى تلك اللحظة، التى كانوا يقومون فيها بالتناول، وكان الجميع راكعين. عندما رأى خوان الأحمق صبى المذبح يرفع رداء السيد الكاهن، لم يخطر بباله أكثر من أن يفعل نفس الشيء وبدأ يرفع تنورة المرأة التى كانت أمامه. استدارت الأخرى وأعطته صفعتين على وجهه، حتى إن الجميع انتبه وبدأوا يضحكون.

فى النهاية حان موعد الزفاف. قالت له الأم:

– هذه الليلة لا تفكر أن تنام على الأرض. يجب أن تنام فوق.

وهكذا فعل خوان المسكين، لكنْ فوق جدا، لأنه ذهب إلى غرفة فوق غرفة النوم. صعد إلى هناك وقضى الليلة بطولها، والزوجة هناك تنتظر. فى اليوم التالى، ذهبا ليعيشا فى المسكن، حيث أحسَّ خوان الأحمق براحة تامة.

ذات يوم، أرسلت الزوجة خوان ليشترى خنزيرا، وأعطته عشرة دوروهات. وقالت له:

- انظر يا خوان. الخنازير تساوى ثمانية دوروهات، لكن أنت معك عشرة. لهذا انتبه.

ركب خوان حمارته وهو سعيد جدا، ووصل إلى سُور، حيث كان يوجد رجل يبيع خنازير.

- بكم تبيع حضرتك الخنازير؟ سأله.

- بثمانية دوروهات.

- تبا! فأنا معى عشرة! إذا أردت بعشرة دوروهات، حسنا. إذًا لا، سأذهب إلى مكان آخر.

- حسنا، يا رجل - قال الآخر، مستغلا الأمر- سأتركه لك بعشرة.

وليتسلى قليلا بالغبى، قال له:

- انظر، يا خوان، هذا الخنزير الذى ستأخذه يعرف كيف يذهب وحده إلى مسكنك. ضعه أمام الحمارة، وسترى كيف سيصل.

وهكذا فعل خوان الأحمق. قال للخنزير:

- اذهب إلى البيت، وسترى كم ستكون ماريا سعيدة عندما تراك آتيا.

أما الخنزير فأخذ يجرى، كما هو منطقى، واختفى تماما، بينما كان خوان ذاهبا على حمارته هادئا جدا. وعندما وصل إلى البيت، قال لزوجته:

- ماريا! هل أعجبك الخنزير؟

- أى خنزير؟

- الذى أرسلته لك من عند السور.

- أوه، هذا الرجل سيقتلنى! ولكن كيف خطر ببالك أن تفعل هذا؟ كان عليك أن تربطه فى الحمارة، ياللك من أحمق، أنت أحمق!

أرسلته إلى القرية مرة أخرى بعد ذلك بعدة أيام ليشترى وعاء نحاسيا لعمل الصابون. أما هو، فذهب ممتطيا حمارته وهو سعيد جدا كعادته؛ وصل إلى القرية، اشترى الوعاء، وحتى لا يحدث معه مثلما حدث مع الخنزير، أخذه وربطه فى الحمارة. وهكذا ظل الوعاء مجرورا على طول الطريق، يُصدر صوتا "تن، تن، تن، تن!". وعندما عاد إلى مسكنه لم يتبقَّ بالطبع غير المقبض.

– "أنت أحمق من الحماقة!" كيف تفعل هذا؟ بدلا من أن تضعها على رأسك! هذا الرجل سيقتلنى!

مر الوقت، وأصبح الجو حارا جدا. كان فى منتصف شهر أغسطس، عندما قالت ماريا للأحمق:

– هيا يا خوان، اذهب إلى القرية لتحضر لنا أرُّوبا(*) من الصمغ. لا يوجد ما يكفى منه. وانتبه لأفعالك.

صعد خوان مرة أخرى على حمارته وذهب إلى القرية.

تذكر ما حدث معه فى المرة السابقة، وذهب ووضع على رأسه أرُّوبا من الصمغ. وطبعا، بما أن الجو كان حارا للغاية، أخذ الصمغ يسيل طوال الطريق، وأخذ يتساقط على وجه وكل جسم الأحمق، الذى قال لحمارته:

– هيا، أرشدينا إلى الطريق، لأننى لا أرى إلى أين أنا ذاهب.

أما الحيوانة، فأخذته إلى البيت، لألفتها بالمكان، وعندما وصل، صاح خوان:

– ماريا، اخرجى لتفصلينى عن الحمارة! لا تقولى الآن إننى لم أفعل ذلك جيدا!

خرجت ماريا ووضعت يديها على رأسها. وكان عليها مناداة رعاة آخرين ليفصلوا خوان عن البردعة، وفى تلك الأثناء كانت تقول له:

– أحمق، أحمق من الحماقة! بدلا من أن تبل الصمغ من حين لآخر! كيف يخطر لك أن تفعل هذا!

(*) وحدة وزن تعادل ٢٥ رطلاً – المترجمة.

حسنا، مرت بضعة شهور أخرى، وجاء موسم الذبح. وقالت ماريا:

– هيا يا خوان، عليك أن تذهب إلى القرية لتجلب كيسا من الملح. لكن انتبهْ لأفعالك.

ذهب خوان إلى القرية، اشترى الملح وكلما رأى بركة كان يوقف الحمارة ويبل الملح. رأى نبعا، وفعل نفس الشيء. وهكذا، عندما وصل إلى البيت، لم يتبقَّ له سوى الكيس.

قررت ماريا ألا ترسله إلى أىّ مكان مرة أخرى. لكن جاء الصيف، وبعد موسم الحصاد، ظنت أنه لن يحدث شيء إذا أرسلته ليطحن بعض القمح. شرحت له جيدا جدا ما عليه فعله:

– انظر يا خوان، ستأخذ نصف فانيجا(*) من القمح إلى المطحنة. لكن قل لهم ألا يطحنوا لك أكثر من بوشل. هل ستتذكر؟ الكمية، بوشل. هيا، كررها، ولا تتوقف عن قولها طوال الطريق. ولا تقل شيئا غيرها، اتفقنا؟

– نعم، نعم. الكمية، بوشل. الكمية بوشل، الكمية بوشل.

وهكذا ظل يقول طوال الطريق. ثم قابل رجلا يزرع كمية من القمح، وقال له الرجل:

– صباح الخير يا صديقى!

وأجاب خوان، لأن زوجته طلبت منه ألا يقول سوى هذا:

– الكمية، بوشل! الكمية بوشل!

غضب الرجل وأجابه:

– ماذا تقول؟ إنَّنى سأجنى من النصف فانيجا التى أزرعها بوشل فقط؟ إذن ستعرف الآن.

ذهب إليه وأعطاه ضربة. وسأله خوان المسكين:

– وماذا تريدنى حضرتك أن أقول؟

– حسنا عليك أن تقول: "ليخرج كله، ليخرج كله".

(*) مكيال للمحاصيل الزراعية يعادل ١٢ بوشلاً – المترجمة.

واصل خوان طريقه، وهو يقول: "ليخرج كله، ليخرج كله، ليخرج كله". في هذه الأثناء، قابل رجلا يحمل قربة زيت كانت تخُرّ منه طوال الطريق، وقال له:

– ليخرج كله، ليخرج كله!

انتبه الرجل لما كان يحدث، وقال:

– آه، فعلا! إذن خُذْ!، وضرب الرجل خوان علقةً.

– ماذا يجب أن أقول؟ سأله.

– حسنا يجب أن تقول: "ليت لا يخرج أحد، ليت لا يخرج أحد".

إلى الأمام قليلا، كان هناك ثلاثة رجال يستحمون في نهر، وذهب خوان وقال لهم:

– ليت لا يخرج أحد، ليت لا يخرج أحد!

عندئذ ذهب هؤلاء وخرجوا من الماء. وضربوا خوان، وهم يقولون له:

– إذن أنت تريد أن نغرق! إذن خذ، خذ!

وإضافة إلى الضرب، سرقوا منه الكيس الذى به كمية القمح وأرسلوا خوان إلى بيته. عندما رأته زوجته قادما وهو مليء بالكدمات هكذا ومن دون عجين، قالت له:

– هيا، أنت لا تنفع في شيء! من الغد ستفعل شيئا واحدا فقط في اليوم، وتماما كما سأقول لك أنا، وبدون أن تنطق بكلمة!

ثم جاء اليوم التالى وقالت له:

– خوان، اركب على الحمارة واذهب لقطع الحطب. وبدون تذمر!

ذهب إلى الحظيرة. وقضى النهار هناك. جاء الليل وقالت الزوجة: "غريب أن خوان لم يعد من قطع الحطب!".

ذهبت لتلقى نظرة على الحظيرة، ووجدت خوان المسكين راكبا على الحمارة منذ الصباح.

لقد فعل لأول مرة ما طلبت منه بالضبط. لكن لأنها طلبت منه شيئين، أن يركب الحمارة وأن يقطع الحطب، فعل فقط الشيء الأول. ومن دون كلمة واحدة!

٢٨- عندما كانت تمطر زلابيا

كان خوان الأحمق متزوجا بماريا الذكية. وكان خوان يخرج كل يوم إلى الحقل ليرعى الغنم، وهو الشيء الوحيد الذى كانت زوجته تريده أن يفعله. ذات يوم، وجد خوان الأحمق كيسا به عملات معدنية. فتحها، وعندما وجد العملات، قال:

- ياه! يا لها من ميداليات كثيرة دون سلاسل!

عاد إلى بيته وقال لزوجته:

- ماريا، انظرى كم ميدالية دون سلسلة وجدت فى الجبل!

ولكنْ لأن ماريا كانت ذكية، سايرت زوجها. لكنها احتفظت بالنقود وقالت له:

- نعم، إنها ميداليات لا تساوى شيئا، لأنه لا يمكن وضعها فى سلاسل.

فى نفس تلك الأمسية، بدأت ماريا تصنع زلابيا، زلابيا كثيرة. وصعدت إلى السطح وبدأت ترميها عبر المدخنة. أما خوان الأحمق، الذى كان يدفئ نفسه بجانب المدفأة، رأى الزلابيا تتساقط وأخذ ما استطاع. وذهب بيديه مملوءتين ليبحث عن ماريا وهو يصيح:

- ماريا، انظرى، إنها تمطر زلابيا! إنها تمطر زلابيا!

نزلت الزوجة من فوق السطح وتركت الآخر يلتهم قدر ما شاء من الزلابيا، دون أن تقول شيئا. بعد ذلك، ذهبت إلى الحظيرة وفرشت مفرشا على المعلف. ووضعت شمعتين على جانبى الحمارة، وأرسلت خوان ليطعمها.

وبمجرد أن رأى خوان ذلك، خرج يجرى ويصيح:

- ماريا، الحمارة تتلو صلاة! الحمارة تتلو صلاة!

وفى اليوم التالى، لم تُرِدْ الزوجة أن يخرج خوان إلى الحقل مع الغنم، لكى لا يظل يحكى ما حدث لكل من يقابله. فأخذته إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة. لكن كان خوان يتذكر غنمه كثيرا، وعندما رأى فى الكتاب التمهيدى حرف ال "ب" مع حرف ال "أ"، قال:

- با، با، بااا، غنمى ذهبت هناك!

وعندما رأى ال "ب" مع ال "ى"، قال:

- بى، بى، بيبى، أرى غنم يبعيدًا!

الخلاصة أنه كان على زوجته أن تخرجه من المدرسة، وفى اليوم التالى، ذهب خوان إلى الحقل. وفى الطريق، تقابل مع سينيور يمتطى حصانا، سأله:

- أيها الرجل الطيب، ألم تجد بالمصادفة كيسا؟

- نعم يا سيدى، أنا وجدته، أجابه خوان.

- وأين هو حضرتك؟

- فى بيتى. فأنا أعطيته لماريا. ولكنها قالت لى إنه ليست له قيمة، لأنه كانت بداخله ميداليات دون سلاسل.

- آه، حقا؟ انظر إذن، أنا أود أن أراها. هل يزعجك أن آتى معك إلى بيتك؟

وهذا ما حدث، وصل خوان إلى بيته ومعه ذلك السينيور. قال الرجل لماريا إن عليها أن تعيد له الكيس لأنه ملكه. قالت ماريا:

- أىّ كيس؟ أنا لا أعرف عمَّ تحدثنى حضرتك. وقال خوان:

- نعم يا ماريا. ألا تتذكرين اليوم الذى أرسلتِنى فيه إلى المدرسة؟

وبدا غريبا جدا لذلك السينيور، أن الأحمق كان يذهب إلى المدرسة. ولكنه اندهش أكثر عندما سمعه يواصل قوله:

- ألا تذكرين عندما كانت تمطر زلابيا وكانت الحمارة تتلو صلاة؟

واكتفى الرجل بهذا وقال:

- اعذرينى حضرتكِ، أيتها السينيورة، لأننى أزعجتك، يا لها من مصيبة رهيبة تلك التى عند حضرتكِ.

ورحل الرجل، واحتفظت ماريا الذكية بكل النقود. واشترت لزوجها قطيع غنم ضعف ما كان لديهما.

٢٩- خوان صاحب البقرة

كان يا ما كان، كان هناك رجل عنده ابن وبقرة. كانت البقرة جميلة جدا والابن أحمق قليلا. أرسله الأب ذات يوم ليبيع البقرة، لأنهما كانا فى حاجة إلى المال. أما خوان، كان هذا اسم الابن، فقد حزن كثيرا، لأنه كان متعلقا جدا بالحيوان، ولكنْ لم يكن بوسعه سوى الطاعة.

عندما عبر جبلا، خرج عليه بعض اللصوص وسرقوا منه البقرة. ولكنه اتبعهم ورآهم يدخلون البيت الذى يعيشون فيه. عاد إلى بيته وسأله الأب:

- كيف عدت مبكرا هكذا؟ وهل بعت البقرة؟

- لا يا أبى، لقد سرقوها منى.

- لأنك أحمق.

- لا تقلق حضرتك، يا أبى، فأنا سأحضر ثمن البقرة.

- ثمن ماذا ستحضر أنت! قال الأب وهو غاضب جدا .

تنكر خوان فى هيئة سيدة وخرج للذهاب إلى بيت اللصوص. سألهم إذا كانوا يحتاجون خادمة، قالوا نعم. وهكذا بقى معهم ليخدمهم. فى المساء، أرسلها زعيمهم إلى غرفتها وقال للصوص:

- تبدو هذه الفتاة غير ودود قليلا. إذا سمعتم صراخًا، لا تأتوا ولا تهتموا، فهذا شيء يخصنى.

حسنا، كان الزعيم قد أطفأ النور، وعندئذ دخل خوان وأخرج حزاما كان يضعه تحت تنورته، وأخذ يضرب الزعيم بالحزام، ويضربه. ورغم أنه كان يصرخ، لم يأت أحد

لإنقاذه. وعندما أصبح الزعيم غير قادر على الحركة، أخذ خوان كل النقود التى وجدها هناك وهرب من الشباك وهو يقول له:

- لا تنس أننى خوان صاحب البقرة.

عندما عاد إلى البيت، قال لأبيه:

- خذ حضرتك يا أبى، فأنا أحضرت ثمن البقرة. ولكن علىّ الآن أن أجلب المزيد.

أمر بصنع زى طبيب، واقترب مرة أخرى من بيت اللصوص مرتديا هكذا. وكانوا هم يبحثون خصيصا عن طبيب، منذ أن رأوا حال زعيمهم. وهكذا فبمجرد أن رأوه، طلبوا منه الدخول.

دخل الطبيب، وتعرف إلى الزعيم وقال:

- هذه ضربة هائلة تلك التى أعطوها لك.

- نعم يا سيدى - قال اللصوص- يا لك من طبيب واسع المعرفة!

ثم أمر الطبيب كل واحد من اللصوص أن يبحث عن شىء مختلف عن الآخر فى كل تلك القرى. أرسل واحداً ليحضر ضمادات، وآخر كحولاً، وأخر قطنًا، وآخر مرهمًا، وهكذا لم يتبقَّ أحد فى البيت. وفى هذه اللحظة، ذهب مرة أخرى إلى المريض، وأخرج الحزام وأخذ يضربه وهو يقول له:

- أنا خوان صاحب البقرة! أنا خوان صاحب البقرة!

وعندما تعب من كثرة ضربه، ملأ بضعة أكياس بالنقود وخرج من هناك.

فى اليوم التالى، تنكر فى زى قسيس. ولأن الزعيم كانت حالته خطيرة إلى حد كبير، كان اللصوص يقفون على الباب على أمل أن يمر قسيس، وبمجرد أن رأوه آتيا، طلبوا منه أن يدخل ليساعد شخصا يُحتضر. صعد خوان لرؤية المريض وقال:

- آااه، هذا الرجل سيموت الآن! هيا اركضوا، اذهبوا إلى القرية، وليحضر لى أحدكم الإناء المقدس، والآخر يأتى بزيت المباركة، والآخر قميص الكاهن، والآخر وشاح التونيه، والآخر الأوستى.

وظل يقول هكذا، حتى لم يتبقَّ ولا لص واحد فى البيت. عندئذ ذهب مرة أخرى إلى الزعيم، الذى صرخ بمجرد أن رآه:

– لا من فضلك، صاحب البقرة مرة أخرى لا! خذ كل النقود التى تريدها لكن لا مزيد من الضرب بالحزام! انظر، ها هو الصندوق. خذ كل ما تريد.

أخذ خوان كل النقود، عدا ثلاث پيسيتات، ليأكلوا ذلك اليوم؛ ولكن قبل أن يمشى، أعطى الزعيم ضربتين بالحزام أيضا.

عندما وصل إلى البيت، أعطى كل النقود لأبيه، الذى قال له:

– يا رجل، أنت لست أحمق كما كنت أظن.

لكن خوان كان قلقا، لأنه كان يعرف أنه فى أىّ لحظة، سيأتى اللصوص للانتقام منه. ولهذا لم يكن يبتعد عن المدخنة، وكان يجهز وعاء من الصمغ، احتياطا لما قد يحدث. ذات ليلة، شعر بوقع أقدام على السطح وقال لنفسه:

– ها هم قد جاءوا!

سمع أحدهم يقول لآخر:

– أنزلونى بحبل شيئا فشيئا.

عندئذ أوقد خوان النار ووضع الآخر، الذى كان ينزل، قدميه فى الوعاء فاحترق. وقال:

– فوق، فوق!

– ماذا بك؟ سأله الآخرون.

– لا شىء، فهى مظلمة جدا، وتخيفنى.

– يا لك من لص! قال آخر، وبدأ ينزل بالحبل.

وعندما وصل إلى الوعاء، احترقت قدماه أيضا وصرخ:

– فوق، فوق!

- ماذا بك؟

- لا شيء، يوجد الكثير من الناموس.

- يا لك من لص! قال آخر، الذى كان الزعيم. أنا سأنزل الآن، ومهما قلت "فوق، فوق" أنزلونى أكثر.

بدأ الزعيم ينزل بالحبل، وفى الحال أخذ يصرخ:

- فوق، فوق، فهنا يوجد صاحب البقرة، فهنا يوجد صاحب البقرة!

لكن لم يهتم الآخرون. وأخذوا ينزلونه أكثر وأكثر حتى سقط الزعيم بالكامل فى الصمغ المغلى وأخذ يطقطق. وتوتة توتة، فرغت الحدوتة.

(٦) حكايات الرعب

٣٠- عصا أنف وربع جسد

كان يا ما كان، كانت هناك أمٌّ عندها ثلاث بنات خياطات. لكن حال الخياطة كانت سيئة للغاية، ولم يكن يكسبن ما يطعمهن. لم يتبقَّ معهن ولا بيسيتا واحدة، حتى إنهن طُردن من البيت الذى يعشن فيه. عندئذ قلن:

– لم يتبقَّ لنا شيء نفعله فى هذه القرية. لنذهب إلى ألجودونالس. ألجودونالس قرية جميلة جدا ودائما يوجد عمل هناك.

وهذا ما حدث. وصلن إلى القرية ولم يجدن غرفة لسكنهن ولم تكن معهن نقود. عندئذ قال لهن سينيور كان يملك حانة:

– انظرن حضراتكن، يوجد هنا بيت تقول الألسن السيئة إنه مسكون ولا أحد يريد أن يذهب إليه. مات أصحابه وقد ذهب إليه ثلاثة أو أربعة، لكن لا أعرف ما الأمر، فلا أحد يريد أن يسكن فى هذا البيت. إذا كنتن حضراتكن قادرات على ألا تخفن... فهو بيت جاهز وبه كل شيء. وفى منتهى الجمال.

قالت الأم:

– نحن، خوف؟ من ماذا سنخاف نحن إذا كنا نحارب الجوع؟

قال صاحب الحانة:

– إذن اذهبن حضراتكن إلى السيد العمدة ولتحكين له. من المؤكد أنه سيعطيكن مفاتيح البيت.

وهذا ما حدث. ذهبن إلى العمدة وقال لهن:

- يمكن لحضراتكن استخدام كل شيء موجود فى البيت. وإذا لم تستطعن مقاومة الرعب الذى يوجد هناك، فهم يقولون إن هناك أصوات ضجيج، وسلاسل...، فلتخرجن، وكأن شيئا لم يكن.

إذن ذهب الأربع إلى ذلك البيت. دخلن ورأين أن كل شيء فى مكانه. سرائر جميلة جدا وغرفًا رائعة:

- آووه، يا له من بيت يا أمى! آه يا له من حظ! ليتنا نعيش هنا دائما!

قالت الكبرى:

- أنا سأحاول أن أكمل الثوب الذى كلفتنى به سيدة، ويجب أن أسلِّمه لها فى خلال ثلاثة أيام، لأنه ثوب زفاف. فلتذهبن أنتن للنوم، وأنا سأبقى لأخيط.

فى ذلك الزمن، لم يكن هناك نور كهربائى بعد. كانت توجد شموع، ومصابيح زيت وقناديل. أخذت هى مصباحا، وجلست المسكينة بجانب الشمعة لتخيط. ذهبت الأخريات للنوم، وقلن لها:

- هيا، اذهبى للنوم. غدا يحلها ربنا.

- لا، لا، لا، أنا سأبقى لأنهى الثوب.

أخذت تخيط، وعندما دقت الساعة الحادية عشرة والنصف، هبت رياح! ڤوووو، ڤوووو!، وفى العلية كان يوجد صوت سلاسل تتجرجر. قالت:

- آه، يا ربى، ما هذه الرياح الحمقاء التى هبت! وفى الحال، تكسر زجاج الشباك: طاخ، طاخ، طاخ!

- أووه يا ربى يا لها من ليلة!

قامت وأغلقت الشباك. وجلست مرة أخرى، وهبت ريح من المدخنة نثرت الرماد وأطفأت لها المصباح. فى نفس اللحظة، دقت ساعة كبيرة كانت معلقة على الحائط: پام، پام، پام، پام! الثانية عشرة. وفى الحال بضع خبطات على الباب: پوم، پوم، پوم! كانت المسكينة قد أصبحت ميتة من الخوف وبصوت ضعيف قالت:

- من؟ من؟

- افتحى لعصا أنف وربع جسد!

- إيه؟ ماذا؟ من؟ ماذا تقول حضرتك؟

- أن تفتحى لعصا أنف وربع جسد!

رمت الفتاة الثوب وخرجت تركض إلى غرفة أمها:

- أمى، أمى، أخواتى!

لكن كانت الأم والأخوات يشخرن، ويشخرن.

ألقت المسكينة نفسها فى السرير، وبعد أن تعبت من البكاء، نعست ونامت.

عندما استيقظت فى الصباح، قالت لها أمها:

- ولكن كيف نمت بملابسك؟

- آه يا أمى، آه! يا له من رعب قضيته ليلة أمس!

- وماذا حدث؟

- أولا، رياح وأصوات سلاسل فى العلية. ثم، زجاج الشباك الذى تكسر، ورياح هبت من المدخنة بعثرت الرماد وأطفأت لى المصباح. تعالى حضرتك لترين.

قمن وذهبن جميعهن ليشاهدن. لكن لم يكن هناك أى زجاج مكسور، ولا رماد على الأرض، ولا أى شىء. صعدن إلى العلية، وهناك وجدن فقط أشياء قديمة، جميلة جدا.

قالت الأم:

- سنرى، أين هو كل ما قلتِ عنه؟ والثوب؟

- أىّ ثوب؟

- أرأيتِ؟ هذا لأنكِ شعرتِ برغبة فى النوم، فقلت إن كل هذا حدث حتى لا نوبخك نحن.

- لقد حدث لى شىء مرعب حقا...

– أى خوف هذا! قالت الثانية. سأبقى هنا هـــذه الليـلة. وسترين كيف سأنتهى من الثوب.

وهذا ما حدث. بقيتْ الثانية تلك الليلة، قالت لها الكبرى!

– آه، ولكن اذهبى للنوم قبل أن تدق الساعة الحادية عشرة والنصف، لأنه عند الساعة الحادية عشرة والنصف تبدأ الضوضاء، وفى الثانية عشرة!

– هيا أيتها الحمقاء! اذهبى واتركينى فى هدوء!

خلدت الأخريات إلى النوم، وظلت الثانية تخيط. أخذت تخيط وتخيط، وتخيط وتخيط على ضوء المصباح. لكن عندما جاءت الساعة الحادية عشرة والنصف سمعت بعض الضوضاء: ڤووووو، ڤووووو!، وفى العلية جرجرة السلاسل، ورياح!

– أوه، يا لها من ليلة سيئة! أختى كانت محقة. آه يا أمى، أنا سأذهب للنوم! آه لولا هذا الثوب اللعين.

وظلت تخيط وتخيط، وتخيط وتخيط... وفى أثناء هذا، دخلت هبّة ريح من المدخنة، ونثرت الرماد وأطفأت المصباح: پام، پام، پام، پام...! الثانية عشرة.

– آه يا أمى، يا له من رعب!

والخبطات على الباب: پوم، پوم، پوم!

– من؟

– افتحى لعصا أنف وربع جسد!

– أوه! رمت الثوب، وخرجت ركضا ودخلت فى سرير أمها: أمى، أمى، إخوتى!

لكن لم يستيقظ أحد. كلهن يشخرن. حتى نامت المسكينة من كثرة البكاء.

عندما استيقظت الأخريات فى الصباح التالى، حكت لهن نفس الشىء: الرياح، والسلاسل، والرماد... وقالت الأختان الكبيرتان:

– لنرحل من هذا البيت، لنرحل! نحن لن نبقى هنا ولا ثانية واحدة.

لكن عندئذ قالت الصغرى:

– لا، أنا سأبقى هذه الليلة. وعندما يأتى هذا المهرج، فلا بد أن هذا المهرج يفعل هذا لنرحل نحن من البيت، سألقنه درسا. أنا سأفتح له الباب، وسألقنه درسا.

– آه يا ماريكيتا، لا تقولى حماقات! كيف ستفتحين له الباب؟ هل تدرين ماذا تقولين؟

– لا؟ بل سأفتح له!

وهذا ما حدث. سهرت الليل. وأخذت تخيط، وتخيط، وتخيط. كانت قد وضعت علبة كبريت فى جيبها، ومرة أخرى حدث نفس الشيء: الرياح، والسلاسل، حتى انطفأ المصباح. الساعة الثانية عشرة والخبطات على الباب:

– من؟

– افتحى لثلاث عصيان أنف وربع جسد!

– انتظرنى حضرتك، سآتِ فى الحال.

أخرجت علبة كبريتها وأشعلت المصباح مرة أخرى. ذهبت إلى الباب، رفعت المقبض، وسحبت المزلاج؛ لكن، بمجرد أن فتحت الابنة: سففففوووو!، هبة ريح أخرى وأطفأت لها المصباح. قالت ماريكيتا:

– أوه هذا رائع! لقد أطفأت لى حضرتك المصباح والآن لا أرى شيئا.

– لا تقلقى. أشعليه مرة أخرى وأعطيه لى. وإذا كانت لديكِ الجرأة، اتبعينى.

أشعلت ماريكيتا المصباح مرة أخرى وفى الحال شعرت بأن أحدا يأخذه منها، لكنها لم تكن ترى سوى النور. ذهبت وراء النور فى الشوارع، ينعطفان من ناصية إلى ناصية. النور فى الأمام وهى وراءه. حتى وصلا إلى كنيسة صغيرة. دخلت الفتاة فى الكنيسة الصغيرة ورأت أن هناك كانت توجد نساء كثيرات، كلهن يرتدين الأسود، كلهن متطابقات. ولم يكن يمكن التفريق بين واحدة والأخرى. وفى وسط الكنيسة، كان يوجد تابوت صغير.

جثت المسكينة على ركبتيها ورسمت علامة الصليب على نفسها. لكن كانت النساء ملتصقات ببعضهن بعضًا وكان الجو حارًا جدا. وانتظرت، انتظرت، انتظرت، حتى نامت.

استيقظت فى الصباح، ورأت أنها كانت وحدها فى الكنيسة الفارغة تماما. وكان التابوت مفتوحا. اقتربت ورأت أنه يوجد بداخله يسوع صغير من العاج، وعليه لافتة صغيرة مكتوب عليها: "لماريكيتا".

– أووه، هل يمكن أن يكون لى؟

وعندئذ ظهر سينيور طويل، ونحيف، وأنيق الثياب. قال لها:

– اتبعينى.

– وأخذها إلى بدروم. وفى البدروم كانت توجد ثلاث جرار. واحدة كبيرة، وأخرى متوسطة وثالثة صغيرة. قال لها الرجل:

– قبل أن تذهبى، عليكِ أن تنفذى لى رغبة. أنا روح معذبة. أنا أتطهر فى المطهر. وإذا لم يفِ شخص طيب الوعد الذى وعدته، لن أتمكن من دخول الجنة. هذه الجرة الكبيرة التى ترينها هنا مليئة بالعملات النحاسية. عليك أن تفرقيها على الفقراء، دون أن يتبقى معك ولا حتى خمسة قروش، لأننى سرقتها منهم. وهذه الأخرى المتوسطة، بها عملات فضية. أريدكِ أن توزعيها فى القداديس، لأننى كنت سيئا جدا، حتى إن الله يعاقبنى حتى تكتمل عقوبتى. أما هذه الصغيرة، ففيها عملات ذهبية. وهذا ما كان ملكى فعلا. كان هذا رأس مالى. ليس الآخر، الذى سرقته. أتفهمين؟ ولهذا كان علىّ إعادته. وهكذا، فإذا نفذت هذا، سيكون يسوع الصغير، وجرة الذهب، إضافة إلى بيتى بكل ما فيه، ملكك.

قالت له ماريكيتا:

– إذن، سأنفذه.

وبمجرد أن قالت هذا، أصدرت الروح صوت انفجار. ذهبت الفتاة إلى بيتها، ونفذت الوعد، وعاشت هى وأمها وأخواتها، فى منتهى السعادة.

٣١- السكران والجمجمة

يحكى أنه فى يوم الموتى، كان يتمشى ثلاثة طلاب سكارى فى ضواحى المدينة، بعد أن كانوا فى معسكر كشافة. تصادف أنهم مروا من أمام مقبرة، وخطر على بالهم أن يدخلوا ليسخروا من الموتى. وبمجرد أن دخلوا، وجدوا ركامًا من عظام الموتى. تعثر أحد الطلبة فى جمجمة وكاد أن يقع. أخذ الآخران يضحكان، واستدار الذى تعثر، وأعطى ركلة للجمجمة وقال:

– أنتِ لستِ جميلة ولا شىء! لا تغضبى أيتها الصلعاء، فأنا أدعوكِ الليلة لتناول العشاء فى بيتى.

أكمل الطلاب الاستمتاع بوقتهم ولم يتذكروا هذا التصرُّف مرة أخرى. كان الذى ركل الجمجمة نائما فى بيته، عندما سُمع صوت خبطات قوية جدا على الباب.

– من؟ سأل الخادم، الذى كان ينام فى غرفة أخرى. وعندما وجد أن لا أحد يجيب، نزل ليرى ماذا يحدث.

ولأنها كانت ليلة حالكة السواد، لم يستطع الخادم تمييز من يكون. لكنه قال له:

– هل السينيور موجود فى البيت؟

– هذا يتوقف على من تكون.

– قل له حضرتك إن المدعو على العشاء الليلة قد وصل.

صعد الخادم وأيقظ الطالب، وحكى له ما حدث.

– هل أنت مجنون أم تهذى؟ قال الطالب. لكنه تذكر فى الحال ما حدث فى المقبرة. قام وقال للخادم أن يدع الرجل الموجود بالخارج يدخل.

وعندما دخل، رأى أن المدعو كان تمثالا شاحبا جدا. أمر السينيوريتو بأن يعدوا له عشاء، من أفضل ما يوجد فى البيت، وهذا ما فعله الخادم. جهز مائدة هائلة مكونة من لحم الخنزير وكل أنواع الفاكهة. لكن لم يأكل التمثال من أى شىء، وقال له:

- لا يمكننى أن آكل أى شىء من هذا، لكننى سعدت جدا بالحضور إلى بيتك. والآن يشرفنى أن أدعو حضرتك إلى مائدتى، غدا، فى نفس المكان الذى تقابلنا به اليوم وفى نفس الميعاد.

حكى الطالب لأصدقائه ما حدث وشعر الجميع بخوف شديد وقالوا إنهم لن يذهبوا. أما الطالب، الذى تشجع، وقال:

- إذن أنا سأذهب.

عرف قسيس بما حدث أيضا، وأعطى الطالب تميمة ليضعها حول رقبته بسلسلة.

وهكذا ذهب الطالب تلك الليلة إلى المقبرة، ولأنه كان يمشى وحده، بدأ يشعر ببعض الخوف. وشعر بخوف أكبر عندما رأى الباب يفتح وحده، وفى نفس مكان ركام العظام كانت توجد مائدة عليها بعض الشمعدانات. وعلى رأس المائدة كان يجلس ذلك السينيور، التمثال، الذى نزل من قبره، وقال له:

- اجلس.

بدأ الطالب يرتعش وجلس.

- كُلْ يا رجل، كُلْ، قال له التمثال.

لكن كل ما كان موجودا للطعام كان طبقًا به رماد. نظر إليه الطالب دون أن يقول شيئا.

- ماذا بك؟ ليست لديك شهية؟

ولم يقل الطالب شيئا. وبعد فترة قال له التمثال:

- هكذا تتعلم ألا تسخر من الأموات. وضع فى اعتبارك أن التميمة التى تعلقها هى التى ستنقذك هذه الليلة. هيا، اذهب.

لكن مرض الطالب كثيرا، وعندما عاد إلى بيته، دخل فى السرير. ولم يعش حتى يومين.

٣٢- روح الكاهن

كان يا ما كان، كان هناك زوجان، بعد أن ظلا متزوجين لفترة طويلة، لم ينجبا أطفالا. وطلبا من الرب مرات عديدة أن يرزقهما بطفل. وأخيرا، رزقا بابن، لكن بمجرد أن ولِد، قاما بقراءة الطالع له وعرفا أنه سيموت مشنوقا عند سن العشرين. أخذ الطفل يكبر، وكان الأبوان يصبحان أكثر حزنا كلما تذكَّرا ما لا بد أن يحدث. ذات يوم، سأل الابن لِمَ هما حزيان هكذا، وحكت له الأم كل شيء. عندئذ قال لأبويه:

- إذن، بما أن الأمر هكذا، سأسير حول العالم بحثا عن المغامرات.

- لا يا بنى، لا تذهب. سيشنقوك ولن نراك ولا مرة أخرى.

لكنه أصر ولم يكن أمام الأم إلا أن تتركه يذهب. ولكن قبل ذلك، جعلته يعدها بأن يسمع قداسا فى كل قرية يذهب إليها.

ومشى الفتى فى الدنيا. وسأل فى أول قرية وصل إليها:

- فى أى ساعة يبدأ أول قداس؟

وفى الموعد الذى قالوه له بالضبط، كان هو هناك. وصل إلى قرية أخرى وفعل نفس الشيء. وهكذا فى كل مكان. وفى إحدى المرات، قالوا له عندما سأل:

- حسنا، انظر. هنا يبدأ أول قداس فى تمام الساعة الثانية عشرة ليلا. لكن لا نعرف من يلقيه، ولا أحد يجرؤ على أن يكتشف. ترن الأجراس وحدها وهذا كل ما نعرفه.

حسنا، مشى الصبى، وقبل الساعة الثانية عشرة بقليل، ذهب إلى الكنيسة. عندما كان فى طريقه، رنت الأجراس، وعندما وصل، فتحت الأبواب وحدها. دخل وركع

على ركبتيه. سرعان ما رأى بلاطة ضريح ترتفع وخرج كاهن مرتديا حُلّتَهُ ليلقى القداس. وذهب فى اتجاه المذبح ومن هناك، استدار وأشار للفتى ليقترب منه ويساعده فى القداس. أطاعه الفتى، حتى إنه اصطحبه إلى غرفة الملابس. وساعده فى خلع حلة القداس وعندئذ قال له الآخر:

– يا بنى، أنا كنت كاهن هذه القرية. وعندما مت، ذهبت مباشرة إلى المَطْهر، وكنت أتعذب هناك لأننى ذات يوم، تقاضيت أجر قداس متوفٍ ثم بعد ذلك لم أرغب فى إلقائه. وعاقبنى الرب بأن أعود كل يوم إلى هذا العالم فى منتصف الليل، حتى يستطيع أحد أن يأتى ويساعدنى فى إلقاء هذا القداس. واليوم كنت أنت الشجاع الذى ساعدنى، ولهذا سأساعدك فى كل ما تحتاج إليه.

واصل الفتى طريقه بحثا عن المغامرات. وكان قد تبقّى له قليل جدا ليكمل مدة قدره، عندما ظهرت له من جديد روح الكاهن وقالت له:

– انظر، أنا سأعطيك هذا الحصان، وحقيبة النقود هذه، لكن عد إلى بيتك ولا تخف من شىء.

أخذ الفتى حصانه وحقيبته لكنه لم يرغب فى العودة. فى الطريق، قابل بعض اللصوص الذين كانوا يتقاسمون سرقة. وسمعهم يقولون:

– هذا لك، وهذا لك.

ولأن الفتى ظهر فجأة بحصانه فى الليل، ارتعب اللصوص، وخرجوا يركضون. عندئذ أخذ هو كل النقود وواصل طريقه. لكن بعد وقت قليل، خرج عليه اللصوص وهم يقولون:

– هذا من سرقنا.

وارتموا فوقه، وأمسكوا به ووضعوا حبلا على رقبته. وتركوه معلقا ورحلوا.

لكن فى الحال ظهرت روح الكاهن مرة أخرى وأسعفها الوقت لتنزله قبل أن يموت. وقال له:

- انظر، اليوم هو اليوم الذى تكمل فيه عشرين عاما وهذه هى المرة الأخيرة التى يمكننى فيها مساعدتك. اذهب مباشرة إلى بيتك ولا تتوقف.

وهذا ما فعله الفتى. عاد إلى بيته بكل النقود التى كان يحملها، وعاش أبواه سعيدين أعواماً كثيرة تالية.

٣٣- رأس العجل

كان ياما كان، كانت هناك خادمة، ذهبت لتخدم فى قرية وظلت تخدم أعواما طويلة وكسبت نقودا كثيرة وفكرت فى العودة إلى قريتها لترى أبويها.

ذهبت وقالت لمزينتها، التى كانت جارتها:

- أتعرفين أننى أرغب فى الذهاب إلى قريتى لأرى أبوىّ المسكينين، لكننى خائفة من الذهاب وحدى، لأننى كسبت نقودا كثيرة، ومن المحتمل أن يسرقوها منى فى الطريق.

وهكذا ذهبت المزينة وحكت الأمر لزوجها الذى كان صاحب حانة. وقال صاحب الحانة:

- حسنا قولى لها ألا تذهب بمفردها، لأنه من المؤكد أنهم سيسرقون المسكينة؛ لتبحث عن أحد تذهب معه.

وقالت الزوجة:

- انظر، يا لها من مسكينة، بما أنها صديقتنا، اذهب أنت بنفسك معها. وقال هو إنه موافق إذا وافقت هى أن يصحبها.

ذهبت المزينة فى يوم آخر وقالت ذلك للفتاة. أما الفتاة، فلأنهما كانتا جارتين وصديقتين فقالت نعم، وأنه من دواعى سرورها أن تذهب معه. ووضعت كل نقودها فى كيس ووضعته فى كعكة شعرها.

بدأ الطريق، وسرعان ما ساورت صاحب الحانة رغبات فى قتلها وأخذ كيس النقود منها. وعندما وصلا إلى المكان الذى قال هو نفسه إنه خطر، أخذها وقتلها. قطع رأسها وأخذ منها النقود. عاد إلى بيته وحكى كل شىء لزوجته. وقالت هى له:

- أووه، يا إلهى! كيف تجرأت على قتل فتاة مسكينة تعرفها؟

وكان هو يقول فقط:

- غواية شريرة.

بعد ذلك، كان صاحب الحانة يسمع دائما عندما يخرج من بيته صوتا يقول: "ستدفع الثمن! ستدفع الثمن!"، وكان المسكين ينظر حوله فى كل اتجاه، لكن لا يرى شيئا، وجاء المسكين مرتعبا للغاية وحكى لزوجته. حتى قالت له ذات يوم:

- عندما تسمع هذا الصوت، اسأله أين.

فى اليوم التالى، عندما خرج من البيت، سمع الصوت يقول له مجددا:

- ستدفع الثمن! ستدفع الثمن!

وسأل هو الصوت:

- أين؟

وأجاب الصوت:

- فى إشبيلية! فى إشبيلية!

جاء أكثر ارتعابا من أى وقت مضى وقال لزوجته:

- لقد أجابنى الصوت وقال فى إشبيلية.

عندئذ قالت له الزوجة:

- إذن إذا لم تذهب إلى إشبيلية، لن تدفع لها الثمن.

وبعد ذلك ببضعة أشهر، كان يخرج من البيت والصوت لا يطارده. أما هو، فقد نسى كل شىء. وذات يوم، وصل إلى القرية سيدان وقالا إنهما سيعطيان لمن يصحبهما إلى إشبيلية دورو يوميًا وطعامًا ومأوى. قالت الزوجة لصاحب الحانة:

- هيا، اذهب لتبحث عن من سيصطحب هذين السيدين.

وأجاب هو:

- سأذهب أنا، بدلا من أن أبحث عن أحد، فهما سيدفعان جيدا جدا.

ورحل مع السينيورين إلى إشبيلية. وصلوا إلى هناك وفى منتصف اليوم قال أحد السينيورين للآخر:

– ماذا تريد أن تأكل على الغداء؟ أتحب رؤوس العجول؟

وأجاب الآخر:

– كما تريد. فأنا أحب كل شيء.

أرسلا صاحب الحانة إلى الميدان ليشترى رأس عجل للغداء. ذهب صاحب الحانة لشراء رأس العجل. وصل إلى الميدان واختار واحدة وذهب وهو يخبئها تحت معطفه، ويجرها من أذنيها. لكنه كان يمشى فى الطريق، تاركا خطا من الدم، فاقترب منه شرطيان، وقالا له:

– إلى أين أنت ذاهب، وماذا تحمل تحت هذا المعطف؟

وأجاب هو:

– أنا ذاهب إلى النزل لأحضر رأس عجل لسيدين.

قالا له عندئذ أن يريها لهما. وعندما جاء ليخرجها من بين معطفه ليريها لهما، رأى أنه بدلا من الأذن كانت يده تجر شعرا كثيرا، وبدلا من رأس العجل التى اشتراها كانت رأس الفتاة التى قتلها.

عندئذ أخذه الشرطيان وقالا له:

– هيا، أنت ستذهب معنا إلى السجن، فحضرتك قاتل.

وقال هو:

– أيها السيدان، لنذهب ونرى السيدين اللذين أرسلانى إلى الميدان.

– حسنا، قال الشرطيان.

وذهبا معه إلى النزل، غير أن السيدين كانا قد اختفيا دون أن يعرف أين؛ ولم يستطع أحد أن يدلهم عليهما. وبهذا قالا له عندئذ:

- حضرتك قاتل ومخادع. إلى السجن!

ووضعوه فى السجن، وفى خلال أيام قليلة حاكموه وأمر القاضى بموته مشنوقا، وهكذا دفع ثمن جريمته.

٣٤- آه يا أمى، من تكون هذه!

كانت هناك امرأة أرملة تعيش مع ابنتها. وذات يوم قالت الأم لابنتها:

- انظرِى يا ابنتى، اذهبى إلى الجزارة وأحضرى لنا أمعاءً، فنحن لا يمكننا أن نأكل اللحم، لأننا فقيرتان جدا.

ذهبت الفتاة وقابلت بعض صديقاتها اللاتى كن يلعبن بالحبل. أخذت تلعب معهن وأضاعت النقود التى أعطتها لها أمها. عندئذ حزنت الفتاة كثيرا، ولم تكن تعرف ماذا تفعل. وفجأة تذكرت أن هناك امرأة قد ماتت منذ وقت قليل، فذهبت إلى المقبرة وأخرجت الأمعاء وأخذتها إلى البيت.

أما أمها، فلأنها لم تكن تعرف شيئا، أعدت الأمعاء على العشاء. تناولتا العشاء وذهبتا إلى الفراش هادئتين جدا. ولكنْ فى منتصف الليل، شعرتا بأصوات، سمعتا بانتباه، وكانت المرأة الميتة تقول:

- ماريا، ايا، ايا، أعطنى أمعائى التى أخذتِها من قبرى!

وقالت الفتاة:

- آه يا أمى، من تكون هذه؟

والأم تقول:

- اسكتى يا بنتى، فهى ستذهب الآن!

لكن عندئذ قالت الميتة:

- لن أذهب، لا، فأنا أفتح الباب...!

ماريا، ايا، ايا، أعطنى أمعائى، التى أخذتِها من قبرى!

- آه يا أمي، من تكون هذه؟، قالت الفتاة.

وقالت لها الأم:

- اسكتي يا بنتي، فهي ستذهب الآن!

لكن عندئذ قالت الميتة:

- لن أذهب، لا، فــأنا أصـعد على السلم...! مـاريا، ايا، ايا، أعطني أمـعـائي، التي أخذتِها من قبري!

وقالت الفتاة مرة أخرى:

- آه يا أمي، من تكون هذه؟

- اسكتي يا بنتي، فهي ستذهب الآن!، قالت الأم.

- لن أذهب، لا، فأنا أدخل الصالة ماريا، ايا، ايا، أعطني أمعائي، التي أخذتِها من قبري!

- آه يا أمي، من تكون هذه؟

- اسكتي يا بنتي، فهي ستذهب الآن!

- لن أذهب، لا. فأنا أدخل غرفة النوم...!

ماريا، ايا، ايا، أعطني أمعائي التي أخذتِها من قبري!

- آه يا أمي، من تكون هذه؟

- اسكتي يا بنتي، فهي ستذهب الآن!

- لن أذهب، لا. فأنا أقترب من السرير...! مـاريا، ايا، ايا، أعطني أمـعـائي، التي أخذتِها من قبري!

- آه يا أمي، من تكون هذه؟

- اسكتي يا بنتي، فهي ستذهب الآن!

- لن أذهب، لا.

فأنا أشدك من شعرك!

(٧) نوادر الأمراء

٣٥- نبات الريحان

ذات مرة، كان هناك رجل عنده ثلاث بنات، وكانت ثلاثتهن فى منتهى الجمال. وكان تقريبا لا يتركهن يخرجن من بيته أبدا، وذات مرة، سافر وأمرهن بألا يفتحن الباب لأحد، لأى أحد فى الدنيا.

فى أحد الشبابيك التى تطل على الشارع، كان يوجد إصيص صغير مزروع به ريحان كل يوم ترويه واحدة من الثلاث أخوات. عندما كان الأب قد رحل، خرجت أول يوم الأخت الكبرى لتروى الإصيص، فى نفس اللحظة التى كان يمر فيها ابن الملك. أما هو، فعندما رأى الفتاة، قال لها:

- أيتها الفتاة التى تروى الريحان، كم ورقة توجد فى النبات؟

لم تعرف الكبرى بِمَ تجيب، وذهبت إلى الداخل بخجلٍ شديد. حكت لأختيها ما حدث، وعندئذ قالت لها الوسطى:

- هيا، أيتها البلهاء، فعندما يحين دورى، سترين ماذا سأقول له.

فى اليوم التالى خرجت الوسطى لتروى الإصيص عندما مر ابن الملك، الذى قال لها:

- أيتها الفتاة التى تروى الريحان،

كم ورقة توجد فى النبات؟

لكن لم تتمكن الوسطى أيضا من قول أى شىء وذهبت إلى الداخل بخجل شديد.

- أرى أن كليكما حمقاوتان!، قالت الصغرى، التى كان اسمها ماريكيا. ستريان غدا.

فى اليوم التالى خرجت الصغرى لتروى الإصيص ومر أيضا ابن الملك، الذى قال لها نفس الشىء:

- أيتها الفتاة التى تروى الريحان،

كم ورقة توجد فى النبات؟

عندئذ أجابته ماريكيا:

- أيها الفارس النبيل، حضرتك الذى تعرف القراءة والكتابة، والجمع والطرح، كم نجمة فى السماء وكم رملة فى البحر؟

لم يعرف ابن الملك بماذا يجيب وأخذت الفتاة تضحك. عندئذ ذهب هو إلى قصره وهو يشعر بخجل شديد، لكن يفكر كيف سينتقم.

فى اليوم التالى، مر الأمير مرة أخرى من أمام البيت، لكن لم ير الفتاة، ولا فى اليوم التالى له أيضا. عندئذ فكر فى التنكر فى زى بائع شرائط زينة، وهكذا خرج فى الشوارع يبيع شرائط زينة. عندما مر من أمام البيت الذى تعيش فيه الثلاث أخوات، أخذ ينادى بقوة، حتى إن ثلاثتهن أطللن من الشباك ليرين ماذا يبيع. وكانت كل واحدة تريد هذا وذلك وذاك. قال بائع شرائط الزينة إنه لا يمكنه أن يبيع لهن من الشارع وطلب منهن أن ينزلن إلى الباب. لم ترد الكبيرتان أن تنزلا، لكن أصرت ماريكيا كثيرا، وقالت إنه لن يحدث شىء، حتى نزلت ثلاثتهن ليشترين من بائع شرائط الزينة. اختارت الصغرى شريطة مزخرفة وسألته كم يريد مقابلها. وأجاب هو:

- بما أنها لك، أريد فقط أن تعطينى قبلة. وأنتما أيضا. سأبيع كل ما أحمله مقابل قبلة.

- أوه، مستحيل! هذا لا يمكن أن يحدث! قالت الكبيرتان.

لكن الصغيرة قالت:

– وما المشكلة، إذا لم يرنا أحد. لن تفرق، مقابل قبلة...

وهكذا أعطت الصغيرة قبلة لبائع شرائط الزينة وأخذت الشريطة المزخرفة.

فى اليوم التالى، مر ابن الملك مرة أخرى بينما كانت ماريكيا تروى الريحان وسألها:

– أيتها الفتاة التى تروى الريحان، كم ورقة توجد فى النبات؟

وأجابته ماريكيا:

– أيها الفارس النبيل، حضرتك الذى تعرف القراءة والكتابة، والجمع والطرح، كم نجمة فى السماء وكم رملة فى البحر؟

وأجاب الأمير على ذلك:

– وقبلة بائع الشرائط المزينة، كانت سيئة أم جيدة؟

وبهذا فهمت ماريكيا ما حدث وذهبت إلى الداخل وهى فى منتهى الخجل، لكنها كانت تفكر فى أن عليها أن تنتقم. ولم تروِ الإصيص مرة أخرى، وكانت أختاها فقط هما اللتان تقومان بذلك، وهكذا لم يستطع ابن الملك رؤيتها، فسقط مريضا، مريضا جدا لدرجة أنه لم يكن هناك طبيب يستطيع أن يعالجه. عندما علمت الفتاة، ارتدت ملابس طبيب وذهبت بالمنطقة المحيطة بالقلعة، وتقمصت شخصية طبيب أجنبى من أفضل الأطباء. وفى النهاية استدعاها الملك.

– حسنا، يا جلالة الملك. أنا سأعالج ابنك. لكن بشرط ألا يدخل أحد إلى الغرفة، مهما سمعوا صراخا. لأن هذا علاج مؤلم جدا. هيا، فليحضروا لى فجلاً ومطرقة.

وهكذا فعلوا، وظلت الفتاة وحدها مع الأمير، الذى وجدته يتنهد فى الفراش.

– هيا، قل الحقيقة، حضرتك. قالت له، وكأنها طبيب. أنت مريض من العشق. أنت مغرم بفتاة ما، صحيح؟

وقال الأمير:

– نعم، هذا صحيح. هذه الفتاة الملعونة أمرضتني...

– إذن العلاج الوحيد لهذا شيء يوضع في المؤخرة.

وقد كان، وقبل أن ينتبه الآخر، وضعت له الفجلة في مؤخرته بضربة من المطرقة. أخذ الأمير يصرخ، لكن كلما كان يصرخ أكثر، كلما أعطته بالمطرقة بقوة أكبر، حتى أدخلت له الفجلة كاملة، وهكذا تركت المريض يصرخ مثل روح في المطهر.

بعد أيام قليلة، بدأت الفتاة تخرج من جديد لتروي الريحان، وفي نفس الوقت مر ابن الملك وقال لها:

– أيتها الفتاة التي تروي الريحان، كم ورقة توجد في النبات؟

وأجابت الفتاة:

– أيها الفارس النبيل، حضرتك الذي تعرف القراءة والكتابة، والجمع والطرح، كم نجمة في السماء وكم رملة في البحر؟

وأجابها الأمير:

– وقبلة بائع شرائط الزينة، كانت سيئة أم جيدة؟

عندئذ قالت له ماريكيا:

– والفجل في المؤخرة، كان طريا أم صلبا؟

وفي الحال ذهبت إلى الداخل، وأخذت تضحك، وتضحك.

أما الأمير المسكين، فقد عاد إلى قصره في منتهى الخجل والغيظ، ولهذا قرر أن يكون الانتقام مريعا.

مرّ الوقت، وكان أبو البنات الثلاث قد عاد من رحلته، عندها، استدعوه ذات يوم إلى القصر. حضر الرجل مرتعبا جدا، أما الملك، الذي تدخل في الأمر، فقال له:

– تعالَ غدا لرؤيتى مرة أخرى، لكن انتبه جيدا، فعليك أن تأتى لابسًا وعاريا. إذا لم تفعل هذا، سأعاقبك أنت وبناتك. خاصة الصغرى، التى قد لا تراها مرة أخرى.

عاد الرجل حزينا جدا إلى بيته، يفكر كيف سينفذ ما أمره به الملك. لم تفعل الأختان الكبيرتان غير البكاء، لكن ماريكيا أدارت الأمر فى رأسها، حتى قالت:

– وجدتها! سنصنع لأبى نصف بنطلون ونصف چاكيتة، بهذا الطريقة سيذهب مرتديا عاريا.

وهذا ما حدث.

قضت الأخوات الثلاث الليلة كلها يَخِطْن، وفى اليوم التالى، حضر الرجل بهذا المظهر فى القصر، فضحك عليه الجميع. لكن لم يكن أمام الملك إلا الموافقة عليه. وسأله فكرة من كانت هذه. عندئذ قال له الرجل إنها فكرة ابنته الصغرى وهى فى منتهى الذكاء.

– يمكننى أن أتخيل. قال الملك. حسنا، غدا ستأتى راكبا وعلى قدميك. وإذا لم تفعل هذا، سأعاقبك أنت وبناتك. خاصة الصغرى، التى قد لا تراها ثانية.

عاد الرجل إلى بيته قلقا جدا وقال لبناته:

– ليس هناك مفر هذه المرة.

وأخذت الكبيرتان تبكيان مرة أخرى، وأخذت ماريكيا تفكر بعمق، حتى وصلت إلى حل:

– لا تبكيا أيتها الحمقاوتين، فالأمر له حل سهل. كل ما علينا فعله هو شراء نعجة.

وهكذا ذهب الرجل إلى القصر فى اليوم التالى ورجل راكبة فوق النعجة والأخرى تمشى على الأرض، جامعا كل أطفال الشارع. لكن لم يكن أمام الملك إلا أن يوافق، وسأله فكرة من هذه. وأجابه الرجل إنها فكرة ابنته الصغرى.

كنت أتخيل هذا، قال الملك. حسنا؛ إذن غدا ستأتى ومعك بناتك الثلاث حوامل. وإذا لم تفعل، سأعاقبك أنت وبناتك. وخاصة ابنتك الصغرى، التى قد لا تراها مرة أخرى.

عندما علمت الأختان الكبيرتان، أخذتا تبكيان بحرقة، لكن قالت لهم ماريكيا:

- لا بأس، فهذا أسهل اختبار. علينا فقط أن نربط بعض الوسادات تحت الفساتين. ولن يتجرأ الملك ولا أى شخص على أن يمسنا!

وهكذاحضرت ثلاثتهن، فى اليوم التالى، كثلاث حوامل، ومعهن أبُوهن. لم يجرؤ الملك على التأكد، بسبب النظرات التى كانت تلقيها إليه ماريكيا، التى قالت:

- هل نحن جيدات هكذا يا جلالة الملك؟

- أوه نعم، بالطبع نعم- أجاب الملك. وبما أنكن قد فزتُنَّ، فلتطلب كل واحدة ما تريد.

طلبت الكبرى تفاحة والوسطى كمثرى، ورضيتا بهذا. لكن ماريكيا سألت:

- وإذا طلبت شيئا لا يمكن لجلالتك أن تعطيه لى، ماذا سيحدث؟

- إذن سأعطيكِ أىّ شىء آخر.

- يَدَ الأمير... مثلا؟

أخذ الملك يضحك، لكنه لم يرفض، ظنا منه أنه لن يكون هناك شىء يستحيل أن يحققه لها من البداية. ولكن ماريكيا قالت عندئذ:

- حسنا، إذن ما أريده هو جليد مشوى.

- ماذا؟ قال الجميع.

- قلت "جليد مشوى". هذا ما أريد.

- هذا مستحيل، قالوا للملك.

وبالفعل، وضعوا الجليد فى المدفأة، وساح؛ ووضعوه فى طنجرة، وساح أيضا. لم يتمكن أىّ طباخ فى الدنيا من أن يطبخ جليدا مشويا.

- أرأيت جلالتك؟ قالت ماريكيا. وهذا بنفس صعوبة أن تحمل ثلاث فتيات غير متزوجات. وعلى الفور نزعت الوسادة وأمرت أختيها بأن تفعلا نفس الشىء.

- حسنا يا امرأة، قال الملك. الآن ليس أمامى حلٌّ إلا أن أزوِّجك للأمير.

حسنا، وقد تزوجا. ولكن لم يكن الملك ولا الأمير راضيين عن كل ما حدث، أما ماريكيا التى كانت تنتظر الأسوأ، فقد قررت أن تذهب لتنام وحدها. لكن وضعت فى الفراش دمية تشبهها كثيرا، ومليئة بشراب مسكر، ووضعت حبلا على رأسها. ودخلت هى تحت السرير. وبعد وقت قليل، جاء الأمير ومعه خنجر كبير جدا، كبير جدا، وقال:

- أتذكرين يا ماريكيا عندما سخرت منى وسألتنى كم نجمة فى السماء وكم رملة فى البحر؟

وشدت هى الحبل وأومأت الدمية نعم برأسها، وواصل الأمير قائلا:

- وتذكرين عندما أردتِ أن تسخرى منى وتنكرتِ فى زى طبيب ووضعتِ لى الفجل فى مؤخرتى؟

فقالت الدمية نعم. عندئذ أخرج الخنجر وطعن الدمية، فسقط سيلٌ من الخمر ولامس فمه، عندئذ صاح الأمير:

- آه يا ماريكيا، كم هو حلو موتك، وكم هى مُرَّة حياتك!

لكنها خرجت من تحت السرير وقالت:

- اللعنة عليك، فأنا حية وسليمة، وسأرحل من هنا!

وخرجت تركض دون توقُّف حتى وصلت إلى بيتها.

وتوتة توتة، فرغت الحدوتة!

٣٦- جلد القملة وإطار الشمر

كان هناك ملك عنده ابنة ستبلغ سن الزواج قريبا. وذات يوم، كانت وصيفتها تمشط لها شعرها، وفجأة وجدت قملة. وذهبت في الحال لتقول لأبيها.

- أمر غريب! قال الملك. لم يرَ أحد قملة فى هذا القصر أبدا.

وبدلا من قتلها، وضعوها فى زجاجة وأمروا بتسمينها بالعجينة.

فى يوم آخر، كانت الأميرة تتنزه مع وصيفتها فى الحديقة ووجدتا عشب شمر صغيراً.

- انظرى حضرتكِ كم هو جميل هذا العشب الصغير! قالت الوصيفة. أتريدين أن أقطفه لكِ؟

لكن الملك، الذى كان يمر من هناك، قال:

- لا، سنعتنى بها لنرى إلى أى مدى ستصل.

حسنا، ومر بعض الوقت وأصبحت القملة كبيرة جدا، حتى إنه كان عليهم أن يخرجوها من الزجاجة ويضعوها فى آنية خزف. وهناك ظلوا يسمنونها بالعجينة. أما عشب الشمر الصغير، فمن كثرة ما كانوا يروون، أخذ ينمو، وينمو، حتى أثمر صنوبر. مرت فترة أخرى من الوقت، وكانت القملة قد أصبحت كبيرة جدا، حتى إن الإناء لم يعد يسعها. عندئذ قال الملك إنه يجب قتلها وسلخها. وبالجلد المشدود جيدا، يصنعون دفًا، وسيكون إطار الدف من خشب الشمر. ثم ألقى مرسوما يقول إن ابنته قد بلغت سن الزواج، وأمر بأن يأتى كل الراغبين فى الزواج من كل أنحاء المملكة ليرى ما إذا كانوا سيستطيعون أن يصيبوا فى تخمين مِمَّ صُنِعَ دُفُّ الأميرة. ومن يصب سيتزوج الأميرة، ومن لن يستطيع، سيموت فى خلال ثلاثة أيام.

أتى الأمراء، والدوقات، والماركيزات وكل الشخصيات الكبيرة، من كل مكان، وتم الحكم عليهم بالموت فى خلال الثلاثة أيام لأنهم لم يصيبوا التخمين.

سمع المرسوم أيضا راع، وذهب إلى أمه وقال لها:

- أمى، أعدى لى الزاد، فأنا ذاهب إلى القصر لأخمن من ماذا صنع دف الأميرة.

- لكن، هل أنت أحمق؟ ألا ترى أنهم يقتلون الكونتات وعلية السادة، وأنت، الذى لا تسمع غير ضرط الغنم، ستكتشف الأمر؟

- انظرى حضرتك يا أمى، هؤلاء الحمقى يعرفون القراءة والكتابة، لكنْ هل يعرفون مثلى أنا، المعتاد على جلود كل أنواع الحشرات وكل أشجار الغابة؟

وذهبت الأم وأعدت له كل ما يلزم الرحلة، وذهب الراعى إلى القصر.

فى الطريق، قابل عملاقا كان يثبت شجرة صنوبر حتى لا تسقط وتسحق القرية.

- ما اسمك؟ سأله.

- جامع القوى.

- وكم يدفعون لك؟

- بيسيتا فى اليوم.

- إذن أنا سأعطيك ثلاثة، وطعامك وشرابك.

وذهبا معا. وكانا قد مشيا مسافة كبيرة عندما قابلا رجلا موجها مقشة إلى السماء.

- ماذا تفعل؟ سألاه.

- أنا منتظر أن تخرج سحابة من الناموس. فمقابل كل واحدة أقتلها، يعطوننى عشر سنتيمو. ولهذا يسموننى بعيد النظر.

- إذن أنا سأعطيك ثلاث بيسيتات، وطعامك وشرابك.

وذهب يعيد النظر معهما. وكانوا يسيرون لفترة أخرى، عندما قابلوا شخصا يضع أذنه على الأرض.

- ماذا تفعل؟ سأله الراعى.

- ششش! سكوت! فأنا أسمع كيف ينمو العشب. لهذا يسموننى السميع.

- وكم تجنى فى اليوم؟

- كلبة سمينة لتنبهنى كيف ينمو النبات.

- إذن سأعطيك ثلاثة پيسيتات، والطعام والشراب.

وهكذا انضم السميع إلى الآخرين، وبعد أن مشوا قليلا، وجدوا رجلا رافعا مؤخرته ويخرج غازات مريعة.

- ماذا تفعل؟ سألوه.

- أنا أجعل أشرعة الطاحونة التى على بعد ثلاثة فراسخ من هنا تتحرك. لهذا يسموننى النفاخ الكبير.

- ولماذا تبقى بعيدا هكذا؟

- لأننى إذا اقتربت، سأحطمها.

- حسنا، وكم تجنى فى اليوم؟

- ريالان فى الصباح وريالان فى المساء، إذا كان هناك موسم طحين.

- إذن أنا سأعطيك ثلاثة پيسيتات، والمعيشة.

انضم النفاخ الكبير للمجموعة وهناك أخذ الجميع يمشون، ويمشون، حتى وجدوا شخصا مربوطا فى شجرة، وعجلتى طاحونة مربوطتين فى قدميه.

- ماذا بك؟ سألوه.

- لا شىء، إذا أطلقوا سراحى سأدور حول العالم فى دقيقة. لهذا يسموننى العدَّاء.

– حسنا، يا رجل، إذا انضممت إلينا سنفكُّك. وبما أننا أصبحنا ستة، لن نقبل المزيد من الأعضاء.

وافق العداء؛ وهكذا فكوه. ثم بعد ذلك، صعدوا جميعا على حجر الطاحونة ومن كثرة ما دفع جامع القوى وما نفخ النفاخ الكبير، قسمًا الحجر مثل شعاع. وبالقرب من القصر قال الراعى:

– الآن حان الوقت لنستريح.

وجلسوا ليستريحوا.

وفى هذه الأثناء، رأى بعيد النظر نملة كانت تغرق فى منتصف بحيرة صغيرة. أخذها الراعى واحتفظ بها فى حقيبته.

أخيرا وصلوا إلى القصر، وطلبوا نُزُلاً أمام القصر مباشرة. ذهب الراعى إلى القصر، وظل الخمسة الآخرون ينتظرونه. عندما وصل، قال إنه جاء ليكتشف من أىّ شىء صُنع دف الأميرة.

– حسنا، ها هو ذاك.

أخذ الراعى يلفه ويلمس الجلد والإطار من كل اتجاه. وبعد أن فكر كثيرا، قال:

– حسنا... الجلد لماعز صغير والإطار من شجرة.

– أتعتقد أنت هذا! لا. أنت مخطئ. عد غدا، وإذا لم تكتشف فى خلال ثلاثة أيام، أنت تعرف ماذا ينتظرك. قال الملك.

عاد الراعى غاضبا جدا إلى النزل وحكى لرفقائه ما حدث. عندئذ قال السميع:

– هذا لن يستغرق إلا وقتا قصيرا. ابقوا هنا.

وذهب هو واقترب من القصر من الجزء الخلفى. لصق أحد أذنيه على الحائط وسمع أنه فى تلك اللحظة كانت الأميرة تقول لوصيفتها:

– أليس خسارة أن يموت كل هؤلاء الدوقات والماركيزات؟

– طبعا، ثم ستعرفين سُمُوكِ بأىّ صعلوك ستتزوجين، لأننا لا نعرف من سيكتشف أن الجلد جلد قملة والإطار من الشمر؟

– اسكتى يا امرأة، فقد يسمعونك.

– هيا سموك، من سيسمعنى هنا فى هذه الغرفة، ونحن الاثنتين وحدنا تماما.

وفى الحال عاد السميع وحكى للراعى كل ما سمعه. فى اليوم التالى، ذهب الراعى إلى القصر وقال:

– ها أنا ذا من جديد. هل يمكن لحضراتكم أن تقربوا لى الدف؟

أعطوه له وتظاهر هو بأنه يتحسسه ويتحسسه مرة أخرى، حتى قال:

– لقد عرفت! الجلد لقملة والإطار من الشمر!

ذهل جميع الموجودين وفى الحال بدأ كل من فى البلاط يتحدثون عن أنه سينبغى على الأميرة أن تتزوج راعيا. لم تفرح الأميرة على الإطلاق من هذا، لكن قال الملك:

– حسنا، ليس أمامك حل آخر، لأن كلمة الملك هى كلمة الملك. الشىء الوحيد الذى يمكننى أن أفعله، هو أن أضع له بعض الاختبارات، لأن هذه هى العادة.

وذهب وقال للراعى:

– الأمر هو أن أوراق ابنتى التى تحتاجها للزواج بروما. إذا لم تحضر هذه الأوراق غدا، لن تتزوجها.

عاد الراعى حزينا جدا إلى النزل وحكى لرفاقه ما حدث.

– حسنا، لا تغضب، فأنا سأحضر لك هذه الأوراق فى دقيقة. قال العداء. ولم يكد ينتهى من قول هذا، حتى بدأ يركض مثل الشعاع وعاد من روما فى لحظة ومعه الأوراق فى يده. ها هى.

ذهب الراعى إلى القصر مرة أخرى، ومعه الأوراق تحت ذراعه، لكن قبل أن يصل إلى الباب، اقتربت منه ساحرة وبدأت تلهيه وتقول له أشياء لينام. وعندما كان شبه

نائم، أخذ بعيد النظر، الذى كان يرى كل شىء من بعيد، مقشته، وأعطى الساحرة ضربة أوقعتها مكانها. واستيقظ الراعى من صوت الخبطة وواصل طريقه إلى باب القصر.

- حسنا، قال الملك عندما رأى المستندات. لقد فزت مرة أخرى، لكن عليك الآن أن تصنف غرفة من الذرة فى ليلة واحدة، بأن تفصلها إلى ثلاثة أجزاء، الجيد، السيئ، والعادى.

وضعوه فى الغرفة حيث توجد كومة الذرة، التى كانت تصل إلى السقف، وحبسوه هناك. شعر الراعى بقلق شديد، وظن أنه لن يخرج من هناك، عندما سمع فجأة صوتا يقول له:

- لا تقلق يا رجل، أنا سأقوم بهذا العمل عنك.

وكانت هذه هى النملة التى أنقذوها من الغرق وكانت داخل حقائب الراعى. أخذها هو ووضعها على الأرض. لم تتوقف النملة عن العمل طول الليل وفى الصباح التالى، كانت أكوام الذرة الثلاثة مفصولة عن بعضها تماما، لأن النمل يفهم جيدا فى هذا الأمر.

- أرأيت يا ابنتى، قال الملك، أنه نفذ كل شىء. ليس أمامك الآن إلا أن تتزوجيه.

لكن عندئذ خرج كونت كان مغرما بالأميرة، وقال للراعى:

- سأعطيك كل الذهب الذى يمكنك حمله، إذا تنازلت لى عن يد الأميرة.

- حسنا، ولكن يجب أن يكون هذا بمساعدة أحد زملائى.

- حسنا. زميلا واحدا فقط.

أمر الراعى بإحضار جامع القوى، الذى حضر ومعه بعض الحقائب. ملأوا حقيبة بالنقود الذهبية وحملها جامع القوى كأنه لا يحمل شيئا. وملأوا أخرى، وحدث نفس الشىء.

وأخرى، وأخـرى، حتى قال الكونت إنه ليس لديه المزيد من المال وفسخ الاتفاق. خرج الراعى وصـديقه يركضـان بكل حقـائب النقود تحت أذرعـهمـا. أمـر الملك جيـشه بملاحقتهما، لكن عندئذ وقف النفاخ الكبير أمام كل العساكر، رافعا مؤخرته وبضربة واحدة رفعهم فى الهواء.

وسرعـان مـا ألحق بـاقى الرفقـاء بالراعى وجـامع القوى، وتقـاسـمـوا النقود مـثل الأصدقاء الجيدين.

٣٧- ممكن

يُحكى أنه كان هناك ملك عنده ابنة لا تقول إلا كلمة: "ممكن". وكانت تجيب دائما، عن كل ما يسألونها عنه أو يقولون لها بكلمة: "ممكن". كان الملك حزينا جدا، فالأميرة قد أصبحت فى سن الزواج، فمن سيحبها إذا كانت لا تعرف إلا أن تقول هذا؟ عندئذ أمر الملك بنشر مرسومٍ يقول فيه إنه سيزوِّج ابنته بمن يجعلها تقول شيئا آخر؛ لكنه سيقتل كل من يحاول ويفشل.

وصل الفرسان من كل الأنحاء وفشلوا جميعا، فالأميرة لم تقل غير نفس الشيء: "ممكن" لهذا، و"ممكن" لذاك؛ وهكذا أخذوا يقتلون كل المتقدمين.

أراد فارس من تلك المملكة أن يجرب حظه، لكن دون أن يتعرض لأى خطر. فكر فى أن أفضل شيء سيكون أن يبحث عن خادم، وأن يكون هو الذى يحاول جعل الأميرة تتكلم. وهكذا، سيظل الفارس فى مأمن، إذا فشل الخادم، وإذا نجح، فكيف سيزوج الملك ابنته من خادم بسيط؟ لا بد أنه سيفضل السيد.

وبهذه النيّات، بدأ الفارس طريقه وأخذ يتحدث مع البعض والبعض الآخر فى النُزل وفى كل مكان. بدا له بعضهم أذكياء للغاية، وآخرون أغبياء للغاية، وقليلون غيرهم جديرين بالثقة. فى نهاية اليوم، عندما كان يمر على جبل، وجد راعيا كان ينظر بتركيز على إناء على النار.

- ماذا تفعل؟ سأله.

- أطبخ الذى يصعد وينزل.

- وماذا يكون هذا؟

- بعض حبات الفول، التى عندما تغلى لا تبقى فى مكانها أبدا. لكنى لا أتركها تهرب، وها أنا هنا، أحرسها.

- آه، جيد جدا! قال الفارس. وقل لى شيئا آخر: ماذا يعمل أبوك؟

- أبى يصنع سورا ؛ كلما ابتعد أكثر، اقترب أكثر.

- وكيف يمكن أن يكون هذا؟

- حسنا، كلما أخذ يتقدم فى العمل، كلما اقترب من النهاية؛ ولهذا، "كلما ابتعد أكثر، اقترب أكثر".

- حسنا، جيد جدا! قلْ لى: وماذا تفعل أمك؟

- إن المسكينة تعجن الخبز الذى أكلناه الأسبوع الماضى.

- وكيف يمكن أن يحدث هذا؟

- سترى حضرتك: فهى قد اشترت الأسبوع الماضى خبزا بالدين وهى الآن تخبز فى المخبز لتتمكن من دفع المقابل.

- اللعنة! لم أتخيل ذلك أبدا. قلْ لى شيئا آخر: أين أخوك؟

- أخى؟ إنه يصطاد. لكنه يترك ما يصطاده ويحضر ما لا يصطاده.

- وماذا يصطاد هو؟

- قمل، يا سيدى. فالقمل الذى يصطاده، يتركه يموت؛ لكن الذى لا يصطاده، لا بد أنه يحضره إلى هنا.

- ياه، يا رجل، يا له من أخ! وأختك، ماذا تفعل؟

- تبكى ضحكات العام الماضى.

- كيف؟

- فى أعياد العام السابق، قضت وقتا جميلا جدا، حتى إنها الآن تضع مولودا.

أعجبت الفارس إجابات الراعى وحكى له خطته، وحذره، بأنه عندما يكون أمام الأميرة، عليه أن يقول لها شيئا يجبرها على الكلام.

- اتفقنا، قال الراعى. لكن سيكون من الأفضل أن نحضر كاتبا، ليدون ما تقوله ابنة الملك. حتى لا يندمون بعد ذلك.

- حسنا، يا رجل. كما تريد.

- بحثا عن كاتب وحضروا ثلاثتهم فى البلاط الملكى. وعندما كانوا أمام الأميرة، قال الراعى:

- مولاتى، سأحكى لك حكاية لا بد أنها ستجعلك تتكلمين.

وقالت الأميرة:

- ممكن.

- ظل الراعى مندهشا قليلا، لكنه بدأ حكايته:

- كان أبى ثريا جدا، حتى إنه كان لديه ألف خروف، وألفا عنزة وخمسمائة بقرة.

قالت الأميرة:

- ممكن

وواصل الآخر:

- كان لدينا حليب كثير جدا، حتى إننا اضطررنا إلى حفر بحيرة لوضعه فيها.

- ممكن.

وواصل الراعى:

- يوم آخر، كنت أمشى فى الحقل وأنا آكل الجوز، وقعت منى واحدة وفى الحال غرست جذورها. وبدأت تنمو، وتنمو، حتى وصلت الأغصان إلى السماء.

- ممكن

- ذهبتُ إلى البيت وطلبتُ من أمى وجبة خفيفة، لأننى أردت أن أصعد إلى أعلى شجرة الصنوبر لأحضر أعشاشا. تسلقتُ شجرة الصنوبر، وأخذتُ أتسلق، وأتسلق، وصلت إلى أبواب السماء. وهناك رأيت سان پدرو، الذى كان يصلح أحذية.

- ممكن.

– وكان هناك رجل آخر يبيع بطيخا، ولأننى كنت أشعر بعطش شديد، اشتريت منه واحدة. ولكنْ واحدة كبيرة جدا، وعندما قطعت منها قطعة، غرقت سكينتى، وقلت لنفسى: سأبحث عنها. وضعت نفسى داخل البطيخة وهناك وجدت عامل مزرعة، وقال: "ماذا تفعل هنا؟" وأجبته: "أبحث عن سكينة وقعت منى". وقال لى: "حسنا، فأنا هنا أبحث عن محراث منذ ثمانية أيام". عدتُ لسان پدرو وقلت له إننى أريد أن أنزل. ولكن فى هذا الوقت، كانت قد جاءت رياح قوية وانتزعت شجرة الصنوبر. قال لى سان پدرو: "كل ما لدى هو هذه القصبة، التى لن تصل إلى الأرض". تعلقت فى القصبة وانزلقت. لكن كانت مسافة مرتفعة جدا، حتى إننى كدت أقتل نفسى عندما اصطدمت بالصخور. لكننى قمت حيا وفى منتهى النشاط، وها أنا هنا.

وقالت الأميرة:

– ممكن ثم قال الراعى، الذى صار غاضبا جدا، وهو ينظر إلى الملك:

– ممكن أن تكون الأميرة بلهاء وجلالتك لا تدرى.

عندئذ قالت الأميرة:

– يا عديم الحياء، أنت عديم الحياء!

وقال الراعى فى الحال:

– سجل حضرتك يا سيادة الكاتب،

أن هذه ستكون زوجتى!

ليغتاظ سيدى!

٣٨- الأمير الغراب

كان يا ما كان، كان هناك ملك عنده ابنة متعجرفة جدا وهوائية جدا. صار الملك المسكين عجوزا وكان يريد أن يزوج ابنته ليكون عنده أحفاد. لكن الابنة لم تكن مستعدة للزواج. كانت تسخر من كل أمراء البلاط وكانت تقضى وقتها كله تستمتع بالحفلات. وكان الأب دائما غاضبا منها. وأخيرا، ناداها ذات يوم وقال لها:

– يا ابنتي، سأقوم بعمل بعض المسابقات. وعليكِ فى هذه المسابقات أن تختارى زوجا. ليكن من يكون، عليكِ أن تتزوجى، لأننى أريد أن أرى حفيدا لى قبل أن أموت.

عندئذ قالت له:

– إذن انظر يا أبى، أنا سأبحث فى هذه المسابقات. أنا مستعدة لاختيار زوج، لكن بشرط واحد: أن يأكل السادة الذين سيتقدمون لطلب يدى، رمانة، على حصان يركض بأقصى سرعة، وبدون أن تقع منه ولا حبة واحدة. ولن يتمكن من ستقع منه حبة على الأرض من طلب يدى. وعلى العكس، سيكون الذى لا يوقع ولا حبة زوجى.

وقال لها الملك:

– اتفقنا. ولكنى قد سئمت منك. الأكيد هو، أنكِ إذا لم تفى بوعدكِ، ستتزوجى بأىّ شخص، المهم أنك ستتزوجين.

وباختصار، هذا ما حدث. أقاموا المسابقات وحضر كل فرسان البلاط الملكى، ومعهم خيولهم ورماحهم الجميلة. كانت الملكة جالسة على عرشها، وإلى جانبها الأميرة. لكن كلما كان واحد يدخل، كانت الأميرة تطلق عليه لقبا وكانت تسخر منهم جميعا.

كان يوجد أمير وسيم جدا وكان مغرما بالأميرة، لكنها سخرت منه هو أيضا، لأن ذقنه كان مطويًا قليلا وأنفه كان معقوفًا. قالت لها وصيفاتها:

- يا سمو الأميرة، هذا وسيم جدا!

- أوه، إنه يشبه الغراب! هذا هو الأمير الغراب. وأخذ الجميع يضحكون.

كان هذا الأمير يركب الخيل أفضل من أى شخص، وكان ثريا جدا. أغنى من الملك نفسه. بدأت المسابقة، وأخذ جميع الفرسان يأكلون الرمان وهم يركضون بالحصان بأقصى سرعة، وأوقعوا جميعا حبات الرمان على الأرض، وكانت الأميرة تستمتع وتضحك. وعندما حان دور الأمير الغراب، كان هو الوحيد الذى أكل الرمانة كاملة. ما عدا الحبة الأخيرة، فقد وقعت منه، لكنها علقت فى ذقنه السوداء المجعدة. عندما وقف أمام الأميرة، ليطلب يدها، بدأت الأميرة تضحك وقالت له إن هناك حبة فى ذقنه. عندئذ قال الأب:

- لكنها لم تسقط فعلا على الأرض، وكان هذا هو الشرط الذى وضعته أنتِ بنفسك.

وقالت الأميرة:

- أنا؟ لكن كيف سأتزوج بهذا الأمير الغراب؟ وأخذ الجميع يضحكون.

عندئذ قال الملك:

- أيتها الملعونة، يا لكِ من متعجرفة. أتعهد أمام كل بلاطى بأنك ستتزوجين بأول متسول يصل إلى بابى.

أخذت الأميرة هذا أيضا على سبيل المزاح، لكن بعد وقت قصير، وصل خادم وقال:

- جلالتك، يوجد هناك متسول يطلب أن تنفذ وعدك.

وظهر المتسول بملابسه الرثة، وقذرا، ومعه حقيبة مليئة بالخبز القديم. أمر الملك بدخوله، وقال لابنته:

– اخلعى هذا الفستان. اخلعى هذا الحذاء. أحضروا فستان وحذاء شحاذة، وألبسوهما لابنتى.

بدأت الملكة تبكى وقالت لها الأميرة:

– أمى، ماذا ستفعلون بى؟

– يا ابنتى، نفذى رغبة أبيك. ليس لدى أبيك أهم من كلمته.

وهكذا ألبسوها بهذا الشكل وأحضروا قسيسا، زوج الأميرة للمتسول فى الحال.
عندما انتهت مراسم الاحتفال، قال الملك:

– خذى. أمسكى بهذه الحقيبة. لأن زوجك لن يسير بكل الحمل وحده. واذهبى معه.

أخذت الأميرة تبكى:

– أبى، سامحنى.

– لا، اذهبى من هنا أيتها الملعونة!

خرجت الأميرة من القصر مع زوجها، ومشيا، مشيا، ومرا على مرج توجد فيه خراف، وبقر، وماعز... كل أنواع الأغنام الجميلة، وبعض الخيول الرائعة! وقالت هى لزوجها:

– يا إلهى! يا لها من أغنام جميلة! من صاحب هذه الأبقار؟

– تلك؟ إنها للأمير الغراب.

وصلا إلى مكان آخر:

– لمن هذا القطيع؟

– هذا؟ هذا ملك الأمير الغراب.

بعض البيوت الريفية الرائعة. وفوق كل هذا، كان يوجد قصر وكان من العجائب.

– وهذا القصر؟

– ذلك؟ إنه للأمير الغراب.

– إذن فالأمير الغراب غنيٌّ جدا.

– أغنى من الملك نفسه. انظرى: كل ما ترينه حولك. قرى بأكملها. كل هذا ملك للأمير الغراب.

عندئذ كانت المسكينة تفكر: "بسبب غرورى لم أتزوج به". حسنا، إذن وصلا إلى كوخ، وقال الزوج:

– ستقومين الآن بعمل شعلة. تعرفين كيف تصنعين شعلة، أليس كذلك؟

– وما الشعلة؟

– يا إلهى! الشعلة هى شىء يصنع على الأرض من العصىّ والكبريت. خذى، خذى كبريتًا. واطبخى لى شوربة قواقع. وأنا سآكل خنزيرا، وهو الطعام الوحيد الذى لدينا طوال العام. إذن خذى القليل من دهن الخنزير، افرميه واطبخى الشوربة.

وقالت المسكينة:

– حسنا، سأحاول.

ذهبت لتكسر العصىّ وجرحت نفسها.

– آى، لقد جرحت يدى! آى، يدى!

– هذا ما كان ينقصنا. يا لها من مصيبة تلك التى أصابنى بها أبوكِ! ابتعدى من هنا، أيتها الحمقاء!

أخذ المتسول العصىّ وقام بعمل الشعلة.

– هيا، لكىْ نرى ما إذا كنتِ ستستطيعين عمل الشوربة.

لكنها لم تكن تعرف، عندئذ أخذ منها الوعاء وقال لها:

– أنا فى ورطة. هيا، اجلسى، يا عديمة الفائدة؛ أنتِ عديمة الفائدة.

أخذت هى تبكى، وتبكى. وقال هو بعد فترة:

– هنا يوجد الفراش. إذا أردتِ يمكنك أن تذهبى للنوم.

– أنا، لا، لست أشعر بالنعاس.

وهناك لم يكن يوجد أكثر من مرتبة من القش وفوقها بطانية.

– حسنا أنا نعسان. يجب أن أعمل باكرا. إذن فإذا كنت لا ترغبين فى النوم، فلتبقى هناك.

وقال لها فى الصباح التالى:

– هنا عندك سلة من البيض. حاولى بيع كل البيض وأحضرى لى النقود، فهذه هى النقود التى سنأكل بها.

فخرجت هى وذهبت لتبيع البيض. كان عليها أن تمشى أكثر من كيلو متر، من الكوخ إلى القرية. وصلت، وكان هناك واحد يبيع خضراوات، وآخر يبيع ثوما، والآخر بطاطس، وهكذا. وضعت هى سلة البيض على الأرض واقتربت امرأة:

– بكم تبيعين البيض؟

– بريال.

– أعطنى هاتين البيضتين من فضلك.

عندئذ أعطتها البيضتين. أخذت المرأة واحدة، وكسرتها وخرجت لها عملة بخمسة دورهات. بيضة أخرى، وعملة أخرى بخمسة دوروهات. وقالت لها:

– خذى حضرتك هاتين العملتين وأنا سآخذ سلةَ البيض.

عادت هى إلى الكوخ وحكت لزوجها ما حدث. قال الزوج:

– حمقاء! ولماذا لم تحضرى البيض كله عندما رأيت أن بداخله عملات، أتظنين أنه ملكِك؟ أنت لا تنفعين فى أى شىء!

وأخذت المسكينة تبكى مرة أخرى، تبكى كثيرا.

– بما أننى لم يكن لدى حظ فى البيض، خذى هذه الأطباق والآنية الخزفية تلك واذهبى لبيعها.

وقفت المسكينة هناك مرة أخرى ومعها الآنية الخزفية. وفى هذه الأثناء سُمع صوت خيل تركض باندفاع: بسرعة، بسرعة، بسرعة! وبدأ جميع الناس يقولون:

– الأمير الغراب! الأمير الغراب!

وظهر آتيا، حصان أسود، أسود، يمتطيه شاب، يضع على رأسه ريشة ويرتدى عباءة حمراء، ومر بأقصى سرعة، راكضا فوق كل الآنية، التى حولّها إلى فتات. دون أن يلتفت إليها. أخذت المسكينة تبكى، وتقول:

– أوه يا ربى! ليتنى استطعت فقط أن أكون زوجة الأمير الغراب!

ذهبت إلى الكوخ وحكتْ لزوجها.

– أنتِ حمقاء. أنتِ لا تصلحين لشىء. لقد علِمتُ تحديدا بأنهم يحتاجون إلى خادمة تنظيف فى قصر الأمير الغراب. خلاصة الأمر أنكِ ستذهبين غدا لتعملى فى هذه الوظيفة.

فى اليوم التالى، أخذها من يدها واصطحبها إلى القصر. وقبلوها كخادمة نظافة، لأن الأمير كان سيتزوج.

كانت المسكينة تذهب كل يوم إلى العمل وتعود منهكة إلى الكوخ. وقالت لزوجها ذات يوم:

– ألا تعلم أن الأمير الغراب سيتزوج بأميرة؟

– بلى. وأعتقد أنه سيكون هناك طعام ملكى. وأنتِ ماذا ستفعلين؟

– أنا سأكون مساعدة فى المطبخ.

– إذن تذكرينى، فهم سيضعون لكِ أشياء لذيذة جدا: دجاج، ولحم خنزير، وحلويات... واحتفظى لى ببعض هذه الأشياء. فمن حقى أنا، الذى أعلمكِ الحياة وأحمل مسئوليتكِ، أن أتذوق شيئا. ولهذا خذى علبة الطعام هذه وضعيها تحت المريلة وضعى القليل من كل شىء، لآكله فى الليل.

ذهبت إلى العمل ومعها علبتها، وقالت لخادمة أخرى:

- كم أريد أن أرى حفل الزفاف!

- وأنا أيضا. لأنهم يقولون إن العروس فى منتهى الجمال، وسيكون هناك رقص وكل شيء. انظرى، بما أنه توجد فى القاعة ستارة كبيرة جدا، فلنقف نحن الخادمات جميعا، ومن هناك سنرى كل شيء، فالملك والملكة وكل الأمة قادمون.

أخذت تبكى، لأنها تذكرت أبويها، التى كانت ستراهما. أولا كان عشاء الخدم، وأخذت هى تلقى فى العلبة كل ما تراه طيبا. ثم صعدوا إلى قاعة الرقص، واختبأوا وراء الستارة. وها هو الموكب قد وصل، واقترب الملك من سينيوريتا وأخذ يرقص معها. بدآ يدوران، ويدوران، وعندما مرا بالقرب من الستارة، قام الأمير ب: زوو!، وشد شدة، فوقعت الستارة وكشفت كل الخادمات. اقترب الأمير منها وأمسكها من يدها وأخذها إلى وسط القاعة. لكنه جذبها بشدة إلى درجة أن علبة الطعام سقطت منها على الأرض ووقعت كل قطع الدجاج والحلوى، وعمت الفوضى، وبدأ الناس يقهقهون. عندئذ لم تكن قادرة على احتمال هذا وسقطت فاقدة وعيها.

أخذها الأمير بين ذراعيه وحملها إلى غرفة فى القصر. وضعها فوق السرير. وبعد فترة، عندما استعادت هى وعيها، رأت أن كل البلاط الملكى ينظر إليها: أبوها على اليمين وأمها على اليسار.

- أين أنا؟ ماذا حدث لى؟

- أنت فى قصر الأمير الغراب، يا ابنتى.

- والأمير؟ أين هو؟

- ظل الجميع صامتين. وفى نفس الوقت فتح الباب ودخل المتسول. ذهب نحو السرير، أخذ يخلع تنكره كلما كان يقترب؛ ووراء هذا ظهر الأمير الغراب. وبما أنهما كانا متزوجين بالفعل، لم يكن عليهم أن يزوجوهما، ولكنهما انتقلا مباشرة إلى طيور الحجل، أما أنا فضربونى بالباب فى أنفى.

٣٩- أحصنة الحلوى

كان ياما كان، كان هناك ملك وملكة يعيشان فى قصر. وفى يوم من الأيام، كان على الملك أن يذهب إلى الحرب، وبقيت الملكة مع ربة البيت، التى كانت أسوأ من السم.

مرت بضعة شهور وأنجبت الملكة ولدين وبنتا. كتبت ربة البيت إلى الملك تقول له إن الملكة أنجبت ثلاث دُمًى. عندئذ أجابها الملك بأنه إذا كان هذا صحيحا، فلترمِ الأطفال وتقتل الملكة. لكن ربة البيت قامت، بحبس الملكة، لتجعلها تعانى أكثر. ووضعت الأطفال فى سلة صغيرة وألقتها فى نهر كان يمر من ذلك المكان.

مر من هناك بستانى جاء ليبيع خضراواته، وسمع صوت بكاء. اقترب ورأى السلة. أخذها وحمل الأطفال إلى بيته، حيث يعيش مع زوجته. ولأنهما لم يكن عندهما أطفال، تبنياهم بكل سرور.

مرت بضع سنين وكان الأطفال يكبرون وهم سعداء ومسرورون، مع من كانوا يعتقدون أنهما أبواهم. ولأن البستانى كان فقيرا جدا ولم يستطع أن يشترى لأطفاله ألعابا، كان يصنع لهم أحصنة من الحلوى.

كان الملك قد عاد من الحرب وذات يوم، كان يتمشى فى الأنحاء، رأى الأطفال وهم يلعبون بأحصنتهم، ويقولون لها: "اركض، اشرب، امشِ". عندئذ اقترب الملك وقال لهم:

- يا أطفال، هل أحصنة الحلوى تركض، وتشرب وتمشى؟

وأجابته الطفلة:

- وهل نساء من لحم ودم ينجبن دُمًى؟

ظل الملك مندهشا وذهب إلى القصر وهو قلق جدا. وقابل الأطفال مرة أخرى بعد أيام قليلة وسألهم أين يعيشون. أشار له الأطفال إلى المكان وذهب ليتحدث مع البستانى. سأله عما إذا كان هؤلاء الأطفال أولاده، وأجابه البستانى بلا، وأنه انتشلهم من النهر، لكنه رباهم كما لو كانوا أولاده.

عندئذ قال له الملك إنه سيقيم حفلة فى القصر، وأنه يدعوهما هما والأطفال.

عندما كانوا فى طريقهم إلى القصر، قالت الطفلة لأخويها:

– لا تأكلا من أى طعام حتى أجربه أنا.

عندما وصلوا، كانت توجد موائد كبيرة جدا عليها أفخر الأطعمة. وكانت عيون الأطفال تلاحق الأطباق. جلسوا على المائدة وقال لهم الملك:

– يا أطفال، كلوا!

عندئذ أجابت الطفلة:

– لن نأكل حتى يأتى شخص ينقص.

أراد الملك أن يعرف من هو، لكنها لم تقل له.

عندئذ أمر الملك بإحضار كل شخصيات البلاط، وفى أثناء هذا، أراد الطفلان أن يأكلا شيئا. وأخيرا قالت الطفلة:

– لن نأكل حتى تحضر أمى.

تعجَّب الملك:

– أمك؟

– نعم، أمنا، المحبوسة هنا فى القصر. وأيضا هذه الحلوى مسمومة.

ألقاها الملك لقطة كانت هناك، وأكلتها وماتت فى الحال.

اندهش الملك كثيرا، إلى درجة أنه أمر بإحضار كل حرس القصر ليبحثوا فى كل أركان القصر. عندئذ قالت الفتاة إنه ليس هناك داع إلى ذلك، لأنها تعرف المكان بالضبط.

اصطحب الملك الأطفال، وعندما وصلوا إلى حيث كانت الملكة، كسروا الحائط وظهرت الملكة المسكينة، نحيفة جدا وشاحبة جدا. لكن رغم هذا تعرف إليها الملك. عانقها وقبّل الجميع بعضهم. أما ربة البيت فقتلوها، وعاشوا سعداء وأكلوا الحجل.

٤٠- الزهرة الخضراء

كان يا ما كان، كان هنـــاك ملك وملكـة عندهما ابنة وحيدة. عندما كانت الأمــيرة لا تزال صغيرة جدا، قرأت لها غجرية الطالع وقالت إنها فى الثامنة عشر من عمرها، ستصير امرأة همجية. أخذ الأب والأم يفكران ماذا يفعلان ليخلصاها من هذه الفكرة، وخطر ببالهما أن يبنيا قلعة فى الجبل ويأخذا الطفلة إليها مع خادمة عندها طفلة صغيرة.

حسنا، وهكذا بنوا القلعة وحملوا الابنة، التى كانت ولا تزال طفلة، مع الخادمة وابنتها. وزودوهم بالمؤن والملابس وكل شىء للثمانية عشر عاما.

عندما كانت الطفلة صغيرة، لم يكن يلفت انتباهها شىء، لكن عندما بلغت الثامنة عشر عاما قالت:

- لكن، ألا يوجد فى الدنيا أكثر من هذا، هل سنبقى داخل هذه القلعة؟

أطلت ذات يوم من البلكون، ولمحت كوخا ورأت أن هناك بعض اللصوص يخرجون منه. أخذت تعدهم ورأت أنهم كانوا أربعة، وقالت:

- غدا سأرى ماذا يحدث هناك.

فى اليوم التالى، خرجت من القلعة واتجهت إلى الكوخ. وقابلت على الباب ابن الزعيم. ودخلت دون أن تقول أى شىء وألقت على الأرض كل الطعام الذى كان يعده الصبى للصوص. ولخبطتْ له كل الفراش وذهبت إلى قلعتها. عندما وصلت إلى القلعة قالت لابنة الخادمة:

– أنا ذهبت إلى الكوخ الذى ترينه هناك وقابلت الفتى الذى يعد الطعام وألقيته له كله على الأرض، ولخبطتُ له الفراش. سنذهب مرة أخرى غدا مبكرا، وسأقتلك إن قلتِ لأمك أى شىء.

ذهبت الاثنتان فى الصباح. ذلك اليوم، بقى هناك أحد اللصوص لينتظر الشابة التى أتت فى اليوم السابق وألقت الطعام للفتى على الأرض ولخبطتْ له الفراش. عندما وصلتا، استقبلهما اللص فى الحال وهو سعيد جدا وأراد أن يستمتع معهما. وقالت له الفتاة:

– حسنا، لكن لنعد المائدة أولا ونأكل.

وبينما كان اللص يعد المائدة، خرجت الفتاتان من فتحة كانت فى الكوخ وذهبتا إلى القلعة. وصل اللصوص إلى الكوخ وسألوه على الشابة التى بقى من أجلها. وحكى هو لهم كيف خدعته هى ورحلت. وقال له الزعيم:

– آه أيها الأحمق! سترى كيف سأبقى أنا غدا ولن تهرب منى.

فى اليوم التالى، بقى الزعيم ليرى إذا كانت الشابة ستأتى. جاءت هى مرة أخرى إلى الكوخ، واستقبلها الزعيم وهو سعيد جدا وأراد أيضا أن يستمتع بها. لكنها قالت له:

– حسنا، لكن أولا أريد أن أصطحبك إلى القلعة. ستذهب معى إلى القلعة التى أعيش فيها.

وذهب الزعيم معها. وعندما وصلا، قالت له الشابة:

– سأصعد أنا على هذا السور بهذا السلم ثم ستصعد أنت.

وصعدت هى أولا. بعد ذلك بدأ الزعيم يصعد وهو فى منتصف الحائط، قطعت هى السلم وتركته يسقط وأخذ خبطة لا بأس بها. وبهذه الحالة، وهو مكسور ومتألم، ذهب إلى كهفه وهو يتوعد بالانتقام. عندما وصل، كان محطما جدا حتى إنه وضع نفسه فى الفراش.

عندما سمعت الشابة أنه مريض فى الفراش، تنكرت فى زى طبيب وذهبت لعلاجه. وصلت وقالوا لها أن تدخل. ودخلت لرؤية المريض ودلكته بنبات عشبى لاسع. وقالت له وهى تغادر:

- أنا الزهرة الخضراء، فلتتذكر.

وبعد أيام قليلة قالت:

- حسنا، لا بد أن زعيم اللصوص الآن لديه لحية.

وتنكرت فى زى حلاق ومرت من أمام الكوخ. ناداها ابن الزعيم لتحلق لأبيه. دخلتْ وأصابته بجروح كثيرة فى وجهه وتركته يتألم بشدة. رحلت مرة أخرى وقالت له وهى تغادر:

- أنا الزهرة الخضراء، فلتتذكر.

حسنا، إذن جاء أبوها وأمها ليحضراها لأن الثمانية عشر عاما قد مرت، وأخذاها إلى القصر. ومن فرط سعادتهم جميعا، قال لها الملك أن تختار أكثر شىء مستحيل تريده، أى شىء ترغب به، وسيحققه هو لها. عندئذ طلبت هى منه أن يعفو عن اللصوص. لكن الملك، أباها، قال إنه سينفذ لها أى شىء ما عدا هذا.

بعد أيام قليلة، ذهب زعيم اللصوص ليطلب يد الأميرة متخفيًا فى زى فارس كبير، ولأنه يعرف أنها تسببت له فى أذى كبير، كان يريد أن يتزوجها ليقتلها. ووافق الأب والأم على زواجها منه. كانت هى تفهم نيَّات الزعيم، وفى يوم الزفاف، أمرت بأن يصنعوا دمية من الحلوى، وأن يحشوها بالشربات، وأن يكون لها نفس الشكل. وتزوجا، وفى الليل، ذهبت للنوم أولا ووضعت فى الفراش دمية الحلوى بحبل صغير لتقول نعم ولا برأسها. ودخلت هى تحت الفراش.

حسنا، ذهب العريس بعد قليل للنوم بنية قتل العروس والانتقام. وصل إلى الفراش وقال للدمية:

- هل تتذكرين أيتها الزهرة الخضراء، عندما خربتِ كل شىء لابنى فى الكوخ؟

وكانت هى تقول نعم برأسها. وهو يقول لها:

- هل تتذكرين أيتها الزهرة الخضراء اليوم الذى أخذتنى فيه إلى القلعة وكسرتِ لى السلم وكدتِ أن تقتلينى؟

وأجابت هى مرة أخرى بنعم برأسها. ثم قال:

- هل تتذكرين أيتها الزهرة الخضراء عندما ذهبت إلى الكوخ فى زى طبيب ودلكتينى بالنبات العشبى اللاسع؟

وقالت برأسها نعم. وقال:

- هل تتذكرين أيتها الزهرة الخضراء، عندما ذهبتِ فى زىٍّ حلاق وأصبتنى بجروح فى وجهى؟

وقالت هى نعم برأسها مرة أخرى. عندئذ قال لها:

- حسنا، إذن سأقتلك الآن وستدفعين ثمن كل الأذى الذى سببته لى.

وأخرج خنجرا وطعنها بجانب قلبها. لكن انفتحت الدمية وسقط على فم اللص سيل من الشربات، وقال هو:

- آه يا زهرة حياتى الخضراء، كم هو حلو موتك! إذا كنت أعرف أن موتك حلو هكذا لما قتلتكِ. سامحينى.

عندئذ خرجت من تحت الفراش وتعانقا. وعاشا سعيدين طوال الحياة وأكلا الحجل. وأنا لم يعطيانى لأنهما لم يردا.

٤١- ابنة المتسول

كان هناك أب أرمل يعيش مع ابنته؛ وكان فقيرا جدا، فقيرا لدرجة أنه كان يخرج في بعض الأيام ليطلب حسنة لإحضار الخبز إلى بيته. ذات يوم، بعد أن تعب من أن يطلب ولا أحد يعطي، ذهب إلى بيت جار غني ودق الباب. خرج الغني وسأله ماذا يريد. طلب منه الفقير أن يعطيه حسنة لله.

- هيا، اذهب لطلب حسنة من باب آخر، أجابه الغني.

أما الفقير، الذي شعر بإهانة شديدة، أخرج خنجرا وطعن به الغني في صدره وقتـله.

جاءت الشرطة وأمسكوا بالمتسول وحملوه إلى السجن. وقالوا له إنه سيلقى عقوبة الموت. عندئذ طلب إذنا ليتـحدث مع ابنتـه. جاءت الابنة لزيارة أبيـها وطلب منها أن تذهب إلى بيتٍ يوجـد فيـه سادة أغنياء جدا كانوا من جيرانهم، وأن تقول لهم إنهم سيحكمون على أبيها بالموت، وتطلب منهم أن يستقبلوها في بيتهم ويربوها حتى تكبر. واستقبلاها هما بسعادة بالغة. لم تكن عندهما عائلة وربياها كابنة لهما وكانت تقول لهما "بابا وماما".

حسنا، وهكذا أخذت الفتاة تكبر، وعندما صارت صبية، كانت جميلة جدا. وفي مناسبة ما، كان على أبويها أن يذهبا إلى المدينة وأن يتركاها وحيدة في البيت. عند الرحيل، طلبا منها ألا تفتح الباب لأحد، أيًا كان. لكن بعد أن ذهبا بقليل، ذهب رجل شرير كان يعيش بالقرب منهم وتنكر في زي امرأة عجوز وذهب لزيارة الفتاة. وصل إلى الباب ودق.

- لن أفتح! أجابته الفتاة الصغيرة. طلب مني بابا وماما ألا أفتح لأحد.

لكن ذلك الشرير، الذى كان يتحدث مثل امرأة عجوز، قال لها:

- هيا أيتها الفتاة الطيبة، أنا عجوز مسكينة وجئت لأطلب القليل من الخبز.

عندئذ اعتقدت الفتاة أنها عجوز محتاجة ونزلت؛ فتحت لها الباب وطلبت منها أن تصعد. وهكذا صعد الرجل الشرير وأعطته الفتاة خبزا. عندئذ قال:

- حسنا يا فتاة، لقد أعطيتنى الخبز، هل يمكن أن تعطينى بعض الشوربة؟

وقامت الفتاة بعمل شوربة لها، وعندئذ قال لها الرجل:

- أيتها الفتاة الطيبة، لقد أعطيتنى الشوربة، فهل ستعطيننى سريرا لأنام هذه الليلة؟

وذهبت ووضعت له سريرا فى الصالة. وقالت الفتاة إنها ذاهبة لتنام. عندئذ أخرج الرجل خنجرا وفأسا وقال:

- هذا هو الوقت المناسب لأقتلها وأسرق نقود السادة.

نظرتْ الفتاة من خرم القفل ورأته. وبدأت تصرخ. وقال لها هو إن الصراخ لن يفيدها بشىء، وأمرها بأن تفتح باب غرفتها، لأنه سيقتلها. وذهب وبدأ يدفع الباب لكنه لم يتمكن من فتحه. أخذ يدفع الباب، ولكن لا شىء، لم يتمكن من فتحه.

حسنا، وعندما رأى أنه لا يستطيع أن يفتح الباب، أخذ الفأس وبدأ يضربه به. والفتاة تصيح أكثر وأكثر. لكن الباب كان قويا جدا، لدرجة أن الآخر لم يتمكن من تحطيمه. عندئذ خرج راكضا ليصفر مناديا على زملائه. وفى هذه الأثناء تبعته الفتاة، وعندما كان هو بالخارج، صفقت الباب تاركة إياه بالخارج. وعندئذ أخذ يقول للفتاة:

- انظرى أنا لا أريد أن أدخل ولا أىّ شىء. كل ما أريده هو أن تتركينى أدخل لأحضر فأسى وخنجرى.

- إذن ضع يدك تحت الباب، وأنا سأعطيهما لك. قالت له.

ووضع يده تحت الباب، وأخذت هى الفأس، وفورا، قطعت له أصابع يده الخمس. انسحب الشرير عندئذ متألما جدا وذهب إلى كهفه مع زملائه.

حسنا، إذن عاد أب وأم الفتاة وحكت لهما كل ما حدث لها. وقال لها والداها إنها أحسنت التصرف. ونسيت الفتاة مع الوقت كل شيء ثم تعرفت إلى عريس وتزوجته. لكن هذا العريس كان هو نفس الشخص الذى قطعت له يده، وكان قد تنكر فى زى أمير، لكنها لم تتعرف إليه.

تزوجا وذهبا ليعيشا فى بيت آخر. انتبهت هى إلى أن زوجها لم يكن يخرج إحدى يديه من جيبه أبدا، وعندما يفعل هذا، يكون مرتديا قفازا. ذات يوم، لم يكن الزوج مرتديا فيه القفاز، خرجا ليتنزها فى الحقل، وعندما مرًا أمام بئر، شعرت هى برغبة فى الشرب.

– آى، إننى أشعر بعطش شديد! لم لا تخرج لى القليل من الماء؟

عندئذ ذهب هو إلى البئر وقال لنفسه: "هذه هى فرصتى"؛ لكنه لم ينتبه إلى أنه أخرج يده من جيبه ليشد الحبل، ولأنه لم يكن يرتدى قفازا، رأت هى فى الحال أنه ليست لديه أصابع ولاحظت النيات التى بدت على وجهه. قال هو:

– انظرى، أطلِّى وانظرى كم هى عميقة هذه البئر.

– طُلّ أنت وقل لى عندما تصل إلى القاع!

ودفعته دفعة وألقته فى البئر. ولا يزال باقيا هناك، وعادت تجرى إلى بيت والديها ولم تتذكره أبدا. وتوتة توتة فرغت الحدوتة.

حكايات الحيوانات

(٨) سباقات الذئب والثعلبة

٤٢- الذئب يُسلخ حيا

كل يوم، كان يمر فى الطريق خبازان يجران عربة بها سلال من الخبز، وكانا يتجولان للبيع فى قرية مجاورة. وكانت الثعلبة تراهما يمران كل يوم وكان لعابها يسيل، عندما ترى وتشم هذا الخبز الجميل جدا. ذات يوم، لم تستطع أن تحتمل أكثر من هذا وألقت بنفسها فى منتصف الطريق، وتظاهرت بأنها ميتة.

- يا زميلى، انظر، ثعلبة ميتة قال أحد الخبازين. ماذا نفعل؟

- خذها وألقها فى العربة. أجاب الآخر، وعندما نصل إلى القرية، سنسلخها ونبيع فروتها.

وهكذا ألقيا بالثعلبة بين سلال الخبز وواصلا طريقهما. لم تنتظر الثعلبة وقتا طويلا لتحقق رغباتها، وهى أن تأكل ملء بطنها من ذلك الخبز الشهى للغاية. ودون أن ينتبه الآخران، أخذت تلتهم بشراهة رغيفا تلو الآخر، حتى انتهت من سلة كاملة. ثم قفزت من أعلى العربة وأخذت تركض فى الحقل. عندما وصل الخبازان إلى القرية، رأيا أن الثعلبة ليس لها أثر... ولا الخبز.

كانت الثعلبة تمشى ذاهبة إلى جحرها وهى سعيدة للغاية، ممتلئة كما لم تكن فى حياتها كلها، عندما قابلت الذئب. الذى قال لها:

– أيتها الثعلبة، أيتها الثعلبة، كم تبدين سعيدة! من الواضح أنكِ أكلتِ جيدا. انظرى، أنا لم آكل ولا لقمة واحدة اليوم حتى الآن. بحيث...

– يا زميلى الذئب، لا تكن هكذا، قالت له الثعلبة. كل هذا لأننى ملأت بطنى اليوم! بدلا من أن تأكلنى، سيكون من الأفضل أن أشرح لك أين توجد المؤنة وهكذا ستأكل كل يوم.

– اتفاق جيد. لنرَ، أين توجد هذه الصفقة؟

– الأمر سهل جدا يا رجل، قالت الثعلبة. كل ما عليك أن تفعله هو أن تنتظر كل يوم حتى تمر عربة الخبازين. وتلقى بنفسك فى منتصف الطريق، وتتظاهر بأنك ميت. سيشفقون عليك وسيضعونك فى العربة. وبمجرد أن تصل هناك، كُلْ ملء بطنك من الخبز ثم اهرب. انظر كيف حال بطنى حتى لا تظن أننى أخدعك.

– لا أدرى، لا أدرى...

– هيا يا رجل. فقط عليك أن تحرص على ألاَّ تقوم بأىّ حركة عندما يحملونك، حتى يقتنعوا بأنك ميت فعلا. مهما فعلوا أو قالوا، لا تفعل أى شىء، فلتبقَ هادئا، هادئا.

– حسنا. لكن، آه لو كنتِ تخدعيننى!

كان الذئب يلعق قدميه وهو يفكر فى الوليمة التى سيأكلها، وفى اليوم التالى، فعل كل ما قالته له الثعلبة. ذهب إلى الطريق وألقى بنفسه هناك ممددا على الأرض فى المنتصف. بعد قليل، رأى عربة الخبازين آتية وفكر: "إذن ما قالته الثعلبة حقيقى".

لكن بالطبع نزل الخبازون من العربة وأخذوا يركلونه ليروا ما إذا كان ميتا فعلا. شتماوه وسحبوه من الأذنين، وهم يقولان:

– إذن يبدو أنه ميتا فعلا. فى جميع الأحوال، سنسلخه هنا بالضبط، لن يحدث لنا كما حدث مع الثعلبة.

أخرجوا السكاكين وبدأوا عملهم. قال واحد:

– يجب ألا نسلخ الرأس والأقدام، يقال إن هذا يجلب سوء الحظ.

وهكذا بدأوا ينزعون له كل الباقى، والذئب يتألم بشدة فى صمت وهدوء، دون أن ينطق بكلمة. كل هذا كان من أجل الوليمة التى كان سيحصل عليها بعد ذلك. الأمر السيئ هو أنه بمجرد أن نزعوا له فروه، وضعوا الفرو فى العربة، لكن ألقوا به فى نفس المكان الذى وجدوه فيه.

- هذا لن يأكل خبزًا، قال أحد الرجال بينما كانوا يبتعدون.

عانى الذئب كثيرا، حتى إنه أخذ يعوى. عندئذ جاءت الثعلبة وقالت له:

- ماذا بك أيها الذئب الصغير؟ كيف كان الأمر مع الخبازين؟

لكن لم تستطع الثعلبة أن تمنع نفسها من الضحك عندما رأت الذئب مسلوخا عدا رأسه وأقدامه.

- أنتِ تعرفين جيدا أيتها المشاغبة. لكن أقول لكِ إنك ستدفعين لى ثمن هذا، قال الذئب، وأخذ يركض وراء الثعلبة. ولكنْ لأنه كان يتألم كثيرا وكان جائعا جدا، ابتعدت الثعلبة عنه قدر ما شاءت وكانت تتوقف من حين لآخر لتضحك.

- أيتها المخادعة، ستدفعين ثمن هذا، ستدفعين الثمن! صاح الذئب.

عندئذ دخلت الثعلبة بين شجر العليق ودخل الذئب وراءها، دون أن ينتبه أنه ليس لديه فرو، أخذ الشجر يلسعه وهو يموت من الألم. وهكذا ظل يصرخ صرخات وصلت إلى السماء، دون أن يجرؤ على التحرك حتى لا يجرح نفسه أكثر. وقالت له الثعلبة من بعيد:

- يا من ترتدى جوارب وقبعة!

كيف كان الأمر مع الخبازين؟

٤٣- الذئب والثعلبة والسردين

في يوم أخر، كانت الثعلبة تمشي في طريقها، ميتة من الجوع، ورأت بعض صيادي السردين آتين. كانوا قادمين على حميرهم وبرادعهم مملوءة بالسردين. عندئذ ذهبت الثعلبة وارتمت في منتصف الطريق، متظاهرة بأنها ميتة.

اقترب صيادو السردين وقال أحدهم:

- انظروا، يا لها من ثعلبة جميلة. المسكينة، لا بد أنها ماتت من الجوع. سآخذها إلى البيت لأنتزع جلدها.

نزل من على حماره، وأخذ الثعلبة، التي لا تزال تتظاهر بالموت، ووضعها على البردعة.

أكمل الصيادون طريقهم، وبينما كانوا يتحدثون، كانت الثعلبة تلتهم السردين. وعندما ملأت بطنها جيدا، قفزت وأخذت تركض. وعندما وصلت إلى الجبل، توقفت لحظة لإخراج بعض الشوك الذي علق بين أسنانها، وفي أثناء هذا وصل الذئب وقال لها:

- أوه، أيتها الثعلبة الصغيرة، من الواضح جدا أن حضرتكِ أكلتِ كثيرا. هل يمكن أن تقولي حضرتك ماذا حدث؟

- حسنا انظرْ، يا رفيقي الذئب، ذهبتُ إلى النهر لأكل السلمون وامتلأت للغاية. لأن النهر مليء بالسلمون. ليس عليك إلا أن تضع سلة وفي الحال ستمتلئ.

- إذن خذيني حضرتك إلى ذلك النهر، يا رفيقتي الثعلبة، فأنا أموت من الجوع. لكن أنتبهي حضرتك جيدا، إذا لم يكن ما تقولينه حقيقيا، سآكل حضرتكِ.

– لا تقلق يا رفيقى الذئب، قالت الثعلبة، أفضل شىء هو أن أربط لحضرتك السلة فى ذيلك، وهكذا لن يكون عليك إلا أن تتنزه قليلا فى الماء، بينما تظل السلة تجمع السلمون. وأنا سأكون فى الخلف، لأدخل السلمون.

وهكذا فعلا. أخذ الذئب يلف فى الماء، والسلة مربوطة فى ذيله، بينما أخذت الثعلبة تلقى فى السلة صخوراً وأحجاراً من النهر. وعندما كان هناك تيار ماء آتٍ، قال الذئب.

– أيتها الثعلبة الصغيرة، أيتها الثعلبة الصغيرة، تعالى حضرتكِ، فأنا لم يعد بإمكانى شد السلة.

– اصبر حضرتك، يا رفيقى الذئب، فالسلة على وشك الامتلاء.

وواصلت وضع الصخور والحصى، دون أن ينتبه الآخر لأى شىء. جاء تيار آخر، وقال الذئب:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، أيتها الثعلبة الصغيرة، تعالى حضرتكِ، فأنا أغرق.

لكن عندما أدار رأسه، كانت الثعلبة قد أخذت تركض ولم تتوقف حتى وصلت إلى جحرها، بينما كان التيار يسحب الذئب. استطاع فى النهاية أن يتمسك بغصون شجرة كانت تسقط على النهر، وبدأ يشد ويقفز، بالسلة المملوءة بالأحجار. شد كثيرا، حتى إنه انتزع ذيله. وهكذا خرج من الماء وهو مبتلّ وجائع وفوق كل هذا، أخذ يتوعد بأن ينتقم بمجرد أن يقع نظره على الثعلبة.

٤٤- الذئب والثعلبة سيأكلان الدجاجات

كانت الثعلبة تذهب كل يوم إلى حظيرة، ولم يكن هناك أى مدخل سوى فتحة كانت بالكاد تسعها. وكانت تحرص كثيرا على ألا تأكل أكثر من دجاجتين فى كل مرة، لأنها إذا امتلأت وصارت سمينة جدا، لن تتمكن من الخروج من الفتحة. وبعد أن تأكل دجاجة، تذهب لتجرب نفسها فى الفتحة، لترى ما إذا كان يمكنها أن تأكل واحدة أخرى. وإذا كان هذا ممكنا، تأكلها. وتعود لتجرب مرة أخرى، وإذا رأت أنه ليس بإمكانها أن تأكل المزيد، عندئذ تذهب إلى جحرها.

أما صاحب الدجاجات، الذى كان يلحظ كل يوم أنها تنقص، قال:

- تلك الثعلبة اللعينة تأكل منى زوجًا من الدجاج كل يوم.أنا سأمسك بها.

حسنا، قابلت الثعلبة الذئب، وقال لها:

- مرحبا يا رفيقتى الثعلبة! من أين أنتِ آتية فى هذا الصباح الباكر؟

وأجابته الثعلبة:

- من أين يجب أن آتى، يا رفيقى الذئب؟ أنا كنت آكل دجاجًا من حظيرة قريبة من هنا. إذا أردت حضرتك أن تأكل دجاجًا حتى تمتلئ، تعالَ حضرتك معى الليلة، فأنا سآخذك إلى الحظيرة.

- رائع. لكن حضرتك تعلمين جيدا أننى أتذكر كل ما فعلتِه معى منذ وقت طويل. آه لو كنتِ تخدعيننى!

- ليس هناك أى شيء من هذا، يا رفيقى الذئب. أؤكد لك أن حضرتك ستأكل الكثير من الدجاج الليلة، لدرجة أنك لن تستطيع التحرك.

حسنا. اتفقا على الذهاب سويا تلك الليلة.

وبمجرد أن حل الليل، كان الذئب قد وصل عند جحر الثعلبة وأخذ ينادى عليها:

– يا رفيقتى الثعلبة، اخرجى حضرتك، فقد تأخر الوقت! يا رفيقتى الثعلبة، اخرجى حضرتك، فقد تأخر الوقت!

وخرجت الثعلبة وذهبا إلى الحظيرة. وفى الطريق، قالت الثعلبة للذئب:

– احذر جيدا، يا صديقى الذئب، ألاَّ يمسك بك صاحب الدجاج. فلتلتهم حضرتك الدجاج، وأنا سأكون عند الفتحة التى يجب أن ندخل ونخرج منها للحراسة.

وصلا إلى الحظيرة ودخلت الثعلبة أولا ثم الذئب. ذهبت الثعلبة، أمسكت بدجاجة؛ وذهب الذئب وأمسك بأخرى، وقاما بالتهامهما فى لحظة. ثم اقتربت الثعلبة من الفتحة، خرجت ودخلت مرة أخرى، ورأت أن الفتحة تتسع لها. وقال الذئب:

– ماذا تفعلين، يا رفيقتى الثعلبة؟

وأجابته هى:

– لا شىء، يا رفيقى الذئب. أنا خرجت لأرى إذا كان صاحب الدجاج قادما إلى هنا. يمكن لحضرتك أن تأخذ دجاجة أخرى.

ومرة أخرى، أمسك كل منهما بدجاجة والتهمها. وبعد أن أكلت الثعلبة دجاجتها، ذهبت إلى الفتحة لترى ما إذا كانت ستكفى لخروجها. قال لها الذئب مرة أخرى:

– ماذا تفعلين، يا رفيقتى الثعلبة؟

وتجيبه الثعلبة:

– أنظر، لأتأكد من أنه ليس هناك أحد يمر من هنا. لكن ليس هناك ما يقلق.

وتدخل مرة أخرى.

عندئذ أخذ الذئب يأكل دجاجات وأصبح مثل كرة دون أن ينتبه إلى أن الثعلبة لم تعد تأكل. وبالطبع، ظلا هناك وقتا طويلا، حتى شعر صاحب الدجاجات بصياح الدجاج، ولأنه كان متيقظا، أخذ عصا لا بأس بها ودخل إلى الحظيرة. وبمجرد أن رأته الثعلبة آتيا، هربت من الجحر وأخذت تجرى. أراد الذئب أن يفعل نفس الشىء، لكن، بما أن الفتحة لم تسعه، أمسك به صاحب الدجاجات وضربه بالعصا حتى قضى عليه.

٤٥- الذئب، والثعلبة، ووعاء العسل

يحكى، ذات مرة، أن الثعلبة والذئب تزوجا. وفى اليوم التالى للعرس قال الذئب:

- لست أدرى ما إذا كنت قد أحسنت التصرف فى زواجى بكِ، فإناث الذئاب قلن لى إنكن الثعالب ماكرات للغاية. أعرف أنكِ ستخدعيننى.

- لن أخدعك يا رجل، قالت الثعلبة. الآن بما أننا متزوجان، لن أخدعك مرة أخرى.

كان أول ما فعلاه معا، أنهما ذهبا إلى مزرعة نحل وأخذا يملآن وعاء بالعسل.

- سنحتفظ به للكارنفال، قال الذئب، ووضع الوعاء فى فجوة فى شجرة بلوط.

لكن بعد أيام قليلة، اشتهت الثعلبة أكل العسل، وقالت للذئب:

- لقد أنجبت صديقتى ثعلبة ودعتنى للتعميد.

- كم هذا جميل! قال الذئب، سآتِ معكِ.

- لا يمكن يا رجل، قالت الثعلبة. لا يذهب إلى الأفراح والتعميد غير المدعوين فقط. لكن لا تقلق، سأحضر لك معى أى عظمة صغيرة.

وهكذا تأنقت الثعلبة وأصبحت جميلة جدا، وبالطبع، ذهبت مباشرة إلى شجرة البلوط حيث وضعا وعاء العسل. والتهمت منه كمية كبيرة. ثم عادت إلى البيت وهى سعيدة جدا وتلعق شفتيها من التلذذ.

- هيا يا امرأة، هيا. من الواضح جدا أنكِ أكلتِ كثيرا، قال الذئب. ماذا عن عظمتى الصغيرة؟

– آه، ياه! لقد نسيت. يا لِذاكرتى السيئة!

– وماذا سمُّوها؟

ظلت الثعلبة تفكر لحظة ثم قالت:

– سمَّيناها "لقد بدأته".

– يا لها من أسماء غريبة تلك التى تسمونها يا ثعالب!، قال الذئب.

مرت بضعة أيام وشعرت الثعلبة برغبة هائلة فى أن تعود إلى شجرة البلوط. ذهبت وقالت للذئب:

– لقد أنجبت صديقة أخرى لى أيضا ودعتنى للتعميد.

– يا لكِ من محظوظة! وأنا لا يمكننى الذهاب؟

– لا تبدو لى فكرة جيدة يا رجل. لقد دعونى أنا فقط. لكن لا تقلق، فهذه المرة سأحضر لك عظمة جيدة.

ذهبت الثعلبة مباشرة مرة أخرى إلى شجرة البلوط. أخرجت الوعاء وأكلت منه كثيرا حتى أنهت نصفه. عادت إلى بيتها، تلعق شفتيها، وقال لها الذئب:

– يا لها من وليمة تلك التى أكلتها! وعظمتى؟

– يا له من شىء مزعج!، قالت الثعلبة. لقد جهزت لأخذها بالفعل، لكن، بما أنهم لم يتوقفوا عن النظر إلىَّ، شعرتَ بالحرجِ وكان علىَّ أن أتركها هناك. لكن لا تقلق، فهناك المزيد من حفلات التعميد قادمة.

– يا لحظى السيئ! قال الذئب. وماذا سمَّيتم الطفلة هذه المرة؟

– لقد سميناها "لقد وصلتُ لمنتصفه".

– يا لها من أسماء تلك التى تسمونها أيتها الثعالب!

وبعد يومين أو ثلاثة، لم تعد الثعلبة تستطيع مقاومة رغبتها فى أكل كل العسل الموجود فى الوعاء وذهبت وقالت:

– لقد حان الوقت، لأن صديقة أخرى لى قد أنجبت لتوها ثعلبة صغيرة فى منتهى الجمال.

– وبالطبع دعوكِ للذهابِ إلى التعميد وأنا لا يمكننى أن أذهب.

– يا رجل، أنت تعرف أن هذه الأشياء هكذا، قالت الثعلبة، وقفزت قفزة. وفى لحظة كانت قد وصلت إلى شجرة البلوط، أخذت وعاءها وأخذت تلعقه حتى القاع. وعندما عادت إلى البيت، سألها الذئب:

– وعظمتى؟

– لن تصدق هذا، قالت الثعلبة، لقد كنت أحتفظ بها معى ثم جاءت ثعلبة أخرى من ورائى وأخذتها منى.

– حسنا يا امرأة. لست مندهشا من المفاجأة. والثعلبة الصغيرة، ماذا اسمّيتموها؟

– لقد اسمّيناها "لقد أنهيتُه"، وبالطبع لن يكون هناك المزيد من حفلات التعميد لفترة.

حسنا، إذن جاءت الكارنڤات وقال الذئب:

– هل تتذكرين وعاء العسل الذى نحتفظ به فى شجرة البلوط تلك؟

– طبعا أتذكر. لكن من الأفضل أن نتركه للسنة القادمة. من الجيد أن يصبح قوامه أجمد.

– لا، فمن الممكن أن يضيع. من الأفضل أن نذهب لنأكله. فكرت الثعلبة فى الحال فى شىء آخر، وقالت:

– حسنا، لكن ليذهب كل منا من مكان، ومن يصل أولا يأخذ أفضل جزء.

وهكذا فعلا. لم تستعجل الثعلبة على الإطلاق، إنما فعلت كل ما تريد وأكثر لتسلية نفسها. وعلى العكس، أخذ الذئب يجرى مثل الشعاع ووصل إلى شجرة البلوط قبل رفيقته بكثير. عندما أخذ الوعاء، رأى أنه كان فارغا تماما، وقال لنفسه:

– كانت إناث الذئاب محقة عندما قلن لى إن إناث الثعالب ماكرة جدا.

بعد فترة وصلت الثعلبة.

– آه أيتها الثعلبة الصغيرة، لقد خدعتِنى!

– أنا؟ لماذا تقول هذا؟

– أنتِ تعرفين جيدا. لم تتركى أىّ أثر للعسل.

– ألم يكن هذا أنت؟، قالت الثعلبة.

– كيف تجرؤين على قول هذا؟

– لنر. أنتِ وصلتِ قبلى ولم يَرَ أحد ما حدث هنا.

– حسنا، يا امرأة. لماذا سنظل نتجادل؟ من الأفضل أن ننام القيلولة ومن يعرق عسلا سيكون هو من أكل العسل.

وافقت الثعلبة واستلقى كلٌ منهما تحت شجرة البلوط ليناما القيلولة. لكن الثعلبة لم تنم، على الرغم من أنها كانت تغمض عينيها. أما الذئب، على العكس من ذلك، بعد فترة قليلة كان نائما ويشخّر. عندئذ قامت الثعلبة وتبولت على فمه. ثم استلقت مرة أخرى. استيقظ الذئب بعد قليل ونادى على الثعلبة:

– لنرى من منا عرقه عسل.

– لنرى، قالت الثعلبة. هيا، انظر على فمك! فلعابك لا يزال يسيل من اللذة!

لم يستطع الذئب إدراك ما حدث، لكنه فكر: "كانت الذئاب على حق فيما قلن لى...".

٤٦- الذئب يظن أن القمر جُبْنٌ

فى ذلك اليوم، كان الذئب جائعا أكثر من أى وقت مضى. وحدث أنه تقابل مع الرفيقة ثعلبة وقال لها:

- أنا آسف، يا صديقتى، لكننى جائع جدا وسآكلك.

- اهدأ، يا رفيقى. ألم تنتبه حضرتك إلى أنه لا يوجد هنا أكثر من عظم وجلد؟

- لكنك فى العام الماضى فى نفس الفترة كنت سمينة.

- كان هذا العام الماضى. لكن هذا العام، لأننى يجب علىَّ إطعام أربعة ثعالب صغيرة، فأنا كما ترى حضرتك. جلد على عظم.

- سآكلك فى كل الأحوال، فأنا على وشك السقوط.

- انتظر حضرتك، يا سينيور ذئب، انتظر. هل ستترك هذه الكائنات الأربعة دون أم، وهناك يوجد الكثير من الطعام؟

- أين يوجد الكثير من الطعام؟، سأل الذئب.

- ليس بعيدا، فى بئر المرعى.

- الماء هو ما يوجد هناك، ولهذا يمكن لأىّ أحد الاقتراب من هناك، ولا بد أن صاحب المرعى مزاجه سيئ!

- اصمت، يا رجل. السيد لا يريد أن يقترب أحد، لأنه يحتفظ هناك بالجبن.

- ماذا تقولين؟

- كما سمعت. إذا أردت حضرتك، يمكننا أن نذهب إلى هناك الليلة.

– حسنا. لكن إذا لم يكن هذا حقيقيا...

– حسنا يا رفيق، حسنا. حضرتك ستأكلنى، وانتهى كل شيء.

حسنا. ذهب الاثنان تلك الليلة إلى بئر المرعى. كان القمر بدرا وفى منتهى الجمال، وكان منعكسا فى الماء، حتى إنه بدا كأنه جبن. قالت الثعلبة:

– طل حضرتك يا رفيق.

طل الذئب وقال:

– لا أرى أكثر من قطعة جبن.

قالت الثعلبة:

– ذلك لأنها مكومة فوق بعضها ولا يمكن إلا رؤية القطعة الموجودة فى الأعلى فقط.

– حسنا، وكيف يمكن أن نأخذها؟، سأل الذئب. وأجابت الثعلبة:

– الأمر فى منتهى السهولة. ضع نفسك بالداخل.

– ماذا؟ يجب أن ألقى بنفسى فى الماء؟

– لا، يا رجل، لا. حضرتك ضع نفسك فى الوعاء وأنا سأترك الحبل ببطء. عندما تصل إلى أسفل، دون أن تلمس الماء، خذ حضرتك ما تريد من الجبن، ونبهنى، وأنا سأشد الحبل وأخرجك.

– آه، لا! لا يمكن! حضرتك من سيدخل فى الوعاء، قال الذئب.

– ليس هناك فرق بالنسبة لى، أيها الرفيق. كما تقول حضرتك.

وضعت الثعلبة نفسها فى الوعاء وبدأ الذئب ينزل الحبل. وعندما أصبحت بالأسفل، قالت الثعلبة:

– أوفّ، يا رفيقى، يا لها من قطعة جبن ضخمة! لا يمكننى حملها! تعال حضرتك لتساعدنى!

– وكيف سأدخل أنا؟، سأل الذئب.

– بمنتهى السهولة! صاحت الثعلبة من قاع البئر. ضع نفسك فى الوعاء الآخر وألقِ بنفسك.

وهكذا فعل الذئب. لكن لأن وزنه كان أكثر من الثعلبة، بينما كان هو ينزل بقوة، كانت الثعلبة تصعد، حتى وصلت إلى أعلى وخرجت. وعندما كان الذئب فى الأسفل كانت الثعلبة عند فتحة البئر، ولأن السقوط كان عنيفًا جدا، وقع الذئب فى الماء، وهناك أخذ يطرطش ويصيح:

– يا صديقتى الثعلبة، أنا أغرق! يا صديقتى الثعلبة، أنا أغرق!

وأجابته الثعلبة:

– واصل تعكير الماء، سترى عندما يأتى صاحب المزاج السيئ.

٤٧- إن السماء تتساقط

كان ياما كان، كانت هناك دجاجة تنقر أسفل شجرة بلوط، عندما سقطت على عُرفها فجأة بلوطة. ارتعبت وأخذت تركض. جرت، وجرت، وقابلت الديك فى طريقها، وقال لها:

– إلى أين أنتِ ذاهبة بسرعة هكذا يا رفيقة؟

– إن السماء تتساقط!

– ومن قال لكِ هذا؟

– لقد سقطت على عُرفى!

– إذن هيا بنا! قال الديك، وواصلا الجرى معا بأقصى سرعة. وأخذا يركضان ويركضان، فوجدا الثعلبة أمامهما، وقالت لهما:

– إلى أين حضراتكما ذاهبان بهذه السرعة؟

وأجابها الديك:

– إن السماء تتساقط!

– ومن قال لك هذا؟

– رفيقتى الدجاجة.

– ومن قال لحضرتك، يا سينيورا دجاجة؟

– لقد سقطت على عرفى!

– إذن فلنذهب من هنا!، قالت الثعلبة، وانضمت إليهما.

أخذت الحيوانات الثلاثة تركض بسرعة كبيرة ، وركضت، ثم ركضت، حتى عثرت على الذئب. قال الذئب:

– إلى أين أنتِ ذاهبة، يا رفيقتى الثعلبة؟

وأجابته الثعلبة:

– إن السماء تتساقط!

– ومن قال لكِ هذا؟

– رفيقى الديك.

– ومن قال لحضرتك، يا سينيور ديك؟

– رفيقتى الدجاجة.

– ومن قال لكِ يا سينيورا دجاجة؟

– لقد سقطت على عرفى!

– إذن فلنذهب من هنا!، قال الذئب، وظلت الحيوانات الأربعة تركض.

بعد فترة، عندما رأوا أنه لم يحدث أى شىء، غمزت الثعلبة الصغيرة بعينها الذئب، وفهمها فى الحال. وبينما كانت تركض هكذا، أمسك أحدهما بالديك والآخر بالدجاجة، وأكلاهما فى الحال.

– لنرى ما إذا كنا محظوظين، وإذا كانت ستقع كل يوم قطعة من السماء، قالت الثعلبة.

– أما أنا، فما زلت جائعا، قال الذئب. والثعلبة، التى كانت تعرف نيَّاته، قالت:

– إذن لا تقلق حضرتك، يا رفيقى، فيوجد بالقرب من هنا قطيع، ولا بد أن الرعاة يأكلون الآن. وهكذا يمكننا أن نجذب انتباههم ثم نأخذ منهم أحد الخرفان الصغيرة.

– رعاة؟ لا تعتمدى علىَّ، فنحن فى وضح النهار وسيطلقون علىَّ الكلاب بمجرد أن أفقد انتباهى.

– إذن فلتبقَ حضرتك هنا، مختبئا بين تلك الفروع الصغيرة، فأنا سأحضر لك شيئا، قالت الثعلبة.

ذهبت الثعلبة باتجاه القطيع وظل الذئب مختبئا حيث قالت له.

لكن هذا كان متأخرا جدا بالنسبة له، لأن الكلاب كانت قد شمت رائحته وكان الرعاة قد خططوا للهجوم. وعندما انتبه، كانت الكلاب بالفعل فوقه، وبالكاد أسعفه الوقت ليتخلص من أوائل الكلاب، رغم أنه لم ينجُ من بعض العضات.

وبينما كانت الثعلبة تقترب بهدوء من القطيع، وبما أنه لم يكن هناك أحد، أكلت بشراهة حلة من الميجاس(*) كان يأكلها الرعاة. عادت لتبحث عن الذئب، ووجدته على ضفاف نهر يغسل الجروح التى أصابته بها الكلاب.

– ماذا حدث لحضرتك، أيها الرفيق؟

– يبدو أنها كانت تسمعكِ. فبمجرد أن غادرتِ حضرتك، جاءت كلاب الصيد هذه، ولحسن الحظ استطعت أن أدافع عن نفسى. ورغم كل هذا، فقد تركت على علامات.

– إذن فحضرتك كنت محظوظا، قالت الثعلبة. لأنه بالنسبة لى، التى لا تملك لا القدرات ولا الأنياب التى عند حضرتك، فقد جرتنى وضربتنى علقة، لدرجة أننى لا أستطيع أن أتحرك. والأسوأ أنها قادمة إلى هنا مرة أخرى.

– مرة أخرى؟ هل تظن أننى مُغفَّل، قال الذئب وهو يستعد لعبور النهر، سابحا. عندئذ قالت له الثعلبة:

– يا رفيقى الذئب، فأنا بعد علقة العصىّ تلك التى ضربونى إياها، لا يمكننى السباحة. أستذهب حضرتك وتتركنى هنا ليلتهمنى هؤلاء الأشرار؟

(*) أكلة إسبانية قديمة – المترجمة.

تعاطف الذئب معها وقال لها:

- حسنا، يا رفيقة. سأحملك كالحصان. لأن حضرتكِ قمتِ بتحذيرى.

وهذا ما حدث. صعدت الثعلبة فوق الذئب وأخذ هو يسبح. وعندما كانا فى منتصف النهر، شعرت الثعلبة برغبة فى الغناء، وأخذت تقول:

- أيتها الثعلبة الصغيرة الذكية،

أكلتِ ملء بطنكِ من الميجاس،

أنتِ فارسة عظيمة أيضا!

لم يستطع الذئب أن يفهم جيدا ما كانت تقوله، لكنه ارتاب من أن الأخرى كانت تغنى. وسألها:

- ماذا تقولين أيتها الرفيقة؟

وغنت الثعلبة مرة أخرى:

- أيتها الثعلبة الصغيرة الذكية،

أكلتِ ملء بطنكِ من الميجاس،

أنتِ فارسة عظيمة أيضا!

-حقا؟ إذن لن يكون هذا على حسابى!، قال الذئب، وألقى بالثعلبة فى الماء.

عندما وصلا إلى الضفة، أمسك الذئب بالثعلبة وقال لها:

- إذن فأنتِ أكلتِ الميجاس ملء بطنك، وفوق كل هذا أردتِ أن تركبينى كحصان. إذن فأنا أيضا امتلأت، لكن بالغيظ منكِ، أيتها الثعلبة الشريرة. وستعرفين على الفور من أكون!

- اهدأ يا رفيقى اهدأ!، قالت الثعلبة. أم حضرتك لا تعلم أنه على هذه الضفة من النيل يسكن راعى ماعز، وإذا سمعنا نتشاجر من الممكن أن يصيبنا مكروه نحن الاثنين؟ لنحتفل فى سلام؛ فأنا أعرف كيف أخرج الماعز من الحظيرة ويمكننا أن نقيم وليمة جيدة.

لم يكن الذئب يريد أن يصدقها، لكنه وافق، لعلها صادقة.

وهناك ذهبت الثعلبة، واقتربت من حظيرة الماعز، من الجانب الذى لا تأتى منه رياح. وهكذا، لم تستطع الكلاب أن تشم رائحتها. وبمجرد أن أطلت على الحظيرة، بدأت الماعز تشعر بالتوتر أكثر فأكثر، قفزت اثنتان منهما قفزة واحدة وعبرتا السور. خرجت الماعز تركض والثعلبة وراءهما، وأخذتهما إلى حيث كان الذئب. بحيث إنه لم يكن على الآخر أكثر من أن يرتمى فوقهما ويقتلهما.

ومعا، أكلت الثعلبة وأكل الذئب بإفراط، حتى لم يستطيعا أكل المزيد. وفكرت الثعلبة: "وبطنانا ممتلئتان هكذا، سنرى كيف سنتدبر أمر الراعى عندما ينتبه ويخرج ليبحث عنا بكلابه". ثم قالت:

– يا رفيقى الذئب، أنا أموت من العطش.

– وأنا أيضا.لم آكل فى حياتى كما أكلت اليوم.

– أرأيت حضرتك الآن أننى كنت أقول الحقيقة.

– أنتِ محقة، أيتها الثعلبة الصغيرة. لن أسيء الظن بكِ.

– إذن أنا سأعطيك دليلا آخر. فأنا أعرف أين توجد بئر، والآن على الفور سآخذك إلى هناك حتى تشرب ملء بطنك، قالت الثعلبة.

– آه، أيتها الثعلبة الصغيرة، كم أنتِ طيبة! لكن كم أنتِ رائعة!

– لا شيء، لا شيء، لهذا نحن رفاق.

أخذ الاثنان يمشيان وبعد فترة وصلا إلى البئر. لم يكن فى البئر غير وعاء مربوط بحبل. قالت الثعلبة:

– لقد رأيتُ كيف يفعلون هذا ذات مرة. أنا سأركب أولا، لترى حضرتك طريقة فعل هذا. ستظل حضرتك تمد الحبل حتى أقول لك "كفى!"، وسيكون هذا عندما أصل إلى الماء. وعندما أنتهى من الشرب، سأقول "اسحب"، وستسحب حضرتك الحبل، لتخرجنى.

وهكذا فعلا. قام الذئب بكل العملية، بحذر شديد، تماما كما علمته الثعلبة. ثم قالت له:

- آه، الآن حان دور حضرتك.

ووضع الذئب نفسه فى الوعاء، وأخذت الثعلبة ترخى الحبل حتى نبهها الآخر. لكن، عندما طلب منها أن ترفعه، لم تُعِرْهُ اهتماما. لكنها ربطت الحبل وتركت الذئب داخل البئر. وفى هذه الأثناء سُمع صوت نباح الكلاب، وكان الذئب المسكين، اليائس، يصيح من قاع البئر:

- بسرعة، شدّى بسرعة!

وأجابته الثعلبة، قبل أن تخرج راكضة:

- عندما يأتى راعى الماعز سيأتى الضحك كله!

٤٨- الذئب، والثعلبة، والبقرة

ذات يوم، كانت الثعلبة تمشي وسط تلك الجبال، وعندما وصلت إلى مرعى ورأت بقرة مربوطة. فكرت الثعلبة "يا لها من فرصة!. أسوأ شيء هو أنها لديها قرون، لو اقترب منها أحدٌ ..." ذهبت إذن للبحث عن الذئب ليساعدها. وقالت له:

- يا رفيقى، أتريد حضرتك أن تأكل بقرة الليلة؟

- يسعدنى، لكن هذا الشيء أصعب مما يبدو.

- لا يا رجل، الأمر منتهٍ. لقد رأيت لتوى واحدة سمينة جدا مربوطة فى المرعى. لا يمكن لحضرتك أن تتخيل كم هى سمينة. وفوق كل هذا، بمفردها.

- وكيف سنفعل هذا؟

- إذا كنا معا، فالأمر فى منتهى السهولة. كل ما علينا أن نفعله هو فكها وأخذها إلى الجبل، وهناك سنهتم بأمرها.

- إذا كان ما تقولينه...

أخذ الاثنان يسيران ووصلا إلى المرعى. وكانت البقرة الصغيرة هناك هادئة جدا، تتجول فى الأنحاء فى كل الحدود التى يسمح بها الحبل المربوط فى إحدى أقدامها. اقتربت الثعلبة من الوراء وفكت الطرف الذى كان مربوطا فى السور. بعد ذلك نادت على الذئب وقالت له:

- أليس أمامى إلا أن أربط هذا الطرف فى رقبتك، لنتأكد من أن البقرة ستظل معنا عندما نأخذها إلى الجبل.

وهكذا فعلت. ربطت الذئب جيدا مع البقرة، وعندئذ ذهبت الثعلبة إلى الأمام. وبدأت تراوغ البقرة كما لو كانت تقوم معها بمصارعة الثيران. لم تكن البقرة بمزاج جيد للمزاح، وبمجرد أن رأت الذئب، الذى كان وراءها، شخرت وأخذت تركض فى اتجاه القرية. أما الذئب، الذى لم يعد يحتمل الجر، الذى كانت تقوم به البقرة، كان يجرى وراءها. لكن البقرة كانت تجرى أسرع فأسرع ونزلت فى ممر به الكثير من الصخور، والذئب مجرور وراءها وهو يتشقلب، عندئذ صاحت الثعلبة:

– أوقفها، أيها الرفيق، أوقفها!

والرفيق، الذى أجابها وهو يرتطم بالصخور:

– إذا لم ينقطع الحبل، أو لم تفك العقدة، سأتوقف أنا، حيث تتوقف البقرة سيدة القرار!

٤٩- الأسـد مـريضـًا

كان الأسد فى عرينه مريضا ولم يكن يستطيع الخروج للصيد. أمر بإحضار الحيوانات واحدا تلو الآخر، ليرى من منها يمكنه أن يذهب ليصطاد له. لكن ما فعله كان أنه أكل كل من كان يقترب. وأخيرا نادى على الثعلبة، لكنها لم تكن تريد أن تدخل فى عرين الأسد. ومن على المدخل، قالت له:

- جلالتك، أنا أرى بوضوح آثار أقدام كل الحيوانات التى دخلت، لكن لا أرى آثار تلك التى خرجت.

وأجابها الأسد:

- كل ما فى الأمر أننى مجتمع بها هنا فى استشارة، حتى تكتشف علاجا لمرضى.

لم تثق الثعلبة، وقالت:

- حسنا، إذا كان الأمر هكذا، إذن فأنا لدىّ صديق يستطيع معالجة كل الأمراض. سأذهب لإحضاره فى الحال.

ذهبت الثعلبة إلى الجبل بحثا عن الذئب، وعندما وجدته، قالت له:

- هيا، خيرا أننى وجدتك!

- حسنا ماذا يحدث؟، قال الذئب.

- ما يحدث هو أن الأسد يعقد مشاورة لكل الحيوانات وأرسلنى للبحث عنك. أنت الوحيد الذى تنقص.

صدقـهـا الذئب، وخـرج يركض وراء الثـعلبـــة، التى كـانت تعــرف الطـــريق.

وعندما وصلا إلى العرين، قالت الثعلبة من الخارج:

- جلالتك، ها قد وصل الذى ينقص.

- حسنا، فليدخل فى الحال، قال الأسد. ودخل الذئب بكل ثقة، ولم يخرج أبدا.

(٩) مغامرات ومصائب الثعلبة

٥٠- أنثى غراب العقعق، والثعلبة، والكروان

صنعت أنثى غراب العقعق عشها على شجرة بلوط وكانت تعيش هناك هي وغربانها الصغيرة. وذات مرة، في الصباح الباكر، أتت الثعلبة وقالت لها إنها جائعة جدا، واقترحت عليها أن تعطيها أحد صغارها لتأكله.

- لا، لن أعطيه لكِ، قالت أنثى الغراب. إن أردتِ أن تأكلي صغارا، أنجبيهم أنتِ.

- حسنا إذا لم تعطني أحد صغارك، سأقطع جذع الشجرة بذيلي، وعند سقوطكم، سآكلكم جميعا. قالت الثعلبة. وفي الحال أخذت تعطي غصن البلوطة ضربات بذيلها.

ارتعبت أنثى الغراب، وحتى تستطيع إنقاذ باقي الغربان الصغيرة، ألقت واحداً للثعلبة التي قامت بأكله.

في اليوم التالي، عادت الثعلبة إلى شجرة البلوط وقالت مرة أخرى:

- أيتها السينيورة أنثى الغراب، أنا جائعة جدا. لماذا لا تعطيني حضرتك واحداً من صغارك؟

- لا، لن أعطيه لكِ. ليس لديّ صغار لأعطيها لكِ. إذا أردتِ أن تأكلي صغارا، أنجبيهم أنتِ.

– إذن إذا لم تعطه لى، أنتِ تعرفين. سأقطع الجذع بذيلى، وعند سقوطكم فى الأسفل، سآكلكم جميعا.

وبدأت مرة أخرى تضرب شجرة البلوط بذيلها، فألقت لها أنثى الغراب، وهى تموت من خوفها، صغيرا آخر من صغارها.

أكلت الثعلبة ملء بطنها وكل يوم كانت تعود بنفس الحكاية لتلتهم غرابا صغيرا، حتى لم يتبق إلا واحد فى العش مع أمه. وتصادف أن مر من هناك الكروان، الذى هو ابن عم أنثى الغراب. رآها تبكى وسألها:

– ماذا بكِ يا ابنة عمى الصغيرة؟

حكت له أنثى الغراب ما حدث وعندئذ قال لها الكروان:

– لكن يا لكِ من حمقاء! كيف ستقطع الثعلبة جذع شجرة البلوط. ستحتاج لفعل هذا فئوسًا قوية حادة جدا. عندما تأتى الثعلبة مرة أخرى قولى لها:

– هيا يا ثعلبة الصباح الصغيرة، ذيلك لا يقطع شجرة بلوط. الفئوس تستطيع أن تقطع الجذوع، ولكن لا تستطيع ذيول ثعالب صغيرة أن تفعل هذا.

أو يمكنكِ أيضا أن تقولى لها:

– عشى لا يتحطم، لا من ضربة مؤخرة ولا ضربة ذيل، فهو يتحطم بالفئوس الصلبة المسنونة جيدا.

وهذا ما حدث. وصلت الثعلبة فى اليوم التالى بنفس الحكاية، وقالت:

– إذا لم تعطنى إياه، أنتِ تعرفين. سأقطع الجذع بذيلى، وعند سقوطكم فى الأسفل، سآكلكم جميعا.

وأجابت أنثى الغراب:

– هيا يا ثعلبة الصباح الصغيرة، ذيلك لا يقطع شجرة بلوط. الفئوس تستطيع أن تقطع الجذوع، ولكن لا تستطيع ذيول ثعالب صغيرة أن تفعل هذا.

- عشى لا يتحطم، لا من ضربة مؤخرة ولا ضربة ذيل، فهو يتحطم بالفئوس الصلبة المسنونة جيدا.

ارتابت الثعلبة فى الأمر وسألتها:

- ومن علمكِ هذا؟

قالت لها أنثى الغراب، بمنتهى الحماقة:

- ابن عمى الكروان.

- إذن أنا سأمسك به، سأجده على كومة من الصخور رافعا مؤخرته فى الهواء. قالت الثعلبة.

وهكذا ذهبت الثعلبة للبحث عن الكروان. بحثت عنه في كل مكان، حتى وجدته، ورأسه تحت جناحيه، وينوى أن ينام. اقتربت منه دون أن تُحدث ضوضاء، وضعت مخلبها فوقه، وهى تقول له:

- نهارك سعيد سينيور كروان!

مات الكروان من الخوف، لكنه أجابها فى الحال:

- سعيد علينا جميعا يا سينيورا ثعلبة. قال لها. ماذا تفعلين حضرتكِ فى هذه الأنحاء؟

- حسنا لا شيء، أبحث عن مكان لآخذ فيه قيلولة. ليس لدى حضرتك مانع من أن ننام سويا، صحيح؟ وسنتحدث لاحقا.

- كما تريدين حضرتكِ، يا سينيورا ثعلبة.

لكن لم ترفع الثعلبة قدمها من فوق الكروان، وكان هو يغمض عينا واحدة. وعندما رأته الثعلبة، سألته:

- كيف يمكنك أن تنام دون أن تغمض سوى عين واحدة؟

وأجابها الكروان:

– من ينام إلى جانب صديق لا يثق به فعــلا، ينام بعـين مـغـمـضـة، والأخرى مفتوحة جدا .

وقالت الثعلبة:

– إذن انظرْ، حتى لا تعانى أكثر، سآكلك الآن، فابنة عمك تركتنى من دون إفطار.

– هذا ما حسبتُ حسابه، قال الكروان. سأطلب منكِ طلبا واحدا.

– اطلب.

– عندما تبتلعيننى، اذهبى إلى شجرة البلوط لتجعلى أنثى الغراب ترى عواقب خداعها لى، واصرخى بقوة: "أكلت الكروان!".

– حسنا. سأحقق لك ما تريد– قالت الثعلبـة، وابتلعت الكـروان مـرة واحـدة. ثم ذهبت إلى شجرة البلوط وقالت من أسفل: "أكـلت الكـروان!"، وقال لها الكـروان من داخل بطنها:

– أقوى، فهكذا لن تعلم.

وقالت الثعلبة مرة أخرى:

– أكلت الكروان!

– أقوى أيتها الثعلبة، فابنة عمى صماء قليـلا. وقالت الثعلبة مرة أخرى بكل قوتها:

– أكلت الكروان!

وبالطبع، فتحت فمها كثيرا، حتى إن الكروان استطاع الخروج طائرا وهو يقول:

– أىْ أحمق آخر، لكن ليس أنا!

٥١- الثعلبة وطائر اللقلق

دعت الثعلبة طائر اللقلق لتناول طبق من عصيدة الشوفان. وصل اللقلق سعيدا جدا إلى بيت الثعلبة، وجلس الاثنان أمام الطبق. قامت الثعلبة، بالتهامه كله فى لحظة بأربع لحسات، أما اللقلق، بمنقاره الصغير، فاستطاع بالكاد أن يتذوقه.

بعد فترة قصيرة، دعا اللقلق الثعلبة لتناول عصيدة الشوفان، لكن فى زجاجة. وصلت الثعلبة وهى فى منتهى السعادة إلى بيت اللقلق وجلس الاثنان أمام الزجاجة. أكله اللقلق، بمنقاره الطويل جدا، فى ثلاث أو أربع مرات، واستطاعت الثعلبة بالكاد أن تأكل فقط مما كان يسقط بالخارج.

غضبت الثعلبة كثيرا، أما اللقلق، الذى كان خائفا من نيأتها الشريرة، فقال لها:

– لا تغضبى حضرتكِ يا سينيورا ثعلبة. فاليوم دعانى أخى إلى زفافه، الذى يحتفلون به فى السماء. إذا أردتِ حضرتكِ يمكنك أن تأتى معى، وهناك سنأكل ملء بطوننا.

– لكننى لا أستطيع الطيران. قالت الثعلبة.

– لا تقلقى حضرتك من هذه الناحية، قال اللقلق. هل حضرتكِ تشعرين بدوار؟

– أنا لا.

– إذن أنا سأحملكِ بين جناحى.

وقد كان. صعدت الثعلبة فوق اللقلق وبدأ هو يطير. أخذ يرتفع، ويرتفع، وعندما لم تعد الأشجار ولا أى شىء يظهر، قال اللقلق:

– يا سـينيـورا ثعلبـة، أرى أنكِ لا ترتدين مـلابس تليق بزفـاف. سـيكون من الضرورى أن تعودى إلى البيت لترتدى كما يجب.

وقبل أن تجيبه الثعلبة، لف نصف لفة وألقاها. وعندما كانت الثعلبة تسقط، رأت بعض الصخور هناك فى الأسفل وقالت:

– تحركوا من هنا،

فأنا لا أتحكم فى نفسى.

وعندما كادت أن تلمس الأرض، قالت:

– إذا خرجت من هذا ولم أمت،

لا أريد المزيد من الأفراح فى السماء.

لكن كيف يمكنها أن تخرج. فبما أن الصخور لم تتحرك، أخـذت خبطة هـائلة، ولم تقل المزيد.

٥٢- الثعلبة وطائر السلوى يزرعان سويا

ذات مرة، اتفقت الثعلبة وطائر السلوى على أن يزرعا معا قطعة أرض.

حان وقت الحرث وذهب طائر السلوى مبكرا جدا بحثًا عن الثعلبة:

- أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظى، لا بد أن نحرث الأرض.

وأجابته الثعلبة، دون أن تخرج من جحرها:

- لا أستطيع، لا أستطيع، أنا أُلَبِّسُ أخى الصغير خوان. احرث أنت، وأنا سأحرث فى المرة الثانية.

ذهب طائر السلوى وأخذ يحرث وحده. عاد يوما آخر مبكرا جدا إلى بيت الثعلبة وقال لها:

- أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظى، يجب أن نحرث للمرة الثانية.

- لا أستطيع، لا أستطيع، فأنا مريضة جدا. احرثها أنت، وأنا سأحرث فى المرة الثالثة.

ذهب طائر السلوى وأخذ يحرث وحده. وذهب يوما آخر مبكرا جدا أيضا ونادى على الثعلبة:

- أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظى فعلينا أن نحرث الأرض الحرثة الثالثة.

- لا أستطيع، لا أستطيع، فأنا متعبة. احرثها أنت، وأنا سأبذر البذور.

ذهب طائر السلوى وأخذ يحرث وحده. وعاد بعد ذلك ليبحث عن الثعلبة وقال لها:

- أيتها الثعلبة الصغيرة استيقظى، يجب أن نبذر البذور.

– لا أستطيع، لا أستطيع، فأنا حامل. ابذر أنت البذور وأنا سأحصد.

ذهب طائر السلوى وأخذ يبذر البذور وحده. مر بعض الوقت وعاد للبحث عن الثعلبة ذات صباح مبكرا جدا؛ وقال لها:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، لقد حان وقت عزق الأرض.

– لا أستطيع، لا أستطيع، فأنا سألد قريبا. اعزقها أنت، وأنا سأزيل الأعشاب الضارة.

ذهب طائر السلوى وأخذ يعزق وحده. وعندما انتهى، عاد ليزور صديقته وقال لها:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظي، فعلينا أن نزيل الأعشاب الضارة.

– لا يمكنني، لا يمكنني، فأنا قد أنجبت لتوى. قُمْ أنت بإزالتها، وأنا سأحصد.

ذهب طائر السلوى وأخذ يزيل الأعشاب الضارة وحده. عاد طائر السلوى وقال للثعلبة:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظي، لقد جاء الصيف، وحان وقت الحصاد.

– لا أستطيع، لا أستطيع، فيجب أن أربى صغيرى. احصد أنت، وأنا سأنقل المحصول.

ذهب طائر السلوى وأخذ يحصد وحده. وعندما كان قد حصد كل شيء، ذهب إلى بيت الثعلبة وقال لها:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظي، لقد حان وقت نقل المحصول.

– لا أستطيع، لا أستطيع، فأنا أرضع صغيرى. انقله أنت، وأنا سأقوم بدرْس الحبوب.

ذهب طائر السلوى وأخذ ينقل وحده. وعندما كانت كل الحزم جاهزة على الأرض، عاد إلى بيت الثعلبة وقال لها:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظي، يجب أن نقوم بالدرْس.

– لا أستطيع، لا أستطيع، يجب أن أرتب بيتى. فم أنت بدرْسها أنت، وأنا سأنظف.

ذهب طائر السلوى وأخذ يقوم بدرْاس الحبوب وحده. وعاد ليبحث عن الثعلبة مبكرا جدا وقال لها:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، استيقظى، يجب أن ننظف.

– لا أستطيع، لا أستطيع، نظف أنت، وبما أنك قمت بعمل كل شىء، قم أنت بإنهائه، وسنتفاهم فى التقسيم.

لم يعجب طائر السلوى هذا الرد على الإطلاق، لكنه ذهب، ونظف القمح ووضع كومة الحبوب على جانب ووضع التبن على الجانب الآخر. وبالطبع كانت كومة التبن أكبر بكثير من كومة الحبوب. بعد ذلك أخبر الثعلبة أن بإمكانهما التقسيم.

وعندما كانا أمام الكومتين، قال طائر السلوى:

– من المؤكد أنكِ ستوافقين على أن الجزء الأكبر سيكون من نصيبى، بما أننى أنا الذى قمتُ بالعمل.

وأجابته الثعلبة:

– معك حق، أيها الرفيق سلوى.

ولهذا

ما أقوله هو أن:

لك التبن ولى القمح.

وأجابها طائر السلوى:

– لا، أيتها الثعلبة الصغيرة، لا.

ما أقوله، يجعل:

القمح لى والتبن لكِ.

لكن الثعلبة لم توافق وقالت لطائر السلوى إن الوضع سيكون سيئا بالنسبة له، لأنه ظن أن بإمكانه أن يأخذ الحبوب.

كان طائر السلوى ذاهبا إلى بيته وهو حزين جدا وأخذ يبكى، عندما التقى مع الكلب السلوقى. وسأله السلوقى عما به وحكى له طائر السلوى كل شيء.

– يا لها من ثعلبة شريرة؛ أنا سأوبخها. قال السلوقى. انظر، سنقوم بعمل اتفاق أنا وأنت. سأجعلك تأخذ القمح، إذا وعدتنى بأن تملأ بطنى بالشوربة، والنبيذ، والضحك. كل ما عليك أن تفعله هو أن تذهب إلى بيت الثعلبة وتقول لها إنك قبلت القسمة.

وهكذا فعلا. ذهب طائر السلوى إلى بيت الثعلبة، وقال لها:

– استيقظى أيتها الثعلبة الصغيرة، فأنا قبلت القسمة. لكِ القمح ولى التبن.

شكَّتْ الثعلبة فى أن طائر السلوى قد جاء مبكرا جدا هكذا ليقول لها هذا فقط، وارتابت من أن يكون قد أخفى بعض القمح فى كومة التبن. خرجت من كهفها وقالت:

– فلنذهب إلى هناك. وكل واحد يحمل نصيبه.

كان السلوقى مختبئا داخل التبن، تاركا عينا واحدة خارج الكومة. عندما وصل طائر السلوى والثعلبة، ذهبت هى مباشرة إلى التبن لترى ما إذا كان هناك قمح بالداخل أم لا. أخذت تشمشم، حتى رأت فجأة عين الكلب السلوقى وقالت:

– انظر حبة عنب!

وقال الكلب السلوقى:

– اتركيها فهى لم تنضج بعد!

قفز وألقى بنفسه على الثعلبة. وعضها عدة مرات وقتلها.

فرح طائر السلوى كثيرا عندما رأى أن القمح كله أصبح ملكه، وبدأ ينفذ ما وعد به السلوقى. خرجا فى طريقهما وتعثرا فى صبى يحمل على رأسه وعاءً من الشوربة. وقف طائر السلوى أمامه كأنه أعرج ولا يمكنه الطيران. ترك الصبى الوعاء على الأرض وذهب وراء طائر السلوى، الذى بدأ يطير عندما رأى أن السلوقى قد أكل

الشوربة. بعد قليل، رأيا سائق عربة بحمار آتيا يحمل قربة نبيذ. وقف طائر السلوى أمامه مرة أخرى فى منتصف الطريق، متظاهرا بأن أعرج ولا يستطيع الطيران، وعندما رآه السائق، نزل من على الحمار. ولكن فى هذه الأثناء، أخذ طائر السلوى ينقر فى القربة حتى فتح فتحة. وبدأ ينزل منها النبيذ وشرب السلوقى كما أراد، بينما كان السائق قد تعب من كثرة الركض وراء طائر السلوى.

كان السلوقى سعيدا جدا بالنبيذ والشوربة، عندما وصلا إلى قرية توقَّف طائر السلوى أمام باب الإسكافى. دخل وصعد على رأس الإسكافية. عندما رآه الإسكافى، أخذ قالب الحذاء وألقاه على طائر السلوى، ولكن لسوء الحظ ارتطم برأس زوجته. أخذ السلوقى يضحك حتى امتلأت بطنه وعاد طائر السلوى إلى الأرض واحتفظ بكل القمح لنفسه... والتبن أيضا.

٥٣- القط والثعلبة

كان ياما كان، كان هناك قط متعلم جيدا جدا لدرجة أنه كان يخرج كل يوم إلى الجبل ليتبول. وفى يوم من تلك الأيام أمسكت به الثعلبة وقالت له:

- تبا يا سينيور قط، لدىّ رغبة فى الإمساك بك!

- لماذا؟ قال القط.

- لأنه عندما لا يكون هناك دجاج، تصبح القطط لذيذة.

- لم أسمع هذا المثل من قبل أبدا. قال القط. لكن سأقول لكِ شيئا.

- قل بسرعة، لأننى لم أعد أحتمل.

- لكن، يا امرأة، ألا ترين كم أنا نحيف؟ تحسسينى، تحسسينى، وسترين أنه لا يوجد غير العظام. لو كنت مكانكِ لانتظرت بعض الوقت، فوقت الذبح اقترب... ولا بد أنكِ تعرفين أننى أستاذ فى سرقة شرائح اللحم، والسجق، والزبد. وهكذا سأصير سمينا وبصحة جيدة. ومثل كل عام، ستكون رؤيتى فقط مجدا.

- انظر أيها القط الصغير، يبدو لى أنك تكذب علىّ!

- كيف يمكنكِ أنت تقولين هذا! قال القط. هل كذبت عليك من قبل؟ إضافة إلى هذا، أنتِ تعرفين أننى أخرج كل يوم لأتبول. عندما يبدو لكِ مناسبا، اقتربى من بيتى وقولى: "مينجو، ألن تخرج لتتبول؟".

- اتفقنا قالت الثعلبة. لكن بعد الذبح، أنت نفسك ستأتى وتبحث عنى، فأنا سأكون فى انتظارك.

تركت الثعلبة القط، الذى ذهب راكضا إلى بيته بسرعة الريح.

انتهى وقت الذبح وعدة أيام أخرى، ولا حس ولا خبر. غضبت الثعلبة كثيرا، وتذكرت ما قاله القط. ذهبت إلى البيت، واقتربت من السطح وصاحت:

- "مينجو، ألن تخرج لتتبول؟".

وأجابها القط:

- لن أتمكن اليوم، لكنني سأقنع سيدى لتحصلى على لحم صيد جيد وتتغذى. تعالى غدا بلا شك.

عادت الثعلبة فى اليوم التالى، وصاحت مرة أخرى:

- "مينجو، ألن تخرج لتتبول؟".

ويجيبها القط:

- لا، فسيدى اشترى لى مبولة.

ولم يكن قد انتهى من قول هذا، عندما أطلق السيد كلابه، التى كان يجهِّزها جيدا. وعندما رأت الثعلبة أنها فى مأزق كبير، أخذت تجرى باتجاه الجبل وتقول:

- ساعدينى يا أقدامى، فهذه الدنيا كلها خدع.

٥٤- الثعلبة والضفدع يزرعان سويا

كان هناك ضفدع وثعلبة أخذا قطعة أرض وقررا أن يزرعاها سويا. عندما جاء اليوم الذى كانا سيقومان فيه بزراعة البذور، ذهب الضفدع ونادى على الثعلبة.

وأجابته الثعلبة:

– آه، يا رفيقى الضفدع، لا يمكننى أن أخرج! آه لو رأيت كم أنا مريضة! يبدو أننى سألد.

لم تكن الثعلبة مريضة ولا ستلد. كل ما فى الأمر هو أنها لم تكن تريد أن تعمل وتريد أن تنتظر حتى يزرع الضفدع كل القمح.

وعندما انتهى من الزراعة، أتى الضفدع ليقول للثعلبة إنه يجب أن نعملْ فى الأرض، وذهبت الثعلبة وقالت له:

– آه يا رفيقى الضفدع، لا أستطيع الخروج! لو رأيت كم أنا مريضة! فقد أنجبت حديثًا!

إذن ذهب الضفدع وكان الصيف قد جاء عندما نضج القمح. عاد الضفدع لينادى الثعلبة.

– يا رفيقة ثعلبة، حان وقت الحصاد والدِّراس.

وأجابته الثعلبة:

– آه يا رفيقى الضفدع، لا يمكننى أن أخرج! اعلم حضرتك أننى يجب أن أربى ثعلبتى الصغيرة.

حسنا، إذن ذهب الضفدع الصغير مرة أخرى وأخذ يقوم وحده بحصاد ودراس كل القمح. وعندما صار كله كومة نظيفة جدا، ذهب إلى حيث توجد الثعلبة:

– يا رفيقة ثعلبة، هيا يجب أن نقسم الحبوب بيننا نحن الاثنين.

– آه، هذا نعم، هذا نعم، قالت الثعلبة، وفى الحال خرجت من كهفها. كم تسعدنى رؤية حضرتك هنا!

عندما رأت الثعلبة كومة الحبوب النظيفة على الأرض المزروعة، قالت:

– انظر حضرتك، يا رفيقى الضفدع، لقد فكرت فى شىء. بما أن القمح قليل، وله قيمة إذا كان لواحد فقط، ولكنه لا يعنى شيئًا لاثنين، أفضل شىء هو أن نقوم بعمل رهان لنرى من سيحتفظ بكومة القمح كلها.

نظر الضفدع إلى كومة الحبوب وفكر: "هل تريد رفيقتى الثعلبة أن تقوم بهذا الرهان لتأخذ الحبوب، بعد أن اشتغلتُ أنا..."، وذهب وقال للثعلبة:

– وما الرهان الذى سنقوم به؟

وأجابته الثعلبة:

– حسنا نحن سنقوم بعمل سباق، لنرَ من سيجرى أكثر. سنقف فى آخر قطعة الأرض، ومن سيصل إلى كومة القمح أولا، سيحتفظ بها.

– حسنا، قال الضفدع. لكن من الأفضل أن يكون يوما آخر، فأنا اليوم أشعر بأننى متعب كثيرا.

وهذا ما حدث. وافق الضفدع واتفقا على أن يتقابلا يوم الإثنين، الذى لم يكن اليوم التالى، ولكن اليوم الذى بعده. فى اليوم التالى، ما فعله الضفدع هو أنه ذهب للبحث عن ضفدع آخر من أصدقائه وقال له:

– يا صديقى، يجب أن تخرجنى من هذا المأزق.

– قل لى.

حكى الضفدع لصديقه ما حدث وطلب منه أن يختبئ في كومة القمح يوم السباق. وافق الآخر. وهكذا جاء يوم السباق وحضرت الثعلبة:

– حسنا، يا رفيقي ضفدع، هل أنت مستعد؟

– مستعد، قال لها الضفدع، وذهبا ووقفا في آخر الأرض وعدا: واحد، اثنان، ثلاثة وركضت الثعلبة بأقصى سرعة.

وعندما كانت على وشك الوصول إلى كومة القمح، نظرت وراءها وقالت:

– أين حضرتك أيها الرفيق ضفدع؟

استغل الذي كان مختبئا هذه اللحظة ليخرج ويقف أمام الكومة:

– أين أنا؟ أنا هنا لآكل ما زرعت!

أما الثعلبة، التي لم تكن قادرة على أن تميز بين ضفدع وآخر، فقد خذلت وذهبت وذيلها بين قدميها.

٥٥- الضفدع والثعلبة، من يجرى أسرع

كانت الثعلبة تمشى ميتة من الجوع كالعادة، عندما رأت ضفدعا صغيرا يأخذ حمام شمس. اقتربت منه من الخلف بهدوء شديد، وهى تفكر: "رغم أنه مجرد ضفدع، لكنى سآكله". لكن، عندما أوشكت على النزول عليه بمخالبها، قفز الضفدع، الذى يبدو أنه كان يشعر بها. قالت الثعلبة:

- تبا، يا سينيور ضفدع! يا لها من قفزة!

- هكذا أهرب من البعض. أجاب الضفدع.

- حسنا، من جانبى لا تقلق، فأنا فقط كنت أحاول أن أتسلى قليلا. قالت الثعلبة. هل تستطيع حضرتك أن تتسابق معى حتى تلك الأشجار؟ بهذه القفزات التى تقفزها، من المحتمل أن تفوز.

ما كانت تريده هو أن ترهق الضفدع، لتلتهمه.

- كما تشائين، يا سينيورا ثعلبة.

وقف الاثنان فى وضع الاستعداد وقالت هى:

- واحد، اثنان، ثلاثة!

وبدأت تركض بكل قوتها، لكن عندما قالت "ثلاثة" قفز الضفدع وصعد على رقبتها. وتمسك جيدا بها بينما كانت الثعلبة تجرى مثل الجن ومن حين لآخر تصيح:

- يا صديقى الضفدع، أين حضرتك؟ وبما أن الآخر لم يكن يجيب، تسأل مرة أخرى: يا صديقى الضفدع، أين حضرتك؟

وعندما كانت على وشك الوصول إلى الشجر، قفز الضفدع قفزة كبيرة جدا وسقط جالسا أمام الثعلبة. وعندما رأته قالت:

– اللعنة، يا سينيور ضفدع! حضرتك تقفز جيدا جـدا! أتريد أن نقوم بسباق حتى الطرف الآخر؟

– كما تريدين حضرتك، يا سينيورا ثعلبة. أنا لست متعبا.

وهذا ما حدث. بدأ يركضان مرة أخرى وتسلق الضفدع رقبة صديقته مرة أخرى وقفز قفزة أخرى عندما كانا على وشك الوصول. حيث فاز أيضا. قالت الثعلبة:

– اللعنة، يا سينيور ضفدع! إن حضرتك تقفز جيدا جدا!

– حسنا إذا أردتِ حضرتكِ، يمكننا أن نعود إلى الشجر.

– حسنا. قالت الثعلبة وهى تلهث.

وبدأ سباقا آخر وحدث نفس الشيء. ومرة أخرى وأخرى، والثعلبة تظن أنها ترهق الضفدع لتلتهمه. لكن فى آخر مرة لم تعد تحتمل ووصلت تتجرجر. عندما رأت الضفدع منتعشا جدا، أخذت تلتقط أنفاسها وقالت:

– يا صديقى الضفدع، يا لها من قفزات هائلة تلك التى تقفزها!

وأجابها الضفدع:

– بها أهرب من الكثير من المآزق.

٥٦- الثعلبة المسكينة

ذات يوم، اقتربت الثعلبة من حظيرة الدجاج وهى جائعة منذ ستة أسابيع، ولحظّها السيئ جدا شعر بها الديك. وفى الحال نبه باقى الدجاجات اللاتى صعدن على شجرة، وقالت لهن الثعلبة:

– لماذا أنتن مرتعبات؟ ألا تعلمن أن هناك قانونا يقول إنه يجب علينا نحن الحيوانات الصغيرة جميعا أن نمشى سويا؟

أما الديك، الذى كان قد صعد أيضا فوق الشجرة، فلم يجبها بأىّ شىء، إنما أخذ يغنى:

– كوكوكوكوووو!

– لماذا تغنى أيها الديك؟

– هكذا . كوكوكوكووووو!

ما كان يريده الديك هو أن يلفت انتباه الكلاب، التى ظهرت فى الحال. أما الثعلبة، التى رأتها قادمة، فاستعدت للجرى. عندئذ قال لها الديك:

– لماذا أنتِ خائفة؟ ألم تقولى إن هناك قانونا صدر بأننا نحن الحيوانات الصغيرة كلنا يجب أن نمشى سويا؟

– نعم، لكن بما أن كل ما تعرفه الكلاب السلوقية هو الجرى، لا بد أنها لم تعرف، وفرت مسرعة، حتى إنها كانت بالكاد تلمس الأرض.

وفى أثناء جريها، مرت على مرج وتعثرت بجيتار رجل أعمى يسير فى موكب دينى. رن الجيتار وأخذت الثعلبة تتشقلب، وقال الأعمى:

– من يصطحب من؟

– ما ينقصنا هو الوقت المناسب، فرصة أخرى يا صديقى. أجابت الثعلبة، وهى تجرى بأقصى سرعة. ووراءها الكلاب.

وصلت الثعلبة إلى أرض زراعية حيث كان يوجد مزارعٌ يفصل الحبوب عن القش.

– أيها المزارع، أيها المزارع، إذا تركتنى أختبئ فى قشك، أعدك بألا أهاجم قطيعك أبدا.

– حسنا. ضعى نفسك فى هذه الكومة. قال الرجل.

خبأت الثعلبة نفسها بين القش، لكن لأنها لم تكن تثق كثيرا، تركت عينا بالخارج. ووصل الكلبان ولسانهما يتدليان.

– أيها المزارع هل رأيت حضرتك ثعلبة تمر من هنا؟

– من، أنا؟ لم أر شيئا، لم أر شيئا. أجاب الرجل، لكنه كان يشير لهما بالإشارات على المكان الذى اختبأت فيه الثعلبة. عندئذ اختبأ الكلبان بالقرب من المكان الذى ستمر منه الثعلبة. لكن بما أنها قد رأت كل شىء، خرجت من الاتجاه المعاكس. وعندما رآها المزارع قال لها:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، من دون ما فعلته، لكانا سلخاكِ. تذكرى ما وعدتنى به.

– لا تقلق، فأنا سأحتفل بهذا مع أول خروف سآخذه منك. أجابته الثعلبة.

٥٧- الأسـد، واللَّبُؤَة، والثعلبة

كان يا ما كـان، كان هنـاك أسد ولَبُؤَة يعيشـان معا فى عـرين. وذات يوم، قال الأسد لشريكته:

- لا أريد أن أعيش معك أكثر من ذلك، لأن رائحتكِ نتنة.

- رائحتى نتنة؟ أنت تقول هذا، لأنك تريد أن تذهب لتعيش مع واحدة أخرى.

وبعد مشاجرة كبيرة، قررا عقد اجتماع حيوانات، مكونٍ من حمار، وخنزير، وثعلبة، ليقولوا إذا كانت اللَّبُؤَة رائحتها نتنة أم لا. وعندما كانوا جميعهم مجتمعين، اقترب الحمار من اللَّبُؤَة وبعد أن شمها قال وهو يبعد أنفه:

- أوووف! إنها نتنة وكريهة.

عندئذ أعطته اللَّبُؤَة صفعة خبطته فى الحائط وقالت له:

- كيف تتجرأ على أن تقف ضد ملكتك؟

بعد ذلك شمها الخنزير وحتى لا يحدث له مثلما حدث مع الحمار قال:

- لا! رائحتها ليست كريهة.

عندما سمع الأسد هذا، قال للخنزير:

- خذ! أتجرؤ على أن تعارض ما يقوله ملكك؟

وأعطاه لكمة طرحته بجانب الحمار.

قامت الثعلبة من على مقعدها، وبعد أن نظرت بشفقة إلى الحمار والخنزير، شمت اللَّبُؤَة لفترة طويلة ثم ابتعدت عنها وهى تقول:

- أنا لا أشم شيئا

لأننى مصابة بنزلة برد.

٥٨- الأسد، وصرَّار الليل، والثعلب

خرج صرَّار الليل فى الصباح الباكر من حفرته ليبحث عن قوت يومه. ولأنه كان جائعا جدا، لم ينتبه إلى أن الأسد كان يمر من هناك، ووقف بالقرب جدا من إحدى أقدامه، إلى درجة أنه داس بقدمه عليه. ظل صرَّار الليل دائخا، لكن قام فى النهاية بكل شجاعة وقال:

– ما خفة الدم هذه! كان بإمكانك أن تمشى بمزيد من الحرص! الأرض ليست كلها ملكك!

انحنى الأسد ليرى من الذى يتحدث معه هكذا، وعندما رآه قال:

– حضرتك أنت ظريف جدا. كيف تجرؤ حشرة ضئيلة على التحدث معى بهذه الطريقة؟ من الأفضل لها أن تصمت، حتى لا أدوس عليها بخطوة أقوى.

– حقا؟ أجاب صرَّار الليل. إذن عليك أن تعرف أننى أنا صرَّار الليل وأنك لا تساوى شيئا بالمقارنة بى.

– لا، فعلا! قال الأسد. أُذكِّرك بأننى ملك كل الحيوانات وأقوى من كل الوحوش.

– لا يهمنى. وقتما تشاء، فلنذهب لنتحارب. أنت ومن معك وأنا ومن معى.

– لا بدَّ أن حضرتك لديك رغبة قوية فى المزاح، يا سينيور صرَّار. قال الأسد. كيف سنتشاجر نحن الوحوش مع حيوانات غريبة الشكل مثل حضرتك؟ إذا كنت بالكاد ترتفع من على الأرض!

– أنا فقط أقول إنه عندما تريد حضرتك وأينما تريد؛ أحضر كل الوحوش التى تريدها إلى المرج، وأنا سأحضر حيواناتى.

شعر الأسد بالفضول لرؤية أى نوع من الشجار سيكون هذا، وقبل التحدى، متفقين على اللقاء فى اليوم التالى فى نفس المكان.

جمع الأسد كل الوحوش التى كان يحكمها: دببة، ونمور، وثعالب، وذئاباً، وكل الحيوانات المتوحشة. وجمع صرَّار الليل كائناته: ذباباً، ونحلاً، ودبابير، وذباباً أزرق، وناموساً، وكل الحشرات الأخرى التى تلدغ.

فى اليوم التالى، وصل كل منهما ويجانبه جيشه. عندما رأى الأسد سحابة العدو تلك قادمة، أمر بعمل قرعة ليروا من سيذهب أولا إلى مكان اللقاء. وكانت من نصيب الثعلب. وقال له الأسد:

– حسنا سينيور ثعلب. لك شرف افتتاح المعركة.

– أنا وحدى ساكون كافيا، وخرج يركض فى اتجاه السحابة.

عندما رأى صرَّار الليل الثعلب قادما، فأرسل إليه دبورا واحدا فقط ليتنازع معه. ذهب الدبور مباشرة إلى مؤخرته وبدأ يلدغه، ومهما هز الثعلب ذيله، كان الدبور يعود ويلدغه مرات أخرى. كان الثعلب قد بدأ يشعر بالدوار من كثر اللف وراء الدبور، والقفز كلما قرصه. فأخذ يركض مرة أخرى فى اتجاه فريقه، وهو يصيح:

– ساعدونى يا رفاق، فأنا لم أعد أحتمل، أنا لم أعد أحتمل!

– ألقِ بنفسك فى الماء. أمره الأسد، فهناك لن تلدغك.

قفز الثعلب برأسه فى نهر كان قريبا من هناك، وذهب الدبور وراءه. لكن لم ينزل الدبور فى الماء. ولكنه أخذ يطير، وهو يطن حول الثعلب، الذى لم يكن قادرا على إخراج مؤخرته خارج الماء.

اقترب باقى الوحوش من ضفة النهر لمتابعة المشاجرة وأخذوا يضحكون على الثعلب عندما رأوا الوضع. فى هذه اللحظة، أمر صرَّار الليل كل محاربيه:

– إلى الأمام أيتها الدبابير، والناموس، والذباب الأزرق، فهذه هى الفرصة المناسبة!

وبالطبع، بما أنها كانت جميعا على نفس الوضع، اقتربت منها من الخلف وبدأت تلدغها في نفس المكان، وأخذت تلدغها، وتلدغها، وماذا فعل الوحوش؟ قفزوا فى الماء أيضا. وحدث معهم جميعا نفس الذى حدث مع الثعلب. كل واحد وحوله سحابة من الدبابير، والناموس، والذباب الأزرق، ومؤخراتهم داخل الماء. وذهب صرَّار الليل وقال للأسد:

- ماذا الآن، جلالتك؟

وأجابه الأسد:

- على رأى المثل: البحر أمامنا والعدو خلفنا.

(١٠) مغامرات ومصائب الذئب

٥٩- يوم طعام جميل للذئب

استيقظ الذئب مبكرا جدا، ميتًا من الجوع. خرج من كهفه، رفع ذيله وأطلق الغازات.

"يوم طعام جميل للذئب، قال لنفسه، بما أننى أطلق غازات!".

أخذ يمشى وهو فى منتهى الغرور ووجد بعد وقت قليل فخذ خنزير. ذهب ليلتهمها، لكنه قال:

– لا، فهو به دهون كثيرة ومن الممكن أن يؤذينى. اليوم يوم طعام جميل وسأجد لحما كثيرا.

ترك لحم الخنزير حيثما كان وواصل المشى. وصل إلى مرج، حيث كان يوجد كبشان يتمشيان.

– صباح الخير أيها الكبشان الصغيران. لقد كنت محقا عندما قلت إن اليوم أطلقت الغازات، ولا بد أننى سأجد الكثير من اللحم.

– آه، حسنا جدا إذن. قال الكبشان. على أية حال، هم يحتفظون بنا هنا لهذا السبب، لنسمن قليلا ثم نؤكل... وليس هناك فرق بالنسبة لنا إذا أكلتنا حضرتك، أو أكلنا ملاكنا. لكن قبل ذلك نريد منك خدمة.

– قولا لى. قال الذئب، فأنا ألعق شفاهى من الجوع.

– كل ما فى الأمر أننا كنا نتجادل حول من منا يأخذ الجزء الأفضل من هذا المرج الذى ورثناه عن جدنا، وبما أننا سنموت الآن، وحتى لا يدخل أولادنا فى نزاعات، أردنا أن تساعدنا فى تقسيمه.

– هذا الأمر مفروغ منه. بشرط أنه بعد ذلك آكلكما...

– انظر، بعد إذن حضرتك، سيذهب كل منا إلى طرف من المرج. وسنبدأ الجرى من هناك ومن سيصل أولا إلى حيث توجد حضرتك، سيأخذ الجزء الأفضل.

أبدى الذئب موافقته، وذهب الكبشان فى الحال كل منهما إلى طرف من المرج. وبدآ يركضان بأقصى سرعة، وبحسن تقدير، حتى إنهما وصلا فى نفس الوقت واعتصرا الذئب بينهما. أعطياه ضربة قوية جدا، حتى إنهما كسرا له سبعة ضلوع.

عندما استطاع الذئب أن يقوم، قال:

– من قال لى ألا آكل فخذة الخنزير تلك، وأن أقوم بتقسيم المروج! لكن اليوم يوم طعام جميل للذئب، لأننى أطلقت غازات.

وواصل طريقه، ومشى ثم مشى، حتى وصل إلى حيث كانت الفرسة ومعها مهرها.

صباح الخير يا سينيورا فرسة! ماذا تفعلين حضرتكِ هنا؟

وأجابته الفرسة:

– لا شىء، أحاول أن أحصل على بعض العشب.

– حسنا انظرى حضرتك، فيما يتعلق بأمر الأكل هذا أنا فى حالة سيئة. لم أتناول الغداء حتى الآن– قال الذئب– وبما أنه لا يجب أن نتجاهل ما يوجد أمامك، سآكل مهرك فى الحال.

وقالت له الفرسة:

– إذن انظر حضرتك، يا رفيقى الذئب، إذا لم يكن هنـــاك مفـر... لكن، بما أننى لا أريد أن أراه، سأبتعد. السيئ فى الأمر هو أن هناك شوكة مغروزة فى قدمى منذ ثلاثة أيام، ولا أستطيع المشى. إذا كنت حضرتك لطيفا جدا ونزعتها لى، سأتمكن من الذهاب حتى لا أرى كيف تأكل حضرتك مهرى الصغير.

– حسنا . لنرى تلك القدم.

رفعت الفرسة قدمها، وفى اللحظة التى اقترب فيها الذئب ليراها، أعطته ركلة هائلة فى فمه، حطمت له عدة ضروس وأخذ يتدحرج لفترة على الأرض. أخذت الفرسة ومهرها يركضان، وعندما استطاع الذئب أن يقوم، قال:

– من قال لى ألا آكل فخذة الخنزير تلك، وأن أقوم بتقسيم المروج ثم أعمل طبيبا بيطريا بعد ذلك! لكن اليوم يوم طعام جميل للذئب، لأننى أطلقت الغازات.

وهكذا واصل السير، بجهد كبير وجوع أكبر، عندما وصل إلى حظيرة توجد فيها بعض العنزات.

– صباح الخير أيتها العنزات الصغيرة! قال لهن الذئب. هيا اذهبن حضراتكن لتصلين ما تعرفن من صلوات، لأنكن ستموتن.

– آه يا سينيور ذئب! هذا بالضبط ما نفعله الآن. نتلو بعض الصلوات. إذا لم يكن لدى حضرتك مانع، يمكننا أن ننتهى منها، وهكذا سنصعد إلى الجنة مباشرة. وسيكون من الأفضل إذا أردت حضرتك أن تنضم لنا .

– ليست لدى رغبة فى الغناء. قال الذئب. لكن سأفعل كل شيء لتموتن سعيدات.

لم يكد ينتهى من قول هذا عندما بدأت العنزات:

"باااااء، بااااء، باااااء!" والذئب: "أوووو، أوووو، أوووو!" وبالطبع، أحدثوا الكثير من الضجة، حتى إن الرعاة حضروا فى الحال ومعهم حجارة وعصىً. وأخذوا يضربون الذئب بالعصى، وبالكاد نفد بجلده.

وعندما استطاع أن يتعافى، بعيدا عن الحظيرة، قال:

– من قال لى ألا آكل فخذة الخنزير تلك، وأن أقوم بتقسيم المروج، ثم أعمل طبيبا بيطريا بعد ذلك، والآن أمين غرفة المقدسات! لكن اليوم يوم طعام جميل للذئب، لأننى أطلقت الغازات.

وواصل إلى الأمام قدر ما استطاع، ومشى ثم مشى حتى وصل إلى ضفاف نهر. كانت هناك خنزيرة تشرب ماء مع خنازيرها الصغيرة، قريبا جدا من الساقية. قال الذئب:

– آه، يا سينيورا خنزيرة، أنا ميت من الجوع وليس أمامي إلا أن آكل صغارك الرضّع!

– حسنا ماذا عساى أن أفعل، قالت الخنزيرة. إذا كان لا بد أن تأكلها حضرتك، فلتأكلها. فقط أطلب منك أن تساعدنى فى تعميدها، حتى تموت وهى طاهرة.

– حسنا، حسنا. لكن بسرعة، لأننى سأسقط من الجوع.

أما الخنزيرة، التى رأت الذئب ضعيفا جدا، قالت له:

– انظر حضرتك، يا رفيقى الذئب. حضرتك ستقف فى قناة الساقية، بقدم على كل ناحية، وأنا سأعطيك خنزيراً تلو الآخر. ليس على حضرتك إلا أن ترمى عليها القليل من الماء، وانتهى الأمر.

وهكذا فعلا. أخذت الخنزيرة تعطيه الخنازير، والذئب يعمدها. وعندما أخرجت الخنزير الأخير خارج القناة، أعطت الذئب دفعة فى أنفه، وسقط فى مجرى الماء، الذى حمله إلى العجلات المسنَّنة لساقية المياه. وهناك أخذ يلف، ويدور، وقال الذئب:

– اتركينى، دورى أنتِ،

اتركينى وأنا سأتركك!

آه، أيتها الساقية، أيتها الساقية،

أنا لا أريد خنازير، لا أريد!

وبالطبع، بسبب هذه الضجة، خضر الطحان بنية ضرب الذئب ضربة جيدة بالعصىّ. لكنه كان لا يزال يستطيع الهرب، ووصل وهو نصف غارقٍ كما كان إلى غابة صنوبر ورمى نفسه أسفل شجرة صنوبر وهو يقول:

– من قال لى ألاَّ آكل فخذة الخنزير تلك، التى كانت شهية، وأن أقوم بتقسيم المروج دون أن تكون لى علاقة بالوصية، ثم أعمل كطبيب بيطرى دون أن أحصل على شهادة، وأن أنشد صلوات دون أن أكون أمينا لغرفة المقدسات، وأن أعمِّد دون أن أكون قديسا! لماذا لا تسقط علىَّ صاعقة تقسمنى؟

وبمجرد أن قال هذا، قام حطاب كان هناك فى أعالى شجرة صنوبر ورآه آتيا، ألقى بفأسه، مصيبا هدفه ببراعة، فغرز بسنه فى رأس الذئب، وقتله. وتوتة توتة، فرغت الحدوتة.

٦٠- الحمار والأسد والذئب

يحكى أنه ذات مرة، كان يوجد سائق عربة كارو عنده الكثير من الحمير والعربات وكان يكسب عيشه من بيع الحطب. ذات مرة، كان يمشى فى الجبل ومعه حمولة كبيرة، ووقع أحد الحمير. كان حمارا عجوزا ومليئا بالتقرحات، حتى إنه لم يعد يستطيع حمل نفسه. قال السائق:

- هذا الحمار لم يعد ينفعنى، سيكون من الأفضل أن أتركه هنا وسيتدبر هو أمر نفسه من الآن فصاعدا.

رفع عنه الحمولة وتركه وحيدا فى الجبل.

مشى الحمار المسكين يقضم قضمات صغيرة من هنا وهناك، ودون أن ينتبه دخل فى عرين الأسد. لم يجرؤ أبدا أى حيوان آخر على الدخول فى تلك الممتلكات. أكل الحمار ملء بطنه من الطعام الكثير الذى كان موجودا، وكل أنواع الحبوب، والفاكهة، والخضروات، كما لم يأكل أبدا فى حياته. أكل كثيرا حتى إنه كان عليه أن يلقى بنفسه على الأرض ليستريح.

وصل الأسد فى هذه الأثناء وبمجرد أن رآه قال:

- هل ما أراه ممكن؟ حيوان هادئ جدا فى عرينى. هل من الممكن أن أعرف من حضرتك وماذا تفعل هنا؟

- اصمت حضرتك، يا رفيقى الأسد. قال الآخر، وهو يستجمع شجاعته. أنا الحمار وسأحكى لك الآن ماذا يحدث لى. كما ترى حضرتك فأنا عجوز جدا، ونحيل، ومليء بالجروح، ولا يمكننى حتى أن أتحرك. وبما أننى لم أعد أنفع فى شىء، لم يشفق علىَّ سيدى وتركنى وحيدا، لأبحث عن عيشى قدر ما أستطيع. وبما أننى لا أعرف هذه المنطقة، دخلت فى هذا العرين الجميل جدا.

– حسنا أنت تعرف الآن أنه ملكى ولا أسمح لأحد بالدخول.

– اعذرنى حضرتك، يا رفيقى الأسد، فأنا لم أكن أعرف.

عندئذ قال له الأسد:

– حسنا يا رجل. بما أن حضرتك قد استطعت أن تدخل هنا بسهولة، بينما ترتجف باقى الحيوانات لمجرد التفكير فى الأمر، سأعطيك ثلاث فرص لتفوز علىَّ فيما أقول، إذا لم تستطع، سآكل حضرتك، على الرغم من أنك عجوز.

– حسنا، ليس أمامى حل آخر! قال الحمار.

– أولا عليك أن تقفز من على هذا السور، وأن تصل أبعد منى.

إذن ذهبا إلى السور، وعبر الأسد بقفزة واحدة بعيدا جدا إلى الناحية الأخرى. وذهب الحمار، أتعرف حضرتك؟ قفز أكبر قفزة يمكنه أن يقفزها، حتى أصبحت بطنه فوق السور، ليس وراء ذلك ولا أمامه. وقال الأسد:

– يا رفيقى حمار، ماذا بك؟

– اصمت حضرتك، يا رفيقى أسد، فأنا لم أقفز بعد.

– إذن، ماذا تفعل حضرتك فوق السور؟

– ألا ترى حضرتك؟ قال الحمار. أنا هنا أتوازن، لأرى ماذا يزن أكثر، مؤخرتى أم رأسى، لأحسب القفزة جيدا حتى لا أخرج خارج العرين.

ضحك الأسد كثيرا، حتى إنه قال:

– حسنا يا رجل. أرى أن حضرتك ذكىٌ بما فيه الكفاية. سأسامحك هذه المرة. لكن سنذهب نحن الاثنان الآن للصيد، لنرى من سيحضر فرائس أكثر حتى آخر النهار.

لم يكن أمام الحمار إلا أن يوافق، وخرج كل واحد فى اتجاهه. وبعد القليل من المشى، لم يعد الحمار يستطيع حمل نفسه وارتمى على الأرض مرة أخرى. وفى الحال

جاء الذباب، والذباب الأزرق، وذباب الخيل لتقف على جروحه، وعندئذ أخذ الحمار يمسك كل الحشرات التى يمكنه الإمساك بها، حتى جمع أكثر من مائة. وجاء الأسد آخر النهار وقال:

- لنرى من اصطاد أكثر. أنا أحضرت هنا ثلاثة أرانب، وثلاثة أرانب برية، وخروفا.

وقال الحمار:

- هل حضرتك، الذى تقول إنك ملك الحيوانات، سعيد بأنك تصطاد ما يمشى؟ حسنا أنا أصطاد ما يطير، وأكثر من مائة. انظر. وأظهر له أكثر من مائة ذبابة، ودبورًا، وذباب الخيل، وكل شىء.

- أنا مللت منك، يا رفيقى حمار، قال الأسد. أنت فزت علىّ مرة أخرى. وبما أن الوقت يتأخر، أنا أدعو حضرتك لقضاء الليلة فى بيتى، وغدا سنتحدث عن التحدى الثالث.

ذهب الاثنان فى اتجاه عرين الأسد، لكن لم يكن الحمار مطمئنا. لا بد أنه ظن أن ما يريده الأسد هو أن يأكله تلك الليلة عندما يكون فى غفلة. عندما دخلا العرين، كان كل شىء فى الحمار يرتجف حتى أذنيه، ومع حرارة النار المشتعلة شعر بحاجة ملحة فى قضاء حاجته. رفع ذيله وأخذ ينهق بقوة:

- حاااا، حاااا، حاااا، حاااا...! وفى نفس الوقت امتلأت بطنه بالهواء الذى أراد أن يخرج.

وخرج مسببا دويا هائلا. وأحدث صدى صوت قويا جدا فى الكهف، لدرجة أن الأسد شعر بالخوف. وقال:

- يا صديقى الحمار! ماذا تفعل حضرتك؟

- لا شىء، لا شىء، يا صديقى الأسد. هذا مدفع الغازات، بطلقة واحدة يدمر جبلا وهو يستعد الآن.

قال هذا، ووقف موجها مؤخرته نحو الأسد، الذى قال:

- اهدأ، اهدأ، يا رفيقى حمار، حضرتك لن تقوم بقتلى!

وخرج يركض من الكهف، بينما ظل الحمار ينهق ويستخدم مدفع الغازات الخاص به، الذى كان صدى صوته يدوى بين الجبال مثل سلاح المدفعية.

قابل الأسد الذئب فى طريقه وقال له:

- صديقى الذئب، ألا تعرف ماذا حدث لى؟

- لا؛ ماذا حدث لحضرتك لتمشى خائفا هكذا وأنت ملك الحيوانات؟

- حسنا لقد التقيت بحيوان اسمه حمار، وهو الأذكى والأقوى. لقد تفوق علىَّ فى كل شىء، وفى النهاية كان علىَّ أن أخرج راكضا، لأنه لديه مدفع غازات يمكنه أن يفجر جبلا. وكم كان مدويا صوت هذا الجبار!

عندما سمع الذئب هذا، أخذ يتلوى من الضحك.

- على ماذا تضحك حضرتك؟ سأل الأسد.

- على ماذا أضحك... لنرى، قل لى كيف يبدو هذا الحيوان.

- حسنا انظر حضرتك. هو أطول منى قليلا. عنده أربع أقدام قوية جدا وأذنان ضخمتان مثل كوز الذرة.

- لكن يا رجل. قال الذئب، أنا آكل أمثاله كل يوم.

- لا يمكننى أن أصدق، قال الأسد.

- لا؟ حسنا فلنذهبْ الآن، إذا أردت حضرتك، ونأكله معًا.

لم يكن الأسد يثق فيما قاله الذئب، لكنه ألح كثيرا، حتى قال فى النهاية:

- حسنا، حسنا، لنذهب. لكن ستذهب حضرتك فى المقدمة، وأنا يمكننى أن أحضر لمساعدتك، إذا وقعت فى مأزق.

- هذا ما كان ينقصنى! قال الذئب. لكن لماذا حضرتك قلق بشأن سلامتى؟

- لأننى ملك الحيوانات إلى حد ما، ويجب أن أحرص على ألاَّ يحدث لكم شىء. انظر كيف سيكون الأمر، أنا مستعد أن أمسك بك وأنت مربوط بحبل، حتى تتمكن حضرتك من شده عندما تشعر بأقل خطر. وهكذا يمكننى أن أحضر فى الحال. وهكذا سأتمكن من الحضور فى الحال.

وهكذا بحثا عن حبل طويل جدا، وربطه الذئب حول رقبته. وخرج هو فى المقدمة، والأسد وراءه، على مسافة كبيرة، ممسكا بالحبل. كانا يقتربان من الكهف عندما رآهما الحمار آتيين مات من الخوف، عندما ظن أنه لا بد أن الأسد والذئب قادمان للنيل منه. وبدأ ينهق بكل قوته ويستخدم مدفع الغازات. وبمجرد أن سمعها الأسد، لم ينتظر أكثر من ذلك، إنما شد الحبل بقوة وأخذ يركض، حتى إنه اقتلع رأس الذئب وأتى به مربوطا. عندما بدا له أنه ليس هناك خطر، توقف واقترب من الرأس. ظل ينظر إليه وقال:

- وتلك التى شددتُها على الفور من الحبل. إذا أكلتُها كاملة، سأمتع نفسى.

٦١- العنزات الثلاث والذئب

كانت هناك ثلاث عنزات تذهب كل يوم إلى الجبل لأكل العشب. لكن كان هناك ذئب من ضواحى القرية يخطط دائما لكيفية أكلهن.

ذات يوم، ذهبت أكبر عنزة فيهن وحدها لأكل العشب وقابلت الذئب. لكن بما أنه كان يريد أن يأكل ثلاثتهن، قال لها:

- اسمعى، أيتها العنزة الصغيرة، لماذا لا تأتين اليوم فى الساعة الثانية عشرة، أنتِ وأختاك، فأنا سأعطيكن الكثير من الطعام والكثير من الحلوى؟ اذهبى وقولى لأختيكِ وأنا أنتظركن هناك.

عندئذ ذهبت العنزة الصغيرة وحكت لأختيها ما قاله لها الذئب، لكن عندما علمت الأم، قالت لهن ألا يخرجن طوال اليوم لأن الذئب يريد أكلهن. بعد ذلك كان على الأم أن تخرج وقالت لهن ألا يفتحن الباب إلا لها هى. تعب الذئب من الانتظار، وعندما رأى أن العنزات الصغيرة لم يظهرن، قرر أن يذهب بحثا عنهن. اقترب وطرق على الباب.

- من؟ سألت الصغرى.

- افتحن، يا بناتى الصغيرة، أنا أمكن. قال الذئب؛ لكن لأن صوته كان أجش جدا، قالت له العنزات الثلاث:

- لا، هذا كذب. بهذا الصوت! أنت لست أمنا. اذهب!

ذهب الذئب وعاد بعد قليل. تكلم بصوت رقيق جدا وقال:

- افتحن، يا بناتى الصغيرة، فأنا أمكن.

لكن لم تثق الصغيرة تماما وقالت له:

- لنرَ، أدخلى قدمك من تحت الباب.

فعل الذئب هذا، ولأن قدمه كانت سوداء جدا، قالت العنزات:

– أووه، كم هذا مخيف! أنت الذئب! اذهب، اذهب!

ذهب الذئب ووضع قدمه فى الدقيق. عاد إلى بيت العنزات، وعندما قلن له أن يظهر لهن قدمه من تحت الباب، فعل كذلك. ظنت العنزات أن هذه كانت أمهن وفتحن الباب. وفى الحال، قفز الذئب على الثلاث عنزات، أمسك بالكبيرتين وأكلهما. هربت الصغرى من الشباك وذهبت ركضا لتخبر أمها.

فى طريق العودة، رأت العنزة الصغيرة وأمها الذئب، الذى كان هادئا جدا ونائما ببطنه الممتلئة، على ضفة نهر. وبحرص شديد، فتحت ماما عنزة بطنه وفى الحال خرجت العنزتان، اللتان كانتا لا تزالان حيتين. ثم ملأت بطنه بالأحجار وخيطتها.

– كم هى ثقيلة بطنى! قال الذئب، عندما أستيقظ. يبدو أننى أكلت أحجارا!

ولأنها كانت ثقيلة جدا، عندما انحنى ليشرب الماء، سقط فى النهر ولم يتمكن من الخروج مرة أخرى.

(١١) الحيوانات والإنسان

٦٢- الحيوانات غير النافعة

كان هناك سينيور عنده ديك عجوز جدا، وقال:

- هذا ينفع فقط فى وعاء الطبخ.

أمر بإحضار الخادمة وقال لها:

- اذهبى غدا، وخذى الديك واذبحيه. وبما أنه لا يجب إهدار اللحم، ارميه فى وعاء الطبخ.

أما الديك، الذى كان يتمشى فوق السطح، فقد سمع ما كانا يخططان له وقال:

- إذن الأمر هكذا! أنا سأهرب ولن يستطيعوا الإمساك بى حتى وإن كنت عجوزًا.

وبمجرد أن حل الليل، هرب الديك وذهب إلى الجبل. مشى، ومشى، وقابل حمارا عجوزا لم يعد يظهر منه غير ضلوعه. ذهب الديك مغرورا جدا وقال له:

- صباح الخير يا صديقى. ماذا تفعل هنا وسط الجبال؟

- حسنا لا شىء. أجاب الحمار، كل ما فى الأمر أننى ما دمتُ قد صرت عجوزا ولم أعد أحتمل الحمولة، تركنى سيدى هنا لأبحث عن عيشى.

قال له الديك:

- حسنا انظر، لقد حدث معى شىء مشابه. لكن فقط، قبل أن يقوموا بعمل شوربة منى، قررت أن أسافر حول العالم.

– جيد، جيد، قال الحمار، إن أردت يمكننا أن نواصل معا وهكذا نكون صحبة.

بدا الأمر جيدا للديك وواصلا المشى، الحمار يسير خطوة بخطوة لأنه كان عجوزا جدا، والديك يسير وكله غرور وحسم. وفى الطريق الذى كانا يمشيان فيه تقابلا مع ثور، وقال الديك:

– صباح الخير على حضرتك، يا سينيور ثور. ماذا أتى بك إلى هنا وسط الجبال؟

– أنا؟ أنا دائما أمشى فى هذه الأنحاء، بالقرب من المرعى. وبما أننى صرت عجوزا جدا، لم يعودوا يهتمون بى.

– ألا تحب أن تأتى معنا بحثا عن العيش؟

– الحقيقة يا رجل أننى لست فى حالة سيئة هنا. أجاب الثور.

– أنا أحذرك من أن بعض مصارعى ثيران قادمون وراءنا...

– آه، فعلا؟ إذن سآتِ معكما فى الحال.

ودون أن يفكر فى الأمر مجددا انضم للاثنين الآخرين.

وبعد أن ساروا قليلا رأوا كلبا سلوقيا أجرب. تقدم الديك، بكل غرور كالعادة، ليحييه:

– نهارك سعيد يا سينيور سلوقى! إلى أين أنت ذاهب باكرا هكذا؟

عندئذ حكى لهم السلوقى أن صاحبه طرده لأنه صار عجوزا وأجرب. فقال الديك، غاضبا جدا:

– ما أسوأ السادة هنا! اللعنة عليهم! لكن لا تحزن حضرتك، وتعال معنا، لنكون صحبة.

انضم السلوقى أيضا إلى الموكب، وبعد قليل قابلوا قطا يتضور جوعا وينونو يائسا. قال له الديك:

– يا صديقى، ماذا تفعل حضرتك وحدك هكذا وسط هذه الجبال؟ وحكى له القط حكايته:

– تترك لى سيدتى منذ أكثر من شهر وعاء الطعام كل يوم عندما تذهب إلى القداس. ذات يوم، تأخرت هذه المنافقة عن المعتاد، وشعرت بجوع شديد، حتى إننى لم أستطع المقاومة. خبطت الوعاء خبطة أوقعته على الأرض، والتهمت كل اللحم. عندما عادت سيدتى، انهالت على بالضرب لدرجة أن فقرات ظهرى تفككت مثل قطع لعبة الدومينو. وأنا الآن أموت جوعا حتى إننى لا أرى أمامى.

– اللعنة يا رجل، اللعنة! قال الديك. لما لا تنضم حضرتك إلينا، فلا بد أننا سنجد شيئا نأكله؟

لم يكن القط يحتاج إلى أن يُسأل مرتين وانضم إلى الآخرين وهو فى منتهى السعادة. أخذ الديك يعطيهم محاضرات فى ماذا عليهم أن يفعلوا ليحصلوا على طعام، لكن النهار كان قد بدأ يغيب ولم يكونوا قد حصلوا بعد على أىّ شىء ليأكلوه. كان الحمار يتماسك بصعوبة، من الجوع والعطش اللذين كان يشعر بهما، وحتى السلوقى الأجرب لم يعد يستطيع المشى من الجوع والعطش. عندئذ سمح له الثور بأن يصعد فوق ظهره. وكان الليل قد حل، عندما لمح السلوقى ضوءًا صغيرًا يتراءى من بعيد. قفز القط فوق السلوقى وطار الديك فوقه، ليتبينوا الأمر، وقال:

– إذن هذا حقيقى. هذا بيت.

– هيا بنا، هيا بنا! لنَر ما إذا كنا سنملأ بطوننا! قال القط.

أسرعوا خطاهم بقدر ما استطاعوا وعندما صاروا بالقرب من البيت، قال الديك:

– هنا فى الأعلى! سيكون من الأفضل إذا تقدمت أنا وحدى لأرى ماذا يوجد.

ذهب الديك إلى البيت دون إحداث أىّ ضجة، ورأى من الشباك حفنة من اللصوص يأكلون بشراهة وسرعة حول المدفأة. عاد وحكى للباقى ما كان يحدث. قال لهم:

– يا أصدقائى. انظروا حضراتكم ماذا سنفعل. سنقترب جميعا دون أن يشعروا بنا، وسيقف كل واحد منا فى مكان حول البيت. بعد ذلك، بإشارة منى، فليغنِّ كل من يستطيع الغناء، لكن بقوة، حتى يخافوا ويذهبوا.

وهكذا فعلوا. تسلق الديك السطح. ووقف كل من الثور والحمار تحت شباك. ووقف الكلب والقط على جانبى باب الخروج. وأخذ الجميع يغنون فى وقت واحد. قال الديك:

– كوكوكوكوكووو، يوجد هنا الكثير من اللصووووص!

والثور:

– كثيرين، كثيرين، كثيرين!

والحمار:

– إنسان، إنسان، إنسان!

والكلب:

– الحرس، الحرس، الحرس!

والقط:

– انظر، انظر، انظر!

عندما سمع اللصوص كل هذه الضجة ماتوا من خوفهم وخرجوا يركضون. وقال زعيمهم:

– إنها الشياطين! إنها الشياطين!

وأخذوا يركضون حتى لم يستطيعوا المزيد. عندئذ نزل الديك من على السطح وصاح:

– هيا، هيا، يا رفاق! إلى التخمة! إلى التخمة! فلنملأ بطوننا، فهنا يوجد كل شىء!

ودخلوا البيت وأكلوا بشراهة. وقال القط:

– أنا امتلأت تماما، حتى إننى لا أستطيع أن أتحرك!

وقال السلوقى:

– أنا التهمت الكثير من اللحم وأشعر أننى مثل الكرة. وقال الديك بعناد وغرور أكثر من أىّ وقت مضى:

– لقد كنت محقا عندما قلت لكم إننا ما دمنا معا سنجد طعاما، وبعد فترة، قال: لكننى أخشى أن اللصوص يمكن أن يعودوا. يجب أن نستعد لنعطيهم ضربة محترمة. لكن هذه المرة لن نغنى، إنما سنركل ونعض ونلدغ، وليختبئ كل منا فى مكان.

صعد الديك مرة أخرى على السطح. وقف القط فى أحد الأركان بجانب المدفأة. وقف السلوقى على الباب. ووقف الثور بجانب شباك، والحمار بجانب الشباك الآخر.

كان اللصوص قد قرروا إرسال واحد منهم ليستكشف. بعد فترة قصيرة، اقترب من البيت ودخل دون إحداث ضوضاء. لكن الديك رآه من السطح ونبه الباقين. ولأن الدنيا كانت مظلمة، اقترب اللص من المدفأة ليضئ النور. لكن فى هذه اللحظة قفز القط من ركنه وخربشه فى وجهه.

– أى، لقد خربشوا أنفى! صرخ.

وخرج يركض، لكن، ولأن المكان كان مظلما جدا، تعثر ووقع على الأرض. وهناك أعطاه السلوقى عدة عضات فى مؤخرته. ثم رمى اللص نفسه من الشباك، لكن كان الحمار هناك، وأخذ يرفسه فى بطنه وأرسله للشباك الآخر. وهناك رماه الثور فى الهواء بقرنه. وفى أثناء كل هذا، كان الديك يغنى من على السطح:

– كوكوكوكوووووو!

وصل اللص المسكين إلى حيث كان زملاؤه وهو ملىء بالجروح، وحكى لهم أنه لم يكن هناك أحد فى البيت، لكن كان هناك شيطان خربش له أنفه، وشيطان آخر رماه على الأرض، وآخر عضه فى مؤخرته بكماشات، وآخر ضربه فى بطنه، وأخيرا، ضربه آخر بالعصا مثل القش.

– وفوق كل هذا، كان هناك أحد فى الأعلى، يصيح ويقول: "إلى هنا أحضروووووه إلى هنا أحضروووووه".

٦٣- العم آرانيّا

ذات مرة، كان هناك رجل عجوز يعيش في كوخ في ضواحي مدينة صغيرة، وكان وحيدا جدا وجائعا أكثر من الفئران. كانوا يسمونه "العم آرانيّا". ذات مساء، أمطرت السماء أمطارا هائلة، غمرت كل شيء. ولم يستطع العم آرانيّا أن يخرج ليطلب حسنة، وهذا ما كان يكسب عيشه منه. الشيء الوحيد الذي استطاع أن يفعله هو إشعال نار كبيرة جدا، وظل هناك ملاصقا للمدفأة، منتظرا. في هذه الأثناء، طرقوا الباب.

– مَنْ؟

– أنا الأرنبة البرية، أيها العم آرانيّا. لم يعد يمكنني السير في الحقل، من كثرة مياه الأمطار.

فتح العم آرانيّا الباب وقال:

– ادخلي يا امرأة، ادخلي. لتدفّئي نفسك قليلا.

التصقت الأرنبة البرية بالمدفأة وظلت هناك هادئة جدا، لكن دون أن تُبعِد نظرها عن الرجل العجوز.

بعد قليل، دق الباب مرة أخرى. وقال العم آرانيّا:

– من؟

– إنه أنا، الكلب السلوقي. فأنا تهت من سيدي عندما كنت أطارد أرنبة برية. ولأن أشياء كثيرة أخذت تتساقط، مسحت كل آثار وقع الأقدام.

فتح العم آرانيّا الباب وقال:

– ادخل يا رجل، ادخل. فهنا لا يوجد طعام، لكن لتدفئ نفسك على الأقل. إضافة إلى هذا، توجد هنا صديقة لك.

دخل الكلب السلوقى وجلس أيضا بجوار المدفأة، وجهًا لوجه مع الأرنبة البرية، ودون أن يُبعِد نظره عنها.

بعد قليل دق الباب مرة أخرى.

– من؟

– أنا، الثعلبة. كنت أطوف حول عشة دجاج، لكن بسبب هذه الأمطار الغزيرة، أدخل السيد الدجاج فى بيته، وأنا كنت على وشك أن أغرق.

– ادخلى يا امرأة، ادخلى، ليس هناك طعام، ولكن هناك شعلة جيدة.

دخلت الثعلبة، ونفضت جسمها وجلست أيضا لتدفئ نفسها.

وفى هذه اللحظة دق الباب مرة أخرى.

– من؟

– أنا الذئب.

عندئذ وقفت آذان الثلاثة الآخرين، لكن قال العم آرانيًا:

– لا تقلقوا. ماذا تريد أيها الذئب؟

– مأوى، لأنه لا يوجد مكان آخر، فقد حلّ الليل وهذا مخيف.

– حسنا، يا رجل، ادخل. لكن هنا يوجد خوف كبير. يجب عليك أن تلزم الهدوء. إذا لم تفعل، لن تدخل.

– اتفقنا، أيها الخال آرانيًا. قال الذئب. أنا أريد فقط أن أجفف نفسى.

وهكذا دخل الذئب أيضا وحلّ النعاس على الأربعة وكانوا ينظرون إلى الشعلة، ولكن دون أن يتشتت انتباه أحدهم لحظة واحدة. وعندما توقف المطر، تمدد الكلب السلوقى وقال:

– لماذا لا نقوم بطبخ بعض اللحم؟

وفكرت الأرنبة البرية: "آه يا إلهى، لقد وقعتُ فى الفخ". لكنها قالت:

– أنا أعرف حديقة خضراوات بها بقدونس...، وستكون الطبخة فى منتهى اللذة.

قال السلوقى:

– أنا أعرف أين لا بد أن تكون الآن، خارجة بحثا عن عيشها.

وقالت الثعلبة:

– لا بد أن الدجاج يخربش الآن فى الحظيرة.

وقال الذئب:

– بالطبع، إذا قمت بجولة، سأمسك بأىّ خروف ضل طريقه من المطر.

عندئذ قال العم آرانيًا:

– حسنا، إذن لنفعل شيئا. أنا سأجهز الطبخة بينما تُحْضِرون ما كنتم تحكون عنه. وأنا سأقسّمها أيضا، لكن حسب مَنْ يجرى أسرع. هكذا، يمكنكم الآن أن تخرجوا، فكلما عُدتم أسرع أكلتم أكثر.

خرجت الحيوانات الأربعة من الباب واختفت فى الحال. بينما أخذ العم آرانيًا إناء ووضعه بثبات فى المدفأة. لكنه أخذ أيضا عصا ووضعه على جانب، وسيخًا ووضعه على الشعلة، حتى يسخن.

كانت الأرنبة البرية أول من وصلت ومعها عود بقدونس صغير.

وقال العم آرانيًا، الذى كان جائعا أكثر من كل الحيوانات معا، قال:

– شكرا جدا، يا صديقتى الأرنبة البرية. لكن بما أنكِ لا تحبِّين اللحم، والآخرون يحبونه، سيكون من الأفضل أن ترحلى قبل أن يأتى الكلب السلوقى.

ارتعبت الأرنبة البرية وخرجت تجرى لكنها ظلت مختبئة هناك قريبا لترى ما سيحدث.

وفى الحال حضر الكلب السلوقى ومعه أرنبان أو ثلاثة.

– هل هكذا سأكون الأول؟

– نعم يا رجل أنت الأول، قال العم آرانيًا.

– وبعد ذلك يقولون إننى لا أستطيع أن أسيطر على الأرانب البرية...

– حسنا انظر، الواقع أنها رحلت لتوها، وهى تقول إنك لن تستطيع الإمساك بها، فى حالة شعورك برغبة فى أكل أرانب برية بدلا من الأرانب العادية.

– آه حقا؟ لقد جرحتْ كرامتى.

قال هذا، وأخذ يركض بحثا عن الأرنبة البرية، ووضع العجوز الأرانب تحت السرير.

بعد قليل حضرت الثعلبة ومعها مجموعة من الدجاج.

– أفهم من هذا أننى أنا الأولى؟

– نعم يا امرأة، أنتِ الأولى، قال العم آرانيًا. هيا، فلا بد أنكِ متعبة جدا، استلقى بينما أنتف أنا ريش الدجاج.

وعندما لم تكن منتبهة على الإطلاق، أخذ العم آرانيًا السيخ الذى صار أحمر وأدخله فى مؤخرة الثعلبة. فقفزت وأخذت تجرى وهى تعوى. أخفَى العم آرانيًا الدجاج تحت السرير، وفى الحال جاء الذئب:

– إذن أنا الأول؟

– أكيد، يا رجل، الأول، طبعا.

– ثم يقولون بعد ذلك إن الكلاب السلوقى والثعالب تركض أسرع.

– آه، حسنا خذ! حتى لا تركض كثيرا، فهذا مضر بالصحة! قال العم آرانيا، وهو يضربه بالعصا على ظهره، حتى إن الذئب خرج يجر نفسه وهو يعوى.

التقت الحيوانات الأربعة ليس بعيدا عن هناك ليتحدثوا بشأن الخدعة القذرة التى احتال عليهم بها العم آرانيًا وليستعدوا للانتقام. كانت الثعلبة هى أكثر واحدة تتألم، لكنْ، عندما علمت بضربة العصا التى أخذها الذئب، صارت سعيدة أكثر. وقال الذئب:

– أنا عن نفسى، بالطبع لن أقترب من هناك لفترة.

– لا بد أن نأكل شيئا، قال الكلب السلوقى. وفى الحال قفزت الأرنبة البرية:

– أنا أعرف أين توجد خلية نحل، لا بد أنها شهية جدا، لأن الدب يذهب كل يوم ليلتهم منها ملء بطنه.

– إذن فالأمر منتهٍ. قالت الثعلبة، ومعا بدأوا الطريق.

كانوا حول خلية النحل، عندما حضر الدب.

– ماذا يحدث هنا؟

قال الذئب:

– ما يحدث هو أننا جميعا لدينا الحق فى أن نأكل.

– نعم، بالضبط. قالت الثعلبة. أقترح أن نقسم العسل علينا وفقا للعمر. كلما كان أكبر، أكل أكثر.

عندئذ قالت الأرنبة البرية:

– حسنا أنا هنا منذ أن وُلِدَتْ حشائش الأرض.

والثعلبة:

– عندما وُلِدَتْ حشائش الأرض، كانت الثعلبة فى إسبانيا بالفعل.

وقال الكلب السلوقى:

– كان عُمْر جدى مائتىْ عام، عندما وُلِد شجر البلوط.

وأجاب الذئب:

– عندما وُلِد الهواء، كان عمرى قرنا.

عندئذ قال الدب، وهو يقترب من العسل:

– حسنا عمرى فقط أحد عشر عاما

ولم أكمل الدستة بعد.

لكن لنرَ من الظريف

الذى سيلمس خلية العسل تلك!

٦٤- الراعى والحية والثعلبة

كان يا ما كان، كان هناك أحد الرُّعاة يسير فى الجبل ومعه غنمه، عندما سمع صوتا ينادى بين الصخور، ويقول له:

- أيها الراعى، أيها الراعى الصغير، أخرجنى من هنا!

- من أنت؟ سأل الراعى.

- أنا الحية، دخلت هنا عندما كنت صغيرة، وسمنت كثيرا، وأنا الآن لن أستطيع أن أخرج إذا لم يزح أحد بعض الصخور التى تغطى المدخل.

- أنا لا أجرؤ على هذا. قال الراعى. لأنكِ إذا كنتِ كبيرة جدا، من الممكن أن تلتهمينى عندما تخرجين.

- أعدك ألا أفعل. من فضلك، أخرجنى من هنا.

اقتنع الراعى وأزاح بعض الصخور. وفى الحال خرجت الحية الضخمة، التى قالت له:

- حسنا، الآن أنا سآكلك.

- ماذا! لقد وعدتينى.

- لا، أبدا، سآكلك، لأننى أموت من الجوع.

- هذا لا يصح. قال الراعى. أنا أقترح عليكِ أن نستشير أول ثلاثة حيوانات تمرّ من هنا. حتى نرى ما إذا كان ما تفكرين فى عمله معى عدلاً أم لا. وإذا قررت أن تأكلينى، فإننى لن أدافع عن نفسى.

- حسنا. بما أننى متأكدة من أننى سأفوز، لا يهمنى. أجابت الحية.

أول حيوان مر كان حمارا عجوزا ومتروكا وحيدا. ناديا عليه وحكيا له الوضع. وأجاب الحمار:

– الحية على حق.

– لماذا؟ سأل الراعي.

– لأن الجوع جاحد ولأن قانون الجوع فوق كل القوانين. لقد قضيت كل حياتى أخدم سيدى خدمة جيدة، والآن لأننى لم أعد أقدر على الحمل، ألقى بى فى الجبل لتأكلنى الذئاب.

بعد ذلك بقليل مر كلب سلوقى ضعيف ومحطم. ناديا عليه وعرضا عليه الأمر. وقال السلوقى:

– الحية محقّة.

– ولماذا؟ سأل الراعى.

– كنتُ كلبا سلُوقيًا يُحْضر لأسياده الكثير من الفرائس. والآن عندما صرت غير قادر حتى على حمل نفسى، تركونى لحظى، لأموت من الجوع.

– حسنا، لقد فزتُ. قالت الأفعى. بما أنه لم يتبقَّ إلا رأى واحد، فحتى لو كان معارضا، سأكسب.

وفى هذه الأثناء مرت الثعلبة من هناك. وقال الرجل:

– لا يهم. سنستشير الثعلبة، حتى إن كان مجرد احترامٍ لذاتى.

نادَى على الثعلبة وعرض عليها الأمر. ظلت الثعلبة تفكر كثيرا وبعد فترة قالت:

– هذه حالة صعبة جدا. ولن أتمكن من اتخاذ قرار إذا لم أر كل الموقف من بدايته. لكى نرى، سنقوم بإعادة كل الأحداث. أين الكهف وأين الأحجار؟

قاداها إلى حيث وجد الراعى الحية، وقالت:

– سنرى، أيتها الحية، ادخلى مرة أخرى إلى الكهف لأرى كيف كنتِ بالضبط.

دخلت الحية فى الكهف وغطوه مرة أخرى بالأحجار. عندئذ قالت الثعلبة للرجل:

– الآن اتركها تموت من الجوع، فالدنيا مليئة بناكرى الجميل.

– اللعنة، أيتها الثعلبة، لقد أنقذتِ حياتى! قال الراعى وهو سعيد جدا. كيف تريدين أن أكافئكِ؟

– أليس معك جلد خروف هنا؟

– ليس جلد خروف، بل سأعطيكِ خروفا كاملاً. انتظرى هنا، وسأعود فى الحال.

ذهب الراعى إلى الحظيرة، وأخذ شوالا، لكن، بدلا من أن يضع خروفا، كما تعهد، وضع كلبا كبيرا كان لديه. ثم عاد إلى حيث كانت الثعلبة وقال لها:

– ها هو.

– ألست تخدعنى؟ سألت الثعلبة.

– كيف عسانى أن أفعل هذا، بعد أن أنقذتِ حياتى؟ سأل الراعى.

– حملت الثعلبة الشوال على ظهرها، ورحلت. وعندما صارت فى الجبل، بالقرب من كهفها، الذى كان فى الأعالى، قالت:

– سأفتح الشوال، لنرى ماذا يوجد به.

فتحته بحذر شديد، ورأت فى الحال كلبًا ضخمًا، وأسعفها الوقت أن تجرى. وكانت تقول بينما كانت تجرى:

– أسرعى يا أقدامى،

ففى هذه الدنيا الملعونة

لا يوجد أكثر من الفِخاخ.

١٥- كائن يُسمَّى الرجل

كان الأسد مع باقى الحيوانات، وكان يسير مُتباهِيًا بقوته وشجاعته. وكان قد حكى الكثير من إنجازاته، وقال:

- حسنا، أنا أقوى كائن فى العالم. لا يمكن لأحد أن يهزمنى.

عندئذ قالت الثعلبة:

- لا تقل هذا، فهناك مَنْ هو أقوى منك بكثير.

- آه حقا؟ من يكون؟ سأل الأسد.

- الرجُل. أجابت الثعلبة.

- الرجُل؟ ومن هو الرجُل؟

بدأت بعض الحيوانات التى سبق أن رأت الرجُل أيضا أن تشرح له كيف يكون، وعندئذ قال الأسد:

- وأين هو، فأنا أريد أن أتعارك معه؟

- أنا لا أنصحك بهذا قالت الثعلبة. فأنا أحاول أن أتجنبه دائما، ومع ذلك ضربنى كثيرا. لا أريد أن أقول لك كيف سيكون الأمر إذا واجهته.

- هذا لأنكِ لستِ شجاعة مثلى. قال الأسد.

- حسنا. قالت الثعلبة. بعد ذلك ستقول إننى لم أحذرك. لكنْ، إذا أردتَ أن تقابله، ليس عليك إلا أن تخرج على الطريق. وستقابله عاجلا أم آجلا.

حسنا، إذن ذهب الأسد إلى الطريق وجلس منتظرا. لم يكن قد مر وقت طويل عندما رأى رجُلا عجوزا آتيا. وعرف الأسد أن هذا هو الرجُل من الإشارات التى أعطوها له، واقترب منه. فزع العجوز المسكين وبدأ يرتعش من قدميه لرأسه. عندئذ قال الأسد:

– هل أنت الرجُل؟

وأجابه العجوز:

– لقد كنت كذلك، ولكن ليس الآن.

عندئذ استدار الأسد وعاد إلى حيث كانت الحيوانات. وقال للثعلبة:

– لقد تعثرت بواحد، وبدا لى أنه كائن يُسمَّى الرجل، لكنه أنكر، بسبب الخوف الشديد الذى انتابه عندما رآنى.

– وماذا قال لك؟ سألتْ الثعلبة.

– إنه كان، لكن لم يعد كذلك الآن.

– من المؤكد أنه كان رجلا عجوزا. قالت الثعلبة. عُدْ مرة أخرى إلى الطريق، وسيمر رجلٌ حقيقىٌّ.

عاد الأسد إلى الطريق، وبعد قليل رأى طفلا قادما. بدا له صغيرا جدا ولكنه اقترب منه وسأله:

– أنت الرجُل؟

– أجابه الطفل، الذى كان يموت من الرعب أيضا:

– لا، ولكننى سأكون.

عاد الأسد إلى مجلس الحيوانات وحكى لها ما حدث. وقالت الثعلبة:

– بالطبع، فهذا طفل. لا ينفعك أيضا، لا بد أن يكون رجلا بمعنى الكلمة. هيا، فلتكن صبورا، اذهب إلى الطريق، وسيمر رجُل.

وبهذا عاد الأسد مرة أخرى إلى الطريق، وفى الحال رأى صيادا قادما. ذهب إليه وسأله:

- هل أنت الكائن الذى يُسمَّى الرجل؟

وأجابه الصياد:

- أنا هو. ما الأمر؟

- كل ما فى الأمر هو أننى يجب أن أتعارك معك، لأنهم يقولون إنك أقوى منى، وهذا شىء غير مقبول.

لم يقل الرجل المزيد، إنما عمَّر بندقيته وصوب نحو الأسد طلقة، كادت تلامس ظهره. خاف الأسد كثيرا، لدرجة أنه خرج يركض، وعندما وصل إلى مجلس الحيوانات، قال:

- إن الرجل أقوى منى حقا. لقد قابلته لتوى، وبضربة منه خدش لى ظهرى.

٦٦- الآكل الشَّرِه

كان يا ما كان، كانت هناك جدة تعيش وحيدة مع حفيداتها الثلاث. وذات مرة، أرسلت الكبرى لتغسل؛ والوسطى لتنظف، والصغرى لتحضر الماء. وليعدن مبكرا، قالت لهن:

- بمجرد أن تَعُدْنَ، ساتركَكن تنزلن إلى مخزن الطعام لتأكلن خبزا وعسلا.

إذن عادت الصغرى أولا وقالت:

- جدتى، ها أنا قد جئت.

- حسنا، إذن انزلى إلى مخزن الطعام لتأكلى الخبز والعسل.

لكن عندما دخلت مخزن الطعام، كان هناك الآكل الشره، الذى كان يغنى هكذا:

- أيتها الصغيرة، لأنكِ صغيرة،

لا تأتى إلى هنا،

فأنا الآكل الشره

وسألتهمك.

لكن لم تُعِرْه الصغيرة اهتماما ودخلت إلى مخزن الطعام. وفى الحال ابتلعها الآكل الشره همممم! وهى حية.

عادت الحفيدة التى تنظف وقالت:

- يا جدتى، أنا هنا.

– حسنا يا ابنتى، يمكنكِ أن تذهبى إلى مخـزن الطعام لتأكلى الخبـز والعسل، وإلا ستأكله أختك كله.

دخلَت الوسطى إلى مخزن الطعام ومرة أخرى غنّى الآكل الشره:

– أيتها الوسطى، لأنكِ وسطى،

لا تأتى إلى هنا،

فأنا الآكل الشره

وسألتهمكِ.

ولكن لم تُعِرْهُ الوسطى أيضا أىّ اهتمام ودخلت. وفى الحال همممم! ابتلعها الآكل الشره وهى حية.

عادت الحفيدة التى تغسل وقالت:

– جدتى، أنا أتيت.

– حسنا يا ابنتى، يمكنكِ أن تنزلى إلى مخزن الطعام لتأكلى الخبز والعسل، وإلا ستأكله أختاكِ كله.

دخلت الكبرى مخزن الطعام وغنّى الآكل الشره مرة أخرى:

– أيتها الكبرى، لأنكِ كبرى،

لا تأتى إلى هنا،

فأنا الآكل الشره.

وسألتهمكِ

لكن لم تهتم الكبرى إطلاقا وتجرأت على الدخول. وقام الآكل الشره أيضا بالتهامها همممم! وهى حية.

وعندما تأخرن كثيرا، قالت الجدة:

– آه، لماذا تأخرت حفيداتى الثلاث هكذا؟

ونزلت إلى مخزن الطعام لترى ماذا يحدث. وعندما دخلت، غنّى الآكل الشره:

- أيتها الجدة، لأنكِ جدة،

لا تأتى هنا،

فأنا الآكل الشره

وسألتهمكِ.

أما الجدة، التى كانت تعرف من هو الآكل الشره، فخافت ولم تدخل. عادت إلى الأعلى ووقفت تبكى أمام الباب. وفى هذه الأثناء مر من هناك سائق عربة كارّو وقال لها:

- لماذا تبكين حضرتك، أيتها الجدة؟

وأجابته الجدة:

- آه يا سينيور! يوجد فى مخزن الطعام الآكل الشره وقد التهم حفيداتى الثلاث!

- حسنا لا تحزنى حضرتك، وسترين الآن كيف سأحضر لكِ ثلاثتهن.

نزل الرجل إلى المخزن وغنى الآكل الشره مرة أخرى:

- أيها السائق، لأنك سائق،

لا تأتى هنا،

فأنا الآكل الشره

وسألتهمك.

لكن لم يهتم السائق ودخل. وفى الحال هممم! التهمه الآكل الشره حيا.

عندما رأت أنه لم يَعُدْ، أخذت الجدة تبكى على الباب مرة أخرى، وفى هذه الأثناء مرت نملة صغيرة:

- أيتها الجدة، ماذا بكِ لتبكى هكذا؟

آه أيتها النملة الصغيرة لو تعرفين! نزلت حفيداتى الثلاث إلى مخزن الطعام وابتلعهن الآكل الشره. وأكل الرجل الذى حاول مساعدتى أيضا.

– أنا لا أخاف من الآكل الشره هذا. قالت النملة الصغيرة. الآن سأنزل وسترين هذا.

وهكذا نزلت النملة الصغيرة إلى مخزن المؤن وغنى الآكل الشره:

– أيتها النملة، لأنكِ نملة

لا تأتى إلى هنا،

فأنا الآكل الشره

وسألتهمكِ.

وقالت له:

– أنا النملة

من بيت النمل

وسألدغك لدغة

تجعلك ترقص.

وقفزت ووقفت على مؤخرته. وهناك بدأت تلدغه، حتى فتحها الآكل الشره كثيرا، وخرجت الثلاث أخوات والسائق، جميعا يرقصون.

صعدوا وهم سعداء جدا إلى حيث كانت الجدة التى قالت:

– آه أيتها النملة الصغيرة! كيف يمكننا أن نرد لكِ ما فعلتِ؟ بكيس قمح؟

وقالت النملة الصغيرة:

– كيسى

لا يسع كل هذا

وطاحونتى

لا تطحن كل هذا

قالت الجدة:

– بنصف كيس؟

قالت النملة:

– كيسى

لا يسع كل هذا

وطاحونتى

لا تطحن كل هذا.

قالت الجدة:

– بحبّتين؟

قالت النملة:

– كيسى

لا يسع كل هذا

وطاحونتى

لا تطحن كل هذا.

قالت الجدة:

– بحبة!

وقالت النملة:

– نعم هذا يسعه

كيسى.

وتطحنه

طاحونتى!

٦٧- الذئب والمرأة العجوز

كانت هناك امرأة عجوز عندها قطيع من العنزات فى الجبل، تحرسه كلبة صغيرة ذكية جدا. ذات يوم، ذهبن إلى مكان أعلى من المعتاد ليأكلن العشب ونادت الكلبة الصغيرة عليهن بأعلى صوتها:

إلى الأسفل يا عنزات إلى الأسفل،

فالذئب آت من طريق مختصر.

ومن أعلى الصخرة قال الذئب:

- إلى الأعلى إلى الأعلى يا عنزات

لا تهتممن بما تقوله الكلبة الصغيرة.

هناك الوادى المظلم

وهنا العشب الناضج.

لم تُعِرْ العنزات اهتماما للكلبة الصغيرة وذهبن ليأكلن العشب حيث كان الذئب. وبمجرد أن جاءت العنزات فى ناحيته، بدأ يقتلهن جميعا، وعندما اعتقد أنه لم يعد يتبقى ولا واحدة حية، ارتمى ليستريح؛ لكن فى هذه اللحظة رأى فوق صخرة عنزة مرقطة وقال لها:

- اسمعى، أيتها العنزة الصغيرة، لا تخافى، لست أنوى قتلك؛ تعالى!

اقتربت العنزة من الذئب وألبسها كل أجراس العنزات التى قتلها وأمرها أن تجرى إلى القرية وهى تحرّك رأسها دون توقف حتى ترن الأجراس جيدا. عندما سمعت المرأة العجوز هذا الصوت، قالت لنفسها: "ها هى العنزات، سأذهب لأحلبها".

أخذت الوعاء وعند خروجها، ظهر أمامها الذئب متخفيا فى زى رجل وقال للعجوز:

– أعطنى الوعاء، أنا سأحلب العنزات؛ بينما ستنتظريننى أنتِ هنا، فأنا سآتِ بالحليب فى خلال دقيقة.

ذهب الذئب إلى الحظيرة، لكن، لأنه لم يكن هناك سوى عنزة واحدة، أخذ عصا وبها أخذ يضرب حمارا حتى جعله يتبول بولا أبيض؛ وعندما ملأ الوعاء، أعطاه الذئب للعجوز التى قالت:

– هذا الحليب مذاقه سيئ جدا.

– هذا لأن العنزات اليوم أكلن أعشابًا غير جيدة. قال الذئب.

نام الجميع، وعندما جاء الفجر، ذهبت العجوز إلى الحظيرة، وعندما وجدت نفسها بلا عنزات، قالت وهى تبكى:

– هذا الذئب الصعلوك تركنى فى تعاسة.

كان الذئب مستغرقا فى النوم، وضعته العجوز فى كيس وربطته وذهبت لتنادى جيرانها ليساعدوها فى قتله.

فى هذه الأثناء استيقظ الذئب ورأى من فتحة كانت فى الكيس قطة كانت تحاول الوصول إلى السجق الذى كان معلقا ليتم تدخينه فوق المدفأة.

– اسمعى أيتها القطة الصغيرة. قال الذئب، إذا أخرجتنى من هنا، سأساعدك لتصعدى إلى حيث يوجد السجق.

أطاعته القطة وهى فى منتهى السعادة، وجعلها الذئب تصعد إلى حيث كانت تريد. ووضع الذئب كل أوانى وأدوات مائدة العجوز وذهب إلى تل قريب من القرية، ليرى على ماذا سينتهى هذا.

وصل الجيران إلى بيت العجوز، وأخذوا يضربون الكيس بالعصىّ وقالوا عندما سمعوا صوت أشياء تتكسر:

– مسكين الذئب وضلوعه.

وأجاب الذئب من أعلى التل:

– مساكين الأطباق والصحون.

٦٨- المزارع والدب

كان هناك مُزارع يحرث الأرض، ولأن الثور لم يكن يجر المحراث جيدا، قال له:

– احرثْ أيها الثور! وإلا سيأتى الدب ويقتلك!

سمع الدب، الذى كان مستلقيا وراء شجر التوت، حديث المزارع؛ عندئذ اقترب منه وقــال:

– ها أنا هنا! أتيت من أجل الثور الذى أعطيتنى إيَّاه.

وقال المزارع:

– أنت تتسبب لى فى خسارة كبيرة، لأننى ليس لدى غير هذين الثورين؛ لكن بما أنك ستأكل واحدا، انتظر قليلا؛ لا تأكله حتى ينتهى من حرث قطعة الأرض هذه.

– سأنتظر هنا مستلقيا تحت العربة.

وظهرت هناك ثعلبة وسألت المزارع:

– ماذا قال لك الدب؟

– إنه سيأكل ثورا من عندى.

– إذا أعطيتنى دجاجة، لن يأكله، أنا مسئولة عن هذا.

– دجاجة! اثنتين، ثلاثًا، سأعطيكِ كل الدجاج الذى ترغبـين فيه إذا أخرجتينى من هذا المأزق.

– أعطنى سترتك لأرتديها. قالت الثعلبة: سأصعد أعلى هــذه الصخـرة، وعندما أقول لك: "أيها المزارع!"، أنت تجيب: "ماذا تريد أيها الصياد؟".

صعدت الثعلبة فوق الصخرة وقالت بصوت مرتفع:

– أيها المزارع!

– ماذا تريد أيها الصياد؟

– ما هذا الذى يوجد تحت عربتك؟

– أجبه بأنه قطعة خشب قال الدب.

– إذا كان خشبا، لكنتَ وضعته فى العربة.

– ضعنى فى العربة. قال الدب.

ووضعه فى العربة. وقالت الثعلبة:

– أيها المزارع!

– ماذا تريد أيها الصياد؟

– فى قريتى، عندما نضع خشبا فى العربة، نربطه بحبل.

– اربطنى. قال الدب، لكن لا تُضيِّق علىّ.

ربطه المزارع بقوة. وقالت الثعلبة:

– أيها المزارع!

– ماذا تريد أيها الصياد؟

– فى قريتى، عندما يكون عندنا خشب فوق عربة، نغرز الفأس فيه حتى لا يضيع فى الطريق.

– تظاهر بأنك تغرزه. قال الدب.

رفع المزارع الفأس وأعطى الدب ضربة قوية فى رأسه، فقتله.

نزلت الثعلبة من على الصخرة، وسلَّمت السترة للمزارع وقالت له:

– أنت قتلت الدب بفضلى. والآن من العدل أن تعطينى الدجاج الذى عرضته علىّ.

وقال المزارع:

- لقد فعلتِ لي معروفا كبيرا، أيتها الثعلبة! ولتعرفي كم أنا ممتن لكِ، سأهديكِ دجاجة ودستة كتاكيت عندي في البيت؛ انتظريني هنا حتى آتي بالهدية.

وصل المزارع إلى بيته وقال لزوجته:

- الثعلبة أنقذت الثور لي؛ يجب أن نكافئها بشيء. لقد عرضت عليها دجاجة ودستة كتاكيت؛ ضعيه في كيس لأحملها لها.

- خيراً فعلتَ. قالت الزوجة. يا لها من ثعلبة مسكينة! لقد تصرفتْ معك بشكل رائع! سأجهز الكيس.

أخذت الزوجة دجاجة، ووزنتها بيدها وقالت:

- إنها سمينة جدا! خسارة أن تأكلها الثعلبة. بدلا من الدجاجة ودستة الكتاكيت، ألن يكون من الأفضل أن أضع الكلبة وجراءها الأربعة؟

وفعلت تماما مثلما فكرت، وأعطت الكيس لزوجها. أما هو، الذي كان يظن أنه يحمل الدجاجة ودستة الكتاكيت، وضعه على كتفه وذهب إلى حيث كانت الثعلبة، التي سألته:

- ماذا تُحضر في هذا الكيس؟

من أجل سان پدرو من أجل سان خوان، أشم رائحة ذقن كلب.

- كلب ماذا، أيّ حماقة تقولين! هذا دجاج! قال المزارع.

- ممكن ممكن، لكنْ...

من أجل سان پدرو من أجل سان خوان، أشم رائحة ذقن كلب.

أعطى المزارع الكيس للثعلبة، وعندما أخذته قالت:

- هذه تبدو لي رائحة كلاب أكثر منها دجاجاً.

وضـعت الكيس على ظـهرها وبدأت طريقـها إلى الجبل. عندما كـانت بالقـرب من نبع، شـعرت برغبة فى التـهام دجاجة. فتـحت الكيس، وانطلقت الكلبـة وجراؤها بأقصى سرعة وراء الثعلبة.

تعبت الكلاب، بعد أن صـعدت تلالا وعبرت منحـدرات، واسـتدارت وعـادت. عندئذ جلست الثعلبة، ومدت أقدامها وقالت:

– يا أقدامى الصغيرة! كم ركضتِ اليوم! كم من الجبال تسلقتِ اليوم! لقد جعلتكِ الأشواك تنزفين دما، دعينى ألعقكِ! يجب أن أشترى لكِ يوم الأحد حذاء من الحرير. وأنتِ يا أذنىّ، تحـركتِ كثـيرا لتسـمعى من أىّ ناحية يأتى النبـاح، يجب أن أشـترى لكما حلقا.

عندئذ قال الذيل:

– وأنا، الذى لم أتوقف عن التـأرجح فى كل الاتجاهات خـلال الجرى، لا أسـتحق أن تشترى لى شيئا؟

– ماذا يجب أن أشترى لك، أيها الذيل القصير، وأنت لم تفعل سوى أنك تشدنى، بدلا من أن تمحو آثار أقدامى وهذا واجبك!

(١٢) تراكمية وساخرة

٦٩- النملة الصغيرة

كان يا ما كان، كانت هناك نملة صغيرة تمشى فى الطريق. ومشت ثم مشت حتى وجدت أوتشابو(*)، وقالت:

- كم أنا محظوظة! فى أى شىء سأصرفه؟ فى الحلويات؟ لا، لا، فهى حلوى. فى شرائط للشعر؟ نعم، نعم، وسأصير جميلة جدا.

وواصلت ومشت ثم مشت ووجدت أوتشابو آخر. وقالت:

- كم أنا محظوظة! فى أى شىء أنفقه؟ فى الشوكولاتة؟ لا، لا، فهى أيضا حلوى. فى فستان جديد؟ نعم، نعم، سأصير جميلة جدا.

وواصلت ومشت كثيرا ووجدت أوتشابو آخر وقالت:

- كم أنا محظوظة! فى ماذا أنفقه؟ فى بذور عباد الشمس؟ لا، لا، هذه أيضا حلوى. فى أحمر خدود؟ نعم، نعم، حتى أصير جميلة جدا.

ذهبت إلى دكان ومعها الثلاثة أوتشابوات واشترت لنفسها كل ما قالته. تحممت، ومشطت شعرها، وارتدت فستانها الجديد، ووضعت أحمر الخدود. بعد ذلك جلست على باب بيتها الصغير.

(*) عملة إسبانية قديمة - المترجمة.

مر من هناك السينيور ثور، الذى قال لها:

– أيتها النملة الصغيرة، أيتها النملة الصغيرة، كم أنتِ جميلة!

– أنا جميلة لأننى قمت بهذا بنفسى، لكن إذا فعلت لى شيئا سأصير أجمل.

عندئذ قال الثور:

– أيتها النملة الصغيرة، هل تريدين الزواج بى؟

وأجابته النملة:

– وكيف ستهدهد الصغير؟

قال الثور:

– مووو، مووو، مووو!

– أوه، لا، هكذا ستوقظه!

ذهب الثور وبعد قليل مر السينيور خنزير. وقال لها:

– أيتها النملة الصغيرة، أيتها النملة الصغيرة، كم أنتِ جميلة!

– أنا جميلة لأننى قمت بهذا بنفسى، لكن إذا فعلت لى شيئا سأصير أجمل.

عندئذ قال الخنزير:

– أيتها النملة الصغيرة، هل تريدين الزواج بى؟

– وكيف ستهدهد الصغير؟

– خووينك، خووينك! خووينك، خووينك!

– أوه، لا فهكذا ستأكله!

ذهب الخنزير وبعد قليل مر من هناك السينيور كلب.

قال لها:

– أيتها النملة الصغيرة، أيتها النملة الصغيرة، كم أنتِ جميلة!

– أنا جميلة لأننى قمت بهذا بنفسى، لكن إذا فعلت لى شيئا سأصير أجمل.

عندئذ قال الكلب:

- أيتها النملة الصغيرة، هل تريدين الزواج بى؟

- وكيف ستهدهد الصغير؟

- هوووه، هوووه! هوووه، هوووه!

- أوه، لا، هكذا ستوقظه!

ذهب الكلب وبعد قليل مر السينيور قط. قال:

- أيتها النملة الصغيرة، أيتها النملة الصغيرة، كم أنتِ جميلة!

- أنا جميلة لأننى قمت بهذا بنفسى، لكن إذا فعلت لى شيئا سأصير أجمل.

عندئذ قال القط:

- أيتها النملة الصغيرة، هل تريدين الزواج بى؟

- وكيف ستهدهد الصغير؟

- ميووو، ميووو! ميووو، ميووو!

- أوه، لا، فهكذا ستأكله!

رحل القط وجاء وراءه الفأر بيريث. وقال:

- أيتها النملة الصغيرة، أيتها النملة الصغيرة، كم أنتِ جميلة!

- أنا جميلة لأننى قمت بهذا بنفسى، لكن إذا فعلت لى شيئا سأصير أجمل.

عندئذ قال لها الفأر بيريث:

- أيتها النملة الصغيرة، أيتها النملة الصغيرة، هل تريدين الزواج بى؟

- وكيف ستهدهد الصغير؟

- إى، إى! إى، إى!

- نعم، نعم، سأتزوج بك، معك سينام!

حسنا، إذن تزوجا وعاشا فى بيت النملة الصغيرة. استيقظت هى فى اليوم الأول مبكرا جدا ووضعت وعاء الطبخ على النار. بعد ذلك ذهبت لتغسل ثيابها فى النهر، لكن كلّفت الفأر بيريث بأن يقلبها من حين لآخر. عندما استيقظ الفأر بيريث، ذهب إلى المطبخ مباشرة، لأنه كان جائعا جدا. وقف وأطلّ على الوعاء، لكن، بدلا من أن يمسك بالملعقة الصغيرة، أخذ الكبيرة، ولأنها كانت ثقيلة جدا، من لفة واحدة سقط بداخله وغرق.

عادت النملة الصغيرة من النهر وطرقت الباب:

– أيها الفأر بيريث، افتح، هذه أنا!

لكن مرت فترة ولم يفتح لها أحد. وبقوة أكبر قالت النملة:

– أيها الفأر بيريث، افتح، هذه أنا، نملتك الصغيرة!

عندما تعبت من الانتظار، ذهبت لتحضر صانع الأقفال وطلبت منه أن يكسر لها القفل. وعندما دخلت، رأت أن كل شيء تماما مثلما تركته، وقالت:

– لا بد أن الفأر بيريث ذهب إلى المدخنة ليلعب. كم هو دائم الحركة! سأعد المائدة لحين وصوله.

أعدت المائدة، ووضعت الزهور وكل شيء، وجلست لتنتظر. لكن عندما رأت أنه لا يأتى، وبما أنها كانت جائعة جدا، بدأت تأكل وحدها. وكلما كانت تأكل أكثر كان يعجبها أكثر.

– أوه، لكن ما هذا اللحم اللذيذ! من أين أتى الفأر بيريث بلحم لذيذ هكذا ليضعه فى الوعاء؟

وواصلت الأكل، حتى وجدت فجأة جلد ورأس الفأر بيريث.

– أوه، هذا فأرى بيريث! يا إلهى!، ماذا فعلت أنا؟ يا مسكينى، لقد التهمته!

خرجت إلى الشرفة لتئن وتبكى، ومر من هناك عصفور صغير. قال لها:

– أيتها النملة الصغيرة، لماذا تبكين؟

عندئذ حكت له ما حدث لها. وقال هو لها:

- حسنا، أنا، كعصفور طيب، سأقطع منقارى.

وذهب يطير وقابل الحمامة. قالت له هى:

- أيها العصفور الصغير، لماذا قطعت منقارك؟

- لأن الفأر پيريث سقط فى الوعاء والنملة الصغيرة تئن وتبكى من أجله؛ وأنا، قطعت منقارى، كما يجب لعصفور طيب مثلى.

وقالت الحمامة:

- إذن، وأنا كحمامة طيبة، سأقص ذيلى.

وطارت الحمامة ووصلت إلى برج الحمام. الذى سألها:

- أيتها الحمامة، لماذا قصصتِ ذيلكِ؟

- لأن الفأر پيريث سقط فى الوعاء والنملة الصغيرة تئن وتبكى من أجله؛ والعصفور كعصفور طيب قام بقطع منقاره؛ وأنا كحمامة طيبة قصصت ذيلى.

وقال برج الحمام:

- إذن أنا، كبرج حمام طيب، سأنهار.

عندئذ قال النبع الذى كان تحت برج الحمام:

- لماذا ستنهار يا برج الحمام؟

- لأن الفأر پيريث سقط فى الوعاء والنملة الصغيرة تئن وتبكى من أجله؛ والعصفور كعصفور طيب قام بقطع منقاره؛ والحمامة كحمامة طيبة قصت ذيلها؛ وأنا كبرج حمام طيب سأنهار.

- إذن أنا، كنبع طيب، سأترك تيار مائى:

عندئذ جاء الأطفال ليشربوا وقالوا:

- أيها النبع، أيها النبع، لماذا تركت تيارك؟

– لأن الفـأر پيـريث سـقط فى الوعـاء والنملة الصـغيـرة تئن وتبكى من أجله؛ والعصفور كعصفور طيب قام بقطع منقاره؛ والحمامة كحمامة طيبة قصت ذيلها؛ وبرج الحمام كبرج طيب انهار؛ وأنا كنبع طيب، تركت تيارى.

وقال الأطفال:

– ونحن، كأطفال طيبين، سنحطم جرار الماء.

ذهب الأطفال إلى بيوتهم وقابلوا الملكة. التى قالت لهم:

– أيها الأطفال، لماذا حطمتم الجرار؟

– لأن الفـأر پيـريث سـقط فى الوعـاء والنملة الصـغيـرة تئن وتبكى من أجله؛ والعصفور كعصفور طيب قام بقطع منقاره؛ والحمامة كحمامة طيبة قصت ذيلها؛ وبرج الحمام كبرج طيب انهار؛ والنبع كنبع طيب ترك تياره؛ ونحن كأطفال طيبين حطمنا الجرار.

عندئذ قالت لهم الملكة:

– حسنا وأنا كملكة طيبة، سأخلع الوشاح الأبيض وأرتدى الأسود.

وصل الملك وقال لها:

– أيتها الملكة، لماذا خلعتِ الوشاح الأبيض ووضعتِ الأسود؟

وأجابت الملكة:

– لأن الفـأر پيـريث سـقط فى الوعـاء والنملة الصـغيـرة تئن وتبكى من أجله؛ والعصفور كعصفور طيب قام بقطع منقاره؛ والحمامة كحمامة طيبة قصت ذيلها؛ وبرج الحمام كبرج طيب انهار؛ والنبع كنبع طيب ترك تياره؛ والأطفال كأطفال طيبين حطموا الجرار؛ وأنا كملكة طيبة خلعت الوشاح الأبيض وارتديت الأسود.

وعندئذ قال الملك:

– إذن أنا، كملك طيب، سأخلع بنطلونى وأجرى.

وتوتة توتة، من المدخنة خرج صاروخ؛ وأنت يا من رأيته؛ لماذا لم تمسك به؟

٧٠- بينيبيرى

ذات مرة، كانت هناك ثلاث عنزات فقيرات جدا، وقالت الكبرى:

- ماذا نفعل؟

أجابت الثانية:

- لا أعرف.

وقالت الثالثة:

- أنا أعرف. لنذهب إلى بيت بينيبيرى ونختلس ثلاثة أباريق من الزيت.

- فكرة جيدة، أجابت الأخريان. فلنذهب إلى هناك. وبعد أن مشين مسافة فرسخ، شعرن بصوت يقول:

- باااء، باااء!

عندئذ رأين كبشا كبيرا، فارتعبن وأخذن يهربن:

- اهربن، اهربن،

سيهجم علينا.

لكن صاح الكبش فيهن:

- لا تخفن. إلى أين أنتن ذاهبات؟

وأجبنه:

- إلى بيت بينيبيرى لنختلس ثلاثة أباريق زيت.

– هل تسمحن لى بأن آتى؟ قال الكبش.

وأجنبه:

– تعال.

مشوا فرسخا آخر وسمعوا صوتا يقول:

– ميوو، ميوو!

ورأوا قطا أسود كبيرا جدا؛ خافوا وبدأوا يهربون قائلين:

– اهربوا، اهربوا،

سيخربشنا.

لكن صاح فيهم القط:

– لا تخافوا، لن أخربشكم. إلى أين أنتم ذاهبون؟

– إلى بيت بينيبيرى لنختلس ثلاثة أباريق زيت.

– هل يمكن أن آتى؟

– تعال.

مشوا فرسخا آخر وسمعوا صوتا يصيح:

-كوكوكوكووو.

ورأوا ديكا شرسا جدا؛ فخافوا، وبدأوا يركضون وهم يقولون:

– اهربوا، اهربوا،

سينقرنا.

قال لهم الديك:

– لا تخافوا لن أنقركم. إلى أين أنتم ذاهبون؟

– إلى بيت بينيبيرى لنختلس ثلاثة أباريق زيت.

– هل تحبون أن آتى؟

– تعال.

مشوا فرسخا آخر ووجدوا تلا من السماد؛ خافوا وأخذوا يركضون وهم يقولون:

– اهربوا، اهربوا،

فسيوسخنا.

قال السماد:

– لا تخافوا، لن أوسخكم. إلى أين أنتم ذاهبون؟

– إلى بيت بينيبيرى لنختلس ثلاثة أباريق زيت.

– هل تسمحون لى أن آتى؟

– تعال.

مشوا فرسخا آخر ووجدوا إبرة خياطة؛ خافوا وقالوا:

– اهربوا، اهربوا،

ستنغزنا.

قالت الإبرة:

– لا تخافوا، لن أنغزكم. إلى أين أنتم ذاهبوان؟

– إلى بيت بينيبيرى لنختلس ثلاثة أباريق زيت.

– هل يمكننى آتى؟

– تعالى.

ومشوا فرسخا آخر ووصلوا إلى بيت بينيبيرى؛ ولأن ذلك كان فى الليل، كان الباب مغلقا.

– كيف سندخل؟ قالت العنزات.

وأجاب عليهن الديك:

- أنا، الديك، الديك الكبير، سأطير، وأطير إلى السطح، وسأدخل من المدخنة.

وهكذا فعل، وفتح لهم الباب.

دخلوا البيت وقالوا:

- أين نختبئ؟

قال الديك:

- أنا مخبئى جاهز، سأذهب إلى مكان تدخين اللحم.

اختبأ القط فى الرماد؛ والسماد فى الكبريت؛ واختبأت الإبرة فى المنشفة ووقف الكبش وراء الباب؛ ثم ذهبت العنزات إلى الأباريق لأخذ الزيت.

وبينما كن يخرجن الزيت، وقع منهن القمع واستيقظ بينيبيرى، الذى قال:

- أوه يا إلهى! لقد دخل اللصوص فى بيتى.

استيقظ وذهب إلى مكان تدخين اللحم، ونظر من خلال المدخنة ليرى ما إذا كان النهار قد سطع. فسقطت عليه، بينما كان ينظر، قمامة ألقاها عليه الديك ولم ير أى شىء؛ ذهب يتحسس خطاه ليبحث عن الكبريت ليشعل الضوء، وبما أن السماد كان بداخله، اتسخت يداه تماما.

- أوه يا ربى! قال. يا لهما من يدين متسختين!

وذهب ليبحث عن منشفة لينظف نفسه، وبما أن إبرة الخياطة كانت مغروزة فيها، نغزته؛ ذهب ليشعل النور فى عين القط الذى قفز عليه وخربشه فى كل جسمه؛ فر هاربا ليخرج إلى الشارع، وعندما وصل إلى الباب، خرج الكبش واصطدم به من الخلف حتى أنه جعله يلف؛ ذهب راكضا إلى الساقية، فسقط فى النهر وغرق، وأصبحت العنزات الثلاث هن سيدات البيت، وقضين وقتا سعيدا، وأنا ذهبت وأتيت ولم يعطونى إلا حذاء من النحاس، وآخر من الزجاج، وآخر من السكر، وآخر من جلد الماعز ارتديته، وحذاء الزجاج تحطم، وحذاء السكر أكلته، وحذاء النحاس لك أنت.

٧١- نصف ديك

قررت امرأتان أن تتقاسما ما ستأتى به دجاجة على وشك أن تضع بيضها، لكنها باضت لهما فقط ديكا صغيرا. ولأن المرأتين كانتا تريدانه، قررتا تقسيمه إلى نصفين. أكلت واحدة منهما نصفها، لكن وضعت الأخرى نصف ديكها فى الحظيرة.

أخذ النصف ديك يحفر ويحفر فى كومة من الروث، حتى وجد حقيبة بها نقود. وكان ابن الملك يمر من هناك.

- هيـا. قال، سلفنى حقيبـة النقـود تلك، فأنا أريد أن أتزوج. وسـأعيدها لك فى خلال شهر.

لكن مر شهر ولم يظهر ابن الملك. عندئذ قرر الديك الصغير أن يذهب إلى القصر ليستعيد نقوده.

وفى طريقه قابل ثعلبة قالت له:

- يا نصف ديك، إلى أين أنت ذاهب؟ فأنا سآكلك!

وأجابها النصف ديك:

- لا، لا تأكلينى، فقريبا سأصير غنيًا جدا وسأجعلك تأكلين ملء بطنك من الدجاج. أنا ذاهب إلى قصر الملك فهو يدين لى بحقيبة نقود.

- ولكن هذا بعيد جدا وسأشعر بالإرهاق. أجابت الثعلبة.

- إذن افسحى لنفسكِ طريقا بعصا صغـيرة، وادخلى فى مؤخرتى الصغيرة، قال الآخر. ودخلت الثعلبة.

ومشى النصف الديك، ثم مشى، وتقابل مع الذئب:

– أيها النصف ديك، إلى أين أنت ذاهب؟ فأنا سآكلك!

وأجابه النصف ديك:

– لا، لا تأكلنى، فقريبا سأصير غنيا وسأجعلك تأكل ملء بطنك من الغنم. أنا ذاهب إلى قصر الملك فهو يدين لى بحقيبة نقود.

– لكن هذا بعيد جدا وسأتعب، أجاب الذئب.

– إذن افسح لنفسك طريقا بعصا صغيرة، وادخل فى مؤخرتى الصغيرة. ودخل الذئب.

ومشى النصف ديك ثم مشى حتى وصل إلى أرض صخرية.

– إذا مشيت على هذه الصخور سأتعب. قال النصف ديك، ووضعها كلها فى مؤخرته الصغيرة.

ومشى، ثم مشى إلى أن وصل إلى نهر.

– إذا مررت من المنتصف، سأغرق؛ إذا طرت سأسقط فى الماء، لأنه سيكون نصف طيران فقط.

عندئذ استدار بمؤخرته وشفط النهر.

أخيرا وصل النصف ديك إلى قصر الملك. طرق الباب ولم يفتح له أحد. طرق مرة أخرى ولم يفتح له أحد أيضا. وعندما تعب من الانتظار، أخذ يغنى:

– كوكوكوكووو، أنتم تدينون لى بحقيبة من النقووود!

فتح خدم الملك الباب له وأخذوه.

– ارموه فى حظيرة الديوك الإنجليزية، فهم سينقرونه ويقتلونه. قال الملك.

وهكذا فعلوا. لكن بمجرد أن دخل، قال النصف ديك:

– أيتها الثعلبة الصغيرة، اخرجى.

وخرجت الثعلبة وأكلت كل ديوك المصارعة وكل الدجاجات. ولأنه كان هناك صوت قوقوة كثيرة، قال الملك للملكة:

- إنهم يقتلونه، إنهم يقتلونه.

لكن فى الصباح التالى، حضر الخدم وقالوا:

- يا جلالة الملك، لم يتبقَّ ولا حتى الريش.

وفى هذه الأثناء، سمعوا النصف ديك يغنى:

- كوكوكوكوووو، أنتم تدينون لى بحقيبة من النقوووود!

وقال الملك غاضبا جدا:

- خذوا هذا الديك فى حظيرة المهر غير المروضة! فهناك سيركلونه ويقتلونه!

وهكذا فعلوا. لكن بمجرد أن دخل، قال النصف ديك:

- أيها الذئب الصغير، اخرج.

وخرج الذئب وأكل كل المهر غير المروضة:

ولأنه كان هناك صوت ركلات كثيرة، قال الملك للملكة:

- سيقتلونه، سيقتلونه.

لكن فى الصباح التالى حضر الخدم وقالوا:

- جلالتك، لم يتبقَّ ولا حتى الحوافر.

ومرة أخرى سمعوا صوت النصف ديك وهو يغنى:

- كوكوكوكوووو، أنتم تدينون لى بحقيبة من النقوووود!

عندئذ قال الملك غاضبا جدا:

- ألقوا به فى البئر، فليغرق!

وهكذا فعلوا، لكن أمر النصف الديك كل الصخور أن تخرج وجفت البئر وأصبح هو في الأعلى، وهو يغني:

– كوكوكوكوووو، أنتم تدينون لي بحقيبة من النقووووود!

– يا نصف الديك الملعون!، صاح الملك. قوموا بشوائه في الحال!

وضعوا النصف ديك في الفرن، لكنه أمر النهر بالخروج، فأطفأ الشعلة وبدأ كل شيء يغرق. ولأنه لم يتوقف عن إخراج الماء، كان على الملك وجميع الخدم أن يصعدوا إلى سقف القصر. وصاح الملك:

– لا تتركني أغرق! أيها الديك، لا تتركني أغرق!

وأجاب الآخر:

– كوكوكوكوووو، أنتم تدينون لي بحقيبة من النقووووود!

ووصل الماء حتى المدخنة، وعاد الملك يصيح مرة أخرى:

– توقف عن إخراج الماء وسأعطيك نصف مملكتي!

لكن أخرج الديك ماء أكثر. وكان الماء قد وصل إلى رقبة الملك، عندما صاح:

– أيها الديك، لا تتركني أغرق، فأنا سأعطيك مملكتي بأكملها!

وهذا ما حدث. توقف النصف ديك عن إخراج الماء وعاد إلى بيته وهو سعيد جدا:

– كوكوكوكوووو، لقد فزت! كوكوكوكوووو بمملكة!

٧٢- القردة متقلبة المزاج

كان ياما كان، كانت هناك قردة ظريفة جدا، خرجت بحثا عن حظها. مشت ومشت، حتى مرت أمام دكان حلاقة وفكرت: "بهذا الذيل الطويل جداً أنا لا أدرى إلى أين أنا ذاهبة". وهكذا دخلت فى دكان الحلاقة وقالت للحلاق:

- أيمكن لحضرتك أن تقص ذيلى؟

- بالطبع. أنا موجود هنا، لأفعل ما تأمرين به حضرتكِ.

وقص لها ذيلها فى الحال.

خرجت القردة من دكان الحلاقة وهى فى منتهى السعادة، لكن بعد فترة قالت لنفسها:

- كان يمكننى أن أفعل أشياء بذيلى. لكن الآن لا...

عادت إلى دكان الحلاقة وقالت:

- من فضلك أعطنى ذيلى، فهو كل ثروتى.

وأجابها الحلاق:

- هل حضرتك تظنين أننى هنا لأضع لك ذيلا، وأنزع لك ذيلا؟ إضافة إلى هذا، أنا لا يمكننى أن أعطيه لكِ، لأنه صار فى القمامة.

- أوه فعلا؟ إذن حضرتك يجب عليك أن تعطينى السكين.

- أنا، السكين؟ حضرتكِ مجنونة. إذا كان دكان الحلاقة نفسه ليس ملكى. كيف يمكننى أن أعطيكِ العدة؟

– لا، لا يهم، إذا لم تعطنى السكين لن أرحل من هنا طوال اليوم.

– هيا، هيا. قال الحلاق. يمكننى أن أدفع المال فى مقابل عدم رؤيتك.

وأعطاها السكين، ورحلت القردة وهى سعيدة جدا. ومشت ثم مشت حتى مرت على نهر. كان هناك صياد يجهّز السمك بيديه ليذهب لبيعه.

– أوه! أشعر بشىء لا أعرف ما هو عندما أرى هذا الرجل يجهز السمك بيديه. وأنا، فيمَ أريد السكين؟ أيها الرجل الطيب، ألا تريد سكينا؟

قال لها الرجل نعم، وأعطتها له القردة.

ومشت ثم مشت وبعد قليل شعرت بالندم. قالت لنفسها: "وأنا؟ يجب أن أرى ماذا بى! الشىء الوحيد الذى أمتلكه، أتخلى عنه هكذا بمنتهى السهولة". عادت إلى النهر وقالت:

– اسمع، أعطنى حضرتك السكين، فهى كل ثروتى.

– لا أستطيع. قال الصياد.

– لماذا؟

– لأنه سقط منى فى النهر.

– أوه، هيا حضرتك لا بد أن تعطينى سلة السمك.

– أنا؟ سلة السمك؟

– نعم، حضرتك، حضرتك.

وحتى لا يسمع المزيد منها، أعطاها الصياد سلة السمك. ومشت ثم مشت، بعد ذلك قالت القردة: "وماذا سأفعل بكل هذا السمك، وأنا ليس عندى خبز؟". ومرت من أمام مخبز ودخلت:

– يا سينيورة، هل من الممكن أن أستبدل سلة من السمك بواحدة من الخبز.

– حسنا.

أعطوها سلة من الخبز، وبعد قليل مرت من أمام مدرسة بنات. وكانت كل الفتيات يبكين. دخلت القردة وسألت المدرس:

– لماذا تبكى الصغيرات؟

– لأنهن جائعات.

– إذن خذ حضرتك. سلة من الخبز.

أعطته القردة سلة الخبز وواصلت سيرها. بعد قليل: ماذا دهانى! لقد أعطيت المدرس سلة الخبز وأنا حتى لم أذُقْه؟". عادت إلى المدرسة وقالت:

– أيها المدرس، من فضلك أعطنى سلة الخبز، فهى كل ثروتى.

– أنا؟ مستحيل.

– لمَ لا؟

– لأن الصغيرات أكلنه كله.

– إذن سآخذ إحداهن.

– لا يمكن، فهن لسن لى.

– بلى.

– لا.

– بلى.

– لا.

أصرت القردة كثيرا، إلى أن قال المدرس:

– حسنا، أنتِ مملة. خذى ما تشائين.

وضع المدرس الفتيات فى صف واختارت القردة من تشاء.

مشت ومشت، ومرت مع الطفلة على نهر، وكانت هناك امرأة تغسل، وتغسل،

– يا سينيورة، هل تحتاجين إلى هذه الطفلة لتساعدكِ فى الغسيل؟

– حسنا.

وتركت هناك الطفلة. واصلت القردة سيرها، وبعد قليل: "إذا لم يكن لدىّ مَنْ ينظف لى. كيف تركت الطفلة لمنظفة الملابس!".

– يا منظفة الملابس! أعيدى لى الطفلة، فهى كل ثروتى.

– لا يمكننى.

– لا يمكنكِ؟

– لا.

– لماذا؟

– لأننى ألقيت بها فى النهر.

– لماذا؟

– لأنها لم تكن تعرف كيف تغسل...

– إذن الأمر هكذا! الآن لا بد أن تعطينى قميصا.

– أنا؟ قميصا؟

– نعم، حضرتكِ، حضرتكِ.

– لا.

– نعم.

– لا.

– نعم.

– أوه، يا لكِ من قردة غريبة! خذى القميص!

وواصلت القردة، ومشت ثم مشت، وقابلت شخصا أحول يعزف على الكمان.

- أيها الأحول، ألا تريد قميصا؟

- حسنا.

أعطت القميص للأحول ورحلت. ومشت ثم مشت وسألت نفسها: "والآن؟ لماذا أعطيتُ القميص للأحول؟" وعادت.

- اسمع، أعطني القميص.

- لا بد أنكِ تمزحين! إذا أردتِ، لديكِ دُفّ هنا.

عندئذ أخذت القردة الدف وأخذت تُطَبِّل. وبينما كان الأحول يطبِّل، كانت هي تغنى هذه الأغنية:

- بدلا من ذيلي سكينا

وبدلا من السلة سمكا

بو- رو- روم- بوم- بوم!

وبدلا من السلة طفلة .

كانت تبكي، يا للألم!

بو- رو- روم- بوم- بوم!

وبدلا من الطفلة قميصا، وبدلا من القميص دُفّا،

بو- رو- روم- بوم- بوم!

بو- رو- روم- بوم- بوم!

٧٣- زفاف العم پيريكو

كان يا ما كان، كان هناك ديك جميل جدا وكان مدعوا لحضور زفاف العم پيريكو. اغتسل، ومشط شعره، وارتدى أجمل ثيابه وخرج على الطريق. وبعد أن قضى بعض الوقت ماشيا، وجد روث حمار، به شعير كثير. ولأن الديك كان جائعا جدا، قال:

- ماذا أفعل؟ آكل أم لا؟ إذا أكلت سألطخ منقارى ولن أستطيع الذهاب إلى زفاف العم پيريكو. لا، لن آكل، لأننى هكذا سأتأخر أيضا.

وهكذا واصل سيره وفى الحال وجد رَوَثًا مرة أخرى.

- ماذا أفعل؟ آكل أم لا؟ إذا أكلت سألطخ منقارى، ولن أستطيع الذهاب إلى زفاف العم پيريكو. لا، لن آكل، لأننى هكذا سأتأخر أيضا.

واصل السير وبعد قليل، وجد رَوَثًا مرة أخرى:

- أوه، ماذا أفعل؟ إذا أكلت، سألطخ منقارى...

لكن لم يكد يكمل ما قاله، لأنه لم يعد يمكنه أن يقاوم أكثر من هذا، وبدأ ينقر الروث بمنقاره. وبالطبع لطخ منقاره كله.

- الآن لن أتمكن من الذهاب إلى زفاف العم پيريكو. ماذا أفعل؟

وقريبا جدا منه وجد خُبازى، وقال لها:

- أيتها الخُبازى، أيتها الخُبازى، نظفى لى منقارى، فأنا لطختُه ولا يمكننى الذهاب إلى زفاف العم پيريكو.

وأجابت الخُبازى:

- لا أريد!

واصل الديك ماشيا وقابل نعجة. وقال لها:

- أيتها النعجة الصغيرة، أيتها النعجة الصغيرة، كلى الخُبازى، فهى رفضت أن تنظف لى منقارى وأنا لا يمكننى الذهاب إلى زفاف العم بيريكو.

وأجابته النعجة:

- لا أريد!

واصل الديك طريقه وقابل ذئبا.

- أيها الذئب، أيها الذئب، كلْ النعجة، لأنها لم ترد أن تأكل الخُبازى، التى لم ترد أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع الذهاب إلى زفاف العم بيريكو.

وأجاب الذئب:

- لا أريد:

واصل الديك سيره وقابل كلبا.

- أيها الكلب، أيها الكلب، اقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع الذهاب إلى زفاف العم بيريكو.

- لا أريد!

ثم وجد الديك عصا.

- أيتها العصا، أيتها العصا، اضربى الكلب، الذى رفض قتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أذهب إلى زفاف العم بيريكو.

- لا أريد!

أكمل الديك سيره وقابل شعلة نار.

– أيتها الشعلة، أيتها الشعلة، احرقى العصا، التى رفضت أن تضرب الكلب، الذى رفض أن يقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع الذهاب إلى زفاف العم بيريكو.

– لا أريد!

بعد ذلك بمسافة قليلة، قابل الديك الماء.

– أيها الماء، أيها الماء، أطفئ شعلة النار، التى رفضت أن تحرق العصا، التى رفضت أن تضرب الكلب، الذى رفض أن يقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع أن أذهب إلى زفاف العم بيريكو.

– لا أريد!

بعد ذلك قابل الديك بقرة.

– أيتها البقرة، أيتها البقرة، اشربى الماء، فهو رفض أن يطفئ الشعلة، التى رفضت أن تحرق العصا، التى رفضت أن تضرب الكلب، الذى رفض أن يقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع الذهاب إلى زفاف العم بيريكو.

– لا أريد!

– إلى أين وصلنا.

– إلى البقرة.

– إذن ارفعى ذيلها، وقبِّلى روثها!

– قبله أنت، فأنا لا أحتاج إلى هذا!

حسنا، بعد ذلك بقليل، وجد الديك سكينا.

- أيها السكين، أيها السكين، اقتل البقرة، التى رفضت أن تشرب الماء، الذى رفض أن يطفئ الشعلة، التى رفضت أن تحرق العصا، التى رفضت أن تضرب الكلب، الذى رفض أن يقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع أن أذهب إلى زفاف العم بيريكو.

- لا أريد!

عندئذ ذهب الديك إلى ورشة الحدادة، وقال للحداد:

- أيها الحداد، أيها الحداد، اكسر السكين، الذى رفض أن يقتل البقرة، التى رفضت أن تشرب الماء، الذى رفض أن يطفئ الشعلة، التى رفضت أن تحرق العصا، التى رفضت أن تضرب الكلب، الذى رفض أن يقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع الذهاب إلى زفاف العم بيريكو.

- لا أريد!

عندئذ ذهب الديك إلى حيث كان الموت.

- أيها الموت، أيها الموت، خذ الحداد، الذى رفض أن يكسر السكين، الذى رفض أن يقتل البقرة، التى رفضت أن تشرب الماء، الذى رفض أن يطفئ الشعلة، التى رفضت أن تحرق العصا، التى رفضت أن تضرب الكلب، الذى رفض أن يقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع أن أذهب إلى زفاف العم بيريكو.

- لا أريد!

عندئذ ذهب الديك إلى حيث يوجد الرب.

- أيها الرب، أيها الرب، أرسل الموت ليأخذ الحداد، الذى رفض أن يكسر السكين، الذى رفض أن يقتل البقرة، التى رفضت أن تشرب الماء، الذى رفض أن يطفئ الشعلة، التى رفضت أن تحرق العصا، التى رفضت أن تضرب الكلب، الذى رفض أن يقتل الذئب، الذى رفض أن يقتل النعجة، التى رفضت أن تأكل الخُبازى، التى رفضت أن تنظف لى منقارى، ولم أستطع أن أذهب إلى زفاف العم بيريكو.

وعندئذ أرسل الرب الموت للحداد، وركض الحداد الذى كان يريد كسر السكين، التى تريد أن تقتل البقرة، التى تريد أن تشرب الماء، الذى يريد إطفاء الشعلة، التى تريد حرق العصا، التى تريد ضرب الكلب، الذى يريد قتل الذئب، الذى يريد قتل النعجة، التى تريد أكل الخُبازى، وعندئذ أخذت الخُبازى تجرى، وتجرى، ونظفت منقار الديك، الذى أصبح سعيدا جدا وذهب إلى زفاف العم پيريكو.

ولكن لأنه انشغل كثيرا، وصل متأخرا، عندما لم يعد يتبقى لحم، وبما أنهم رأوا أن الديك فى منتهى الجمال وبصحة جيدة، ركضوا وراءه، وذبحوه، وفى وعاء الطبخ وضعوه.

٧٤- جاءت قطة وقتلت "الوقت"

كان ياما كان، كان هناك رجل عجوز وامرأة عجوز يأكلان جبنة. وفي هذه الأثناء، جاء فأر والتهمها. جاءت القطة وقتلت الفأر، لأنه أكل جبنة الرجل العجوز والمرأة العجوز.

وصل الكلب وقتل القطة، لأنها قتلت الفأر، لأنه أكل جبنة الرجل العجوز والمرأة العجوز.

جاءت العصا وقتلت الكلب، لأنه قتل القطة، لأنها قتلت الفأر، لأنه أكل جبنة الرجل العجوز والمرأة العجوز.

جاءت النار وأحرقت العصا، لأنها قتلت الكلب، لأنه قتل القطة، لأنها قتلت الفأر، لأنه أكل جبنة الرجل العجوز والمرأة العجوز.

وصل الماء واطفأ النار، لأنها احرقت العصا، لأنها قتلت الكلب، ، لأنه قتل القطة، لأنها قتلت الفأر، لأنه أكل جبنة الرجل العجوز والمرأة العجوز.

جاء الثور وشرب الماء، لأنه أطفأ النار، لأنها أحرقت العصا، لأنها قتلت الكلب، لأنه قتل القطة، لأنها قتلت الفأر، لأنه أكل جبنة الرجل العجوز والمرأة العجوز.

أتى الدب وقتل الثور، لأنه شرب الماء، لأنه اطفأ النار، لأنها أحرقت العصا، لأنها قتلت الكلب، لأنه قتل القطة، لأنها قتلت الفأر، لأنه أكل جبنة الرجل العجوز والمرأة العجوز.

- إلى أين وصلنا؟

- إلى الدب.

- إذن قبِّل مؤخرتي، أيها الطفل.

٧٥- الديك والماء المتجمد

فى الشتاء، ذات صباح مشمس، خرج الديك سعيدا جدا ليتنزه. لم ينتبه إلى أنه كان يمشى فوق جدول ماء كان قد تجمد فى الليل، وفجأة تكسَّر الماء المتجمد، وغرقت قدما الديك. وانكسرت إحداهما، وظل هناك عالقا.

- أيها الماء المتجمد، قال الديك، لماذا كسرت قدمى الصغيرة؟ هل أنت قوى إلى هذه الدرجة؟

وأجابه الماء المتجمد:

- الشمس التى تذوِّبنى، أقوى منى.

وقالت الشمس:

- السحب التى تحجبنى، أقوى منى.

وقالت السحب:

- الهواء الذى يحركنى، أقوى منى.

وقال الهواء:

- الحائط الذى يصدنى، أقوى منى.

وقال الحائط:

- الفأر الذى يثقبنى، أقوى منى.

وقال الفأر:

- القطة التى تأكلنى، أقوى منى.

وقالت القطة:

– الكلب الذى يطاردنى، أقوى منى.

وقال الكلب:

– العصا التى تضربنى، أقوى منى.

وقالت العصا:

– النار التى تحرقنى، أقوى منى.

وقالت النار:

– الماء الذى يطفئنى، أقوى منى.

وقال الماء:

– الحمار الذى يشربنى، أقوى منى.

– إلى أين وصلنا؟

– إلى الحمار.

– إذن ارفع ذيله وقبِّل مؤخرته.

تذييــل

١- حكايات عجائبية

(أ) بلانكافلور

نضم إلى هذه المجموعة ثلاث حكايات تشتمل، بوضوح، على قليل من الملامح المشتركة. وعلينا أن ننطلق من الحدث غير العادى إذ تأتى بلانكافلور، البطلة الأكثر قوة فى حكاياتنا، لتحل محل قيادة البطل المحرَّر، فهى التى تقود السرد فى التسلسل الثانى للحكاية وتنقذ من يجب أن يكون منقذَها. ولم تحدث هذه الظاهرة فى أىّ حكاية أخرى، وسيتبعها جحود البطل، الذى سينساها، كما أنه سيتزوج بأخرى، كما فى حكاية "الغريبة"[1].

واجتماع كلا الملمحين (بطولة متبادلة أو مشتركة على الأقل، بالإضافة إلى جحود البطل) هو أساس افتراضنا. وتعززه عناصر أخرى، مثل تحوُّل بلانكافلور إلى حمامة، والاحتفاظ بهيئتها البشرية فى شكل ملابس مخبأة أو ريشة محفوظة فى صندوق، وتعاوُن البطلة التى تعطى نصائح قيِّمة لمحررها فى پالومابلانكا[2] (وإنْ لم تصل إلى أن تكون ساحرة كما كانت بلانكافلور، مثل ميديا)، وعدم وجود أميرة تقليدية مخطوفة فى أىٍّ من الحكايات الثلاث، وإنما كانت هناك "شابة" أو "غريبة" فى حكايتين منها،

(١) روايتنا من هذه الحكاية تتطابق مع رواية سيرخيو إرنانديث دى سوتو Sergio Hernéndez de Soto، فى المجلد ١٠ من la Biblioteca de tradiciones populares españolas (من الآن فصاعدا BTPE، بالإضافة إلى رقم المجلد).

(٢) هذه هى الحكاية رقم ٧ من حكايات من أستوريا Cuentos asturianos لـ دون أوريليو دى يانو don Aurelio de llano (من الآن فصاعدا "llano" بالإضافة إلى الرقم)، بتصريح كريم من خلفه.

وهذه العناصر هى التى حالت دون وضع هذه الحكايات ضمن المجموعة الأقرب وهى "الأميرة المسحورة").

بلانكافلور، ابنة الشيطان، واحدة من حكاياتنا العجائبية الأساسية. وليست لها أىّ علاقة ببيضاء الجليد (بلانكانييبس) كما زُعم فى بعض الأحيان لمجرد وجود تشابه فى التسميات.

وتؤكد العناوين التى تم إطلاقها فى إسبانيا على روايات أخرى من حكاية بلانكافلور - ميديا استقلالها. ونشير هنا إلى "أشعة الشمس السبعة"، أو ماريسوليس، أو "ماركيز الشمس" حيث يوحى العنصر الشمسى فى كل تلك الروايات بملمح أساسى فى ميديا.

قام إسبينوسا بعمل قائمة من ثمانٍ وثمانين رواية هيسپانية، وأشار إلى مائة وواحد من الروايات الأخرى ذات خلفية رومانية. وسُجلت الحكاية للمرة الأولى فى رواية هندية من القرن الحادى عشر، لتستمر بعد ذلك فى مجموعات فى القرون الوسطى. وبالنسبة للأسطورة، فقد ظهرت بالفعل فى الإلياذة، فى ثلاث مناسبات؛ وفى پيندار، وفى أرجوناوتيكا أپولونيو دى روداس، وفى أشهر أعمال سوفوكليس، ويورپيديس، وأوڤيد، وسينيكا. وحول مدى قدِم فرع أو آخر من نفس الحكاية، استقر المعيار، الذى يثبت وجود مادة أسطورية مشتركة بين التراث الراقى والتراث الشفاهى، هذا المعيار الذى وصل اليوم إلى إجماع عام تقريبا.

وبعيدا عن هذا، كانت خصوصية شخصية بطلتنا، وهى شخصية متناقضة بشكل أساسى، وقادرة على خداع أبيها وقتل أخيها أو التآمر ضده فى سبيل الحب، موضوعا لدراسات عديدة وتحليلات أدبية ترى فى هذا الاتجاه أصل جانب كبير من الرواية الحديثة، وأحد أسس الثقافة الكلاسيكية، حيث تقوم بطلتنا بتتويج الفعل المحرِّر للنوع البشرى الذى بدأه پروميثيوس، بتقديمهرهم لحبيبها ليحميه من كل الشرور، وهذا المرهم مستخرج من نباتات مروية بدم يقطر من كبد ابن العملاق، المحبوس فى القوقاز، حيث يأتى كل فترة طائر جارح ليأكل أمعاءه.

(ب) خوان الدب

لا شك فى أن حكاية خوان الدب هى الأكثر شعبية وانتشارا فى الأدب الفولكلورى للبلدان التى تنتمى إلى نفس المنطقة الثقافية وتأثيراتها الكولونيالية المتميزة، وتكاد تكون النموذج الأصلى للحكايات العجائبية. وتشكل وحدها إحدى حكاياتنا الأساسية، التى ترفض، إن جاز القول، أىَّ محاولة لتصنيفها مع الحكايات التى يبدو أن بينها تشابهات، كلها سطحية، مثل التشابهات المتعلقة بالاسم، والقوة الجسمانية، والشجاعة، وصفات أخرى. ومن بعض الحكايات التى يُفترض أنها "مشابهة"، مثل خوان بلا خوف، التى لا تُعتبر حتى حكاية عجائبية.

كذلك فإن مجموعة العناوين صغيرة جدا: خواخوان الدب، خوان صاحب العصا. أما رواياتها، فهى على العكس من ذلك، عديدة جدا. فقد أحصى إسپينوسا وحده أربعا وخمسين رواية هسپانية. وتقدِّم قائمة تومپسون Aarne Thompson ثمانية وأربعين مفتاحا لتتبُّع روايات من كل العالم، وكانت موضوع دراسات أنثروپولوچية - ثقافية مهمة، تبرز من بينها دراسة لـ فريدريش پانزر، الذى صنف الحكاية إلى ثلاثة أنواع أساسية: ١. الميلاد العجائبى للبطل؛ ٢. غياب الميلاد العجائبى. يدخل الشيطان حديقة، ويسرق الفاكهة ويدمرها كلها؛ ٣. أيضا غياب الميلاد العجائبى. الشيطان يسرق ثلاث أميرات.

ونموذجنا الأصلى مبنى على أول هذه الأنواع، وهو الأكثر انتشارا فى إسپانيا، رغم أنه جرت العادة على تخفيف الميلاد العجائبى. أما النوع الثانى، فهو أقل شيوعا فى إسبانيا، ورغم ذلك يجب أن نحكى حكاية طريفة، تبدو لنا ذات معنى كبير: فى ١٩٧٨، كنا نجمع فى كارمونا (إشبيلية) نسخة مهترئة وبها بعض الإضافات الهزلية، تنتمى أيضا إلى النوع الأول. ولكنْ عندما سألنا الراوية متى ولماذا تعتقد أن هذه الحكاية تُرْوَى، أجابت: "عندما يرْمى أحدٌ سيجارة فى الحقل، وحتى لا يدخل الناس لسرقة الفاكهة من بستان كان موجودا هناك، حيث يقولون إن هذه الأشياء حدثت هناك". والصدى الذى يحمله هذا التفسير البسيط للنوع الثانى للحكاية مثير للدهشة.

ومن حيث المبدأ، نحن أمام الشكل الأنقى للأميرة المخطوفة ("المسحورة") فى بئر، يرمز إلى العالم السفلى (هاديس)، أو الجحيم الوثنى، حيث ينبغى أن ينقذها، مثل أوريديس، نصف إله ما. لكن هذه ليست أسطورة أورفيوس، بل أسطورة بطلنا (خوان الدب) حيث إن جد أوديسيوس، أرسيسيوس، كان اسمه "ابن الدب"، بسبب أصل أسلافه. والواقع أن نهاية حكايتنا قريبة جدا من عودة بطل طروادة إلى موطنه إيثاكا، حيث لا تتعرف إليه إلا زوجته بينيلوبى. ومقارنة بطلنا الشعبى مع هرقل، واضحة تماما. ومع هذا، نعتقد أنه يجب البحث أكثر فى جانب الحكاية الخاص بالأميرة المخطوفة، أو، بالأحرى، المدفونة فى جهنم بسبب عدم طاعتها. فمثل حواء، اقتربت بطلتنا من الشجرة المحرمة، أىْ، تحدت الذات الإلهية، ولهذا سقطت إلى القاع إذ خدعها الشيطان، الذى سيحرسها بكل أنواع الحيوانات الشرسة. وبالتالى، سيكون إنقاذها، كما هى الحال فى جميع الأساطير ذات الأصل الشرقى، وتشمل أيضا اليهودية – المسيحية، رمزالتحرير الإنسان من أيدى نصفِ إلهٍ.

(ج) الأمير المسحور

تنتمى إلى هذا النوع كل الحكايات التى يكون موضوعها الرئيسى هو الأمير المسحور فى هيئة زواحف أو برمائيات، وبنسبة أقل، فى هيئة أرنب أو أىّ حيوان آخر. لقد أضفنا الأمير النائم[٣]، لأن البنية السردية واحدة؛ وفى هذه الحكاية تكون البطلة هى التى تسعى إلى فك سحره، من خلال تجاوز اختبار رحلة طويلة، ودائما تقريبا عبر مملكة الموت، ويُرْمَز إليها بشكل متكرر بأحذية حديدية لا بد أن تهلك من كثرة المشى. وبشكل أكثر تبسيطا نجد أنفسنا أمام علاقة حب بين الجميلة والوحش (عنوان الحكاية

(٣) الأمير المسحور هو نموذجنا الأصلى، حكاية "الأمير النائم" مستمدة من حكاية "الأمير النائم فى فراشه" (BTPE, X). وحكاية "الأمير الضفدع" مستمدة من الحكاية ١١٣ من أوريليو إسبينوسا (الابن)، فى مجموعته "غير المنشورة". وحكاية "سبعة أرانب بيضاء" مستمدة من حكاية "دائرة السبعة أرانب"، من مجموعة سانتشيث بيريث Sánchez Pérez. وحكاية "الببغاء" مستمدة من حكاية "الببغاء" من BTPE,I، وحكاية "القرنفلات الثلاث"، من BTPE, X. (تم نشرها قبل ذلك بثلاث سنوات فى (El folklore frexnense, 1883).

فى رواية القرن الثامن عشر عند مدام لوپرانس دو بومون Mme. leprince de Beaumont، التى حققت ثروة)، ويمكن على الأرجح رؤية مغزاها العميق فى العلاقة الذهنية بين الشخص ونفسه السفلى أو "الحيوان بداخلنا"، حسب كارل يونج. ووفقا لهذه النظرية، تأتى الحكاية لتمثل الحاجة إلى الاتصال بهذا الروح السفلى، الإنسان الطبيعى الموجود بداخلنا جميعا، النائم بفعل قيود الحضارة.

ولهذه الحكاية أيضا روايتها الأسطورية الأصلية، المعروفة والمدروسة على نطاق واسع، فى أسطورة إيروسوپسيخى، التى اقتبس منها أبوليو Apuleyo روايته اللاتينية الشهيرة "الحمار الذهبى". وفيها تتحول شخصية لوثيو، إلى حمار، كعقاب على فضوله تجاه بعض الطقوس السحرية، ويعود إلى هيئة إنسان، ولكنْ بعد أن صار مؤلهًا، من خلال تلقينه طقوس الأسرار الديونيسية، المتعلقة أيضا بالكائن الطبيعى. والرحلة الفلكية أساسية فى طقوس التلقين، وتُشبه رحلات بعض بطلاتنا الشعبيات إلى بيت الشمس، وبيت النجوم، وبيت الهواء، حيث يقمن بإتلاف تلك الأحذية الحديدية، أىْ الرحلة عبر الموت، أيضا مثل رحلة پسيخى إلى العالم السفلى، عابرةً نهر ستيكس.

وتظهر حكاية "الأمير المسحور" فى واحد وستين مرجعا فى قائمة تومپسون؛ وقد رصد إسپينوسا ثلاثا وثمانين رواية هيسپانية، وكل هذا يعطى فكرة عن مدى وفرة هذه الحكاية وقيمتها الكبيرة. ويمكننا أن نجدها فى إسپانيا تحت العناوين الآتية: الجمرات الثلاث، ورأس الحمار، وقلعة أوربى، وكهف التنين، والسحلية ذات السبعة قمصان، ووحش شجيرة الورد، ووحش الحديقة، وجلد الضفدع، وجلد السحلية، وحكايات أخرى(٤).

---

(٤) يمكن للحكاية فى هيئة نموذجها الأصلى أن تقدم تسلسلا مختلفا للأحداث. لا تبدأ الفتاة أى رحلة، وإنما تبقى فى بيتٍ تكتسب فيه سمعة أنها امرأة سعيدة، دون مبرر. ويتحرش بها ثلاثة رجال، وتتم السخرية منهم بمساعدة "عصا الفضيلة"؛ حيث يظل أحدهم يُرمى مياه بئر على نفسه طول الليل؛ ، وسيبقى الآخران إما وأنفهما ملصَق فى مرآة أو وأيديهما ملصقة فى قفل. وسيتفاخر ثلاثتهم رغم ذلك بالفوز على المرأة، غير أنهم بعد ذلك سيقولون الحقيقة، متفقين على ترويج شائعة أنها ساحرة. وتنتشر التهمة، وعندما يكونون على وشك إحراق البطلة، يحضر الأمير، ويتعرف إليها وينتهى كل شىء نهاية سعيدة. ويتم تطوير هذا التسلسل للأحداث جيدا فى حكاية كوريل ميرشان Curiel Merchán، "ماريا، ذات الأيدى البيضاء"، المجمَّعة فى Madroñera (Cáceres).

والرواية الشرقية الأقدم هى رواية Rig Veda,x,95، أىْ، سنجدها فى أول كتاب مقدس للهند، يعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وهناك روايات شرقية أخرى فى الساتاپاثا براهمانا، وفى الماهابهاراتا وفى البوراناس.

وتلفت حكايتنا "الأمير النائم" الانتباه بقوة، أولا لأنها تتناول الرواية "المذكَّرة" لحكاية پيروّ Perrault الشهيرة، "الجمال النائم". ولا تذكر الحكاية الإسبانية أصل السحر الذى حلَّ بالأمير، بينما يتمثل جزء أساسى من الحكاية الفرنسية فى إعادة الخلق، الأدبية إلى حد كبير بالطبع، للَّعنة التى أنزلتها بالأميرة الساحرةُ التى لم تتم دعوتها. وعلى العكس، تتعمق الحكاية الإسبانية أكثر بكثير، فى علاقتها ب"الأمير المسحور"، فى الرمزية المدهشة لكل المجموعة، وهى التى تعطى مثالا أقرب لفك السحر من أجل الحب، متبوعا بمصيبة المتطفلة، العبدة، وهو تسلسل أحداث شبيه بتسلسل أحداث استبدال الملكة بزنجية. والرحلة الفلكية أو الرحلة عبر الموت، التى تخرج منها سليمة، توضحها بصورة ممتازة الرحلة إلى بيت الشمس، وبيت النجوم، وبيت الهواء. ويلفت عدم وجود أصل اللعنة نظرنا إلى احتمال وجود علاقة ما بأسطورة إنديميون، راعى جبل لاتموس، التى تحكى أنه، "ذات يوم رأت إلهة القمر الخجول هذا الشاب الجميل نائما، ووقعت فى حُبٍّ ملتهب، إلى حدّ أنها نزلت إلى الأرض لتقبِّله. ولكىْ لا يعرف أحد، صبَّتْ نوما دائما فى عيون المحبوب، الذى كانت تأتى لزيارته فى ليالٍ كثيرة هادئة"(٥). وتقدِّر الأسطورة، بشكل رئيسى، الحبَّ الذى تعانيه ذات إلهية لجمال فانٍ، مثل حب كيوپيد (إيروس) لپسيخى.

ومن المدهش، الطريقة التى مرت بها "اليد السوداء" من أمامنا دون أن يلحظها أحدكما فى حكاية "ذو اللحية الزرقاء" الأصلية، بينما كان علينا أن ندعم الكولونيالية غير الضرورية لرواية پيروّ. وحكايتنا "ذو اللحية الزرقاء" قريبة من مجموعة "الأميرة المسحورة"، وبصورة ما تكون مثل ضم هــذه المجموعة ومجمــوعة "الأمير المسحور" من الناحية السيمانطيقية.

(5) G. Schwab, Las más bellas leyendas de la antigüedad, Barcelona, 1955, pág. 135.

الدافع الرئيسى، رغم ذلك، هو الغرفة المحرمة وآثار الدماء الكاشفة، حيث، كما يقول كورتيث، "تجب رؤية أسطورة الفضول الأنثوى، تيمة حواء وپاندورا، كتشابهات قوية مع حكاية هيلينا، سجينة تيسيو"(٦). ونحن نرى أن هذه واحدة من أجمل الحكايات التى جُمعت فى القرن الماضى، وهى وحدها تضمن الذوق الجيد لجامعها، دون إوخينيو دى أولاباريِّيا إى أوارتى(٧). ومن جانبنا، يمكننا أن نشهد لرواية أخرى، غير منشورة، فى مجموعة "خيمينيث"، من آرال (إشبيلية)، الأقرب إلى النموذج الفرنسى، لكن بمذاق محلى رائع وأقل بهرجة(٨).

وحكاية "الأمير الضفدع" واحدة من أشهر الحكايات فى إسبانيا، ويمكن أن تتنوع طريقة فك السحر وفقا للروايات. وبصورة ما، يمكن اعتبارها تسطيحا للحكاية الأساسية، حكاية "الأمير المسحور".

كما تمثل حكاية "سبعة أرانب بيضاء" طريقة لفك السحر مع فرضِ رحلة عبر كهف، يمكنه أن يمثل بصورة جيدة الجحيم أو العالم السفلى.

وربما كانت حكاية "القرنفلات الثلاث" فى روايتها المباشرة الموثقة هى الأقدم فى مجموعتنا، فقد نشرها دون سيرخيو إيرنانديث دى سوتو فى El folklore frexnense فى ١٨٨٣، ونسبها إلى إحدى أقربائه، التى كانت بدورها قد عرفتها من خلال تراث عائلى.

وتطرح حكاية "الببغاء" نفسا لحيلة السردية لكتاب "ألف ليلة وليلة"، فى السرد الذى تقاطعه حكاية تنقذ البطلة من التعرُّض للخيانة أو التدنيس (وفى الكتاب الشرقى حكايات كثيرة).

ومن وجهة النظر التاريخية، تعرض هذه الحكايات أيضا طقوس التلقين فى مرحلة البقاء فى البيت، حيث تتم خدمة البطلة فى كل شىء، لكن دون أن ترى أحدا.

---

(6) Cortés Vázquez, Cuentos populares salmantinos, Salamanca, 1979, pág. 239.

(7) BTPE, II.

(٨) قام بتجميع هذه المجموعة الكاتب ألفونسو خيمينيث روميرو Alfonso Jiménez Romero بين ١٩٧١-١٩٧٢ وقمنا بترتيبها بعناية. وتحتوى على نحو مائة حكاية، حكايات كثيرة منها مكررة، من الأنواع الثلاثة.

(د) الأميرة المسحورة

هذه واحدة من تلك المجموعات التى يمكنها احتواء قدر أكبر من الحكايات، وذلك نتيجة لاتساع المفهوم الذى تشتمل عليه[٩]. ومع ذلك فليس هذا هو السبب، بل النتيجة لسبب أعمق، مثل محتواها التربوى القوى، أى، الرسالة ضد الخطف والاعتداء، وهى رسالة قوية جدا وضرورية للبشرية فى المرحلة الدقيقة لتأسيسها فيما نعرفه بمجتمعنا المألوف. ويحدث نفس الشىء مع الرسالة الحضارية الأخرى من هذا النوع ضد زنا المحارم، الذى يضفى معنى على حكايات "الفتاة المطاردة". فكلتا الرسالتين، اللتين ربما تحولتا، على مرّ القرون، إلى محتويات تعليمية موجهة بطريقة ضمنية إلى اللا وعى الجماعى، تتطلب عرضا سرديا هائلا لتنفيذ رسالتها المهمة. ونضيف إلى هذه الوظائف وظيفة التأكيد على الحرية، الواردة فى الجهد المُحرِّر الذى يقوم به البطل لإنقاذ الأميرة (مع أو من دون عقد اجتماعى سابق)، بالإضافة إلى الزواج من خارج القبيلة، الذى تمثله فى نهاية الحكاية البطل والأميرة المُنْقَذَة، بالإضافة إلى رسالة أخرى: الارتقاء فى المستوى الاجتماعى، الممكن من خلال الزواج، اليوتوپى أو الاستثنائى، الذى يؤكد على المجتمع الهيراركى، الطبقى فيما بعد. وإذا جمعنا كل هذا، وجدنا أن كثرة الحكايات فى هاتين المجموعتين أكثر من مبررة.

وتظهر حكاية "الحية ذات السبعة رؤوس وقلعة "اللى يروح ما يرجعش" بكثرة تحت اسم "الأخوان"، و"القلعة المسحورة"، و"الصياد"، و"الأميرة المسحورة"، أو بجزء واحد فقط من الجزءين اللذين يكونان العنوان الرئيسى. كما أنها أيضا حكاية منتشرة فى كل العالم. وقد وضع رانكى، الدارس الكبير للحكايات الإسكندناڤية، قائمة بألف ومائة وثمانٍ وثلاثين رواية. ووفقا لهارتلاند، تمثل هذه الحكاية صورة شعبية من الأسطورة الكلاسيكية لپيرسيو وأندروميدا ومحاربة الميدوسا، التى صارت فى العصور الوسطى سيجفريد والتنين وأسطورة سان چورچ.

---

(٩) الحكايات أرقام ١٢، و١٣، و١٤، و١٥، و٢٠، و٢٢ هى النماذج الأصلية. والحكاية رقم ١٦ مستمدة من مجموعة "خيمينيث". والحكاية رقم ١٧، من مجموعة يانو، ٨، والحكاية رقم ١٨، من "خيمينيث". والحكاية رقم ١٩، مستمدة من BTPE, X. والحكاية رقم ٢١، من BTPE, I.

كما اعتادت حكاية "الحيوانات الشاكرة" الظهور تحت عنوان "الأميرة المسحورة"، مما يقود إلى أخطاء تصنيف لا حصر له بين حكايات مجموعتها نفسها. وهناك أنواع مختلفة من هذه الحكاية، حيث تتغير الحيوانات وأسماؤها، بالإضافة إلى أحداث أخرى. والجدير بالذكر هو فصل حياة العملاق عن جسده، ووجودها داخل بيضة أو داخل حيوان آخر خرافي إلى حد ما أو داخل عصفور، إذا كانت الرواية شرقية.

وتظهر حكاية "برتقالات الحب الثلاث" أيضا تحت عنوان "الجريب فروتات الثلاث". ويكون التسلسل الثانى لأحداثها هو أن انتحال زنجية أو عبدة، لشخصية الملكة، يُشكّل بدوره الجزء الثانى من بعض روايات "سنووايت". وبهذا تُطرح مشكلة مثيرة للدهشة ونادرة في هذه البنية السردية، حيث لا يمكن تحديد أىّ حكاية قامت بالاستعارة من الأخرى، أم تتشاركان معا فى نفس هذاالتسلسل للأحداث، رغم كونهما حكايتين مختلفتين فى كل الباقي. وقد قام إسپينوسا بعمل قائمة تشتمل على أربع وسبعين رواية هيسپانية، مصنفة فى ثلاثة أنواع، ووفقا له "يمكننا القول إنها حكاية شعبية حقيقية فقط فى إيطاليا وإسبانيا"(١٠).

وهناك روايات قليلة معروفة لحكاية "الأميرة القردة"، يمكن أن تحمل فى عنوانها قطة أو ضفدعة (ولكنها فى الحالة الأخيرة ستكون حكاية الأميرة الضفدعة). ووفقا لدراسات كوسكين Cosquin، تكون، على العكس، حكاية معروفة جدا فى بعض الروايات الشرقية. وبالنسبة لحكاية "الأميرة الضفدعة"، لم يكن من المعتاد توضيح لماذا ومتى عانت من هذا السحر الفريد، مثلما كان يحدث فى "الأمير الضفدع". ربما كانت الإجابة ماثلة فى الحكاية رقم ٩ ليانو، حكاية "الضفدعة والحية"، حيث أنجبتا مراة هذين الحيوانين، بعد إفصاحها عن رغبتها العارمة فى أن يكون لها أطفال، "حتى لو تحولوا إلى ضفادع وحيات". والحقيقة أن العلاقة بين هذه الذرية الفظيعة، والانحياز الموروث عن الأسلاف لعواقب زنا المحارم، هو شيء لا يمكننا تجاهله فى التحليل الذى يجب عمله لهذه الحكايات الشعبية جدا.

---

(10) Espinosa, II, 461.

وتُعتبر حكاية "خوان دى ديوس"، بطريقة ما، تنويعة من حكاية "الحصان الأخضر"، خاصةً بسبب الاختبارات، لكن مع الاختلاف الرئيسى المتمثل فى أن الحيوانات المساعدة مَدينة للبطل فى الحكاية الثانية وهى ببساطة تحت سيطرته فى الحكاية الأولى. وهذا مثال واضح للرسالة ضد الخطف (الذى تعرضت له الأميرة الصمّاء)، والرسالة ضد الانتهاك (الذى زعمته الملكة الشريرة)، وكلتاهما مميزة بوضوح فى نفس الحكاية.

وتُقدِّم حكاية "صخرة المرمر" حالة تعلُّم سحرية، حوَّلته من مُتعلِّمٍ للرسم إلى رسام رائع.

وفى حكاية "الشيطان العريس" لدينا حالة ليست نادرة جدا من عقاب الأميرة على حماقتها. وهناك روح هزل وسخرية ضمنية نُصحنا بنشرها، لإضفاء بعض المرح على المجموعة. ونلتقى فى حكاية "المركب الذهبى، والمركب الفضى، والمركب الحريرى" مرة أخرى مع الأميرة الغارقة فى الأعماق، مع تطبيق طريقة حصان طروادة فى تصنيع الببغاء. وأخيرا، قررنا أن نُضَمِّن فى هذه المجموعة حكاية "الفتاة التى لا تستطيع الخياطة"، التى تضع نهاية ساخرة لتيمة الأميرة المسحورة، مع تدخل الساحرات الخياطات، مع تشابه واضح مع الپاركاس(*).

(هـ) الأميرة والراعى

قمنا فى هذه المجموعة بجمع ثلاث حكايات متطابقة جوهريا فى السمات البنائية والمحتوى. وفى المقام الأول، الحاجة إلى تزويج أميرة، لمعالجتها بالمَرَّة من شعورها بالملل، أو الحزن، أو فقدان الشهية. وسيحضر أحد الرعاة الاجتماع الملكى. ومستغلا دهاءه أو أداة سحرية، سيحصل على اليد المرغوب فيها من الكثيرين. وعلى أساس هذا المخطط، توجد روايات كثيرة لكل حكاية من الحكايات الثلاث. ومن بينها، اعتبرنا حكاية "لغز الراعى" هى الأساسية، لكونها الأقرب إلى البنية النموذجية ولتقديمها لروايات محفوظة بشكل أفضل.

(*) تشخيصات أنثوية للقدر فى الأساطير الرومانية وكُنَّ يتحكمن فى الخيط المجازى لحياة كل الفانين والخالدين من الولادة إلى الممات – المترجمة.

وليس من المُعتاد وجود أيٍّ من الحكايات الثلاث في المجموعات الهيسپانية كحكاية عجائبية، وكان لا مفر من أن تبقى، كما هو شائع، ضمن مجموعات الألغاز، أو الحمقى، التي تشترك معها في تشابهات ثانوية فقط. والحقيقة أن الوجود الفاعل للأداة السحرية والاختبارات التي يخضع لها البطل، هي التي تمد الحكايات بالشخصية العجائبية.

ويمكن أن نجد حكاية "لغز الراعي" في كل المجموعات الأجنبية تقريبا. وقد تمت دراستها في إسبانيا من خلال خمسة أنماط، على إحدى وستين رواية هيسپانية. ومن العناوين الأخرى التي يمكن أن نجد الحكاية فيها "اللغز"، "اللغز وكيس الأكاذيب". وتجمع كل رواية أكثر الألغاز التي تتمتع بالمذاق المحلي من بين الألغاز الشعبية الكثيرة الموجودة في بلدنا.

كذلك فإن حكاية "الأميرة التي لا تضحك أبدا" منتشرة جدا في أوربا، حيث تبرز ثلاث روايات لجريم، وأربع روايات سلافية، وواحدة أو اثنتان من باقي البلاد. واليوم هناك تجاهل تام للمنبع الجرماني للحكاية، مثلما أرادت مدرسة بولتي – پوليڤكا bolte-Polivka أن يسود هذا الاعتقاد (محاولة فاشلة كذلك في باقي الحالات). ويمكن جمع الروايات الإسبانية تحت عناوين أخرى، مثل "الكونت هابيل" و"الأميرة وقميص ليلة الزفاف". وهناك تأكيد، في كل الروايات، على غرور الأميرة، التي ترفض عددا من المتقدمين للزواج منها لأنهم لم ينجحوا في إضحاكها، أو لم يصيبوا في تخمين مكان شامة أو شعرة في جسمها، أو لم يعالجوا مرضا لديها أو لأنهم لم يخترعوا لها حكاية غير قابلة للتصديق (هذا سبب يقوِّي علاقة الحكاية بحكاية "لغز الراعي").

ولابد أن حكاية "الناي الذي يجعل الجميع يرقصون" حفزت خيال الرواة كثيرا، مما جعل من الصعب بشكل خاص تحديد نموذجها الأصلي. فمن المفهوم أن احتمالات كثيرة جدا يمكن أن تنشأ من أداة ممنوحة ذات ميزة مشابهة (في بعض الأحيان لا يكون نايًا، وإنما كمان أو أيّ أداة أخرى)(١١).

---

(١١) من الجدير بالذكر أنه في منطقة شاسعة، تمتلك سمات متطابقة مع سمات لغة منطقة ليون ومجال تأثيرها، تكون للفظة "gaita" نفس معنى "flauta" ناي في القشتالية.

ومن جهة أخرى فإن القاسم المشترك فى الحكايات الثلاث لهذه المجموعة، يتمثل فى الغطرسة اللغوية الملحوظة والفكاهة البرازية، التى تتلاءم مع ذوق الأطفال والأشخاص البسطاء. ورغم قلة القدرات السردية التى تملكها هذه الحكايات، يمكنها أن تُطلِق موجات من الضحك، خاصة إذا كان عدد المستمعين كبيرا وكانوا فى حالة استرخاء.

(و) عجائب الدنيا الثلاث

وتحت هذا العنوان، فكرنا فى بناء نموذج أصلى ويكون الناتج، نصًا واحدًا، له روايات متعددة، كما فعلنا فى باقى الحالات. ومن المثير للدهشة، أن هذا التطبيق كان مستحيلا مع وفرة المواد المطلوبة من الحكاية نفسها[١٢]. ولأول مرة فى دراستنا نجد أنفسنا أمام ظاهرة ذات طبيعة فريدة، وهى وفرة حقيقية فى الحكايات، أكثر مما إعتدنا وجودها كنموذج أصلى، لها حبكة بسيطة جدا: ثلاثة إخوة (أربعة أحيانا) يجب أن يحصل كل منهم على أشياء غير عادية (وأحيانا واحد فقط، وعادة فى هذه الحالة تكون زهرة)، لمعالجة نقص أو جرم أولى: أب مريض أو مُفلس، أميرة مخطوفة، زوجان لهما وريثة واحدة... إلخ. وتُضاف حكايات أخرى ينتج عنها شىء ما تافه، أو هزلى، للمخطط. ويمكن إذن أن تكون العجائب ثلاث أو أربع وظائف جرى تعلُّمها بإتقان (حكاية "المهن الأربع")، أو القدرة التى تستحق التقدير فى حكاية "الحمار الذى يُخرج نقودا"، أو الأدوات الثلاث التى تُستخدم لإسعاد أميرة متقلِّبة المزاج (حكاية "الفتاة ذات الأزواج الثلاثة")، ومن بينها يظهر اللحاف الطائر، الذى يبدو لنا أنه اقتباس من البساط الخرافى الشرقى.

(١٢) حكايتنا رقم ٢٦ مستمدة من الحكاية رقم ١٤٣ عند إسبينوسا، مع إضافة بعض اللمسات. والحكاية رقم ٢٧ هى نموذج أصلى. (بالنسبة للثانية، زهرة الليليلا، يمكن أن نجد أسماء أخرى أكثر خيالية للزهرة). والحكاية رقم ٢٨ مستمدة من "خيمينيث". والحكاية رقم ٢٩، من يانو، ٥. وتتوافق الحكاية رقم ٣٠ مع الحكاية رقم ١٢٧، غير المنشورة، لإسبينوسا (الابن)، والحكاية رقم ٣١ مع حكاية من فيرنان كابايرو Fernán Caballero، بنفس العنوان، من مجموعة "عن السحر".

هل يوجد أكثر من حكاية أساسية بين كل تلك الحكايات، أم أننا لأول مرة أمام نموذج أصلى حقيقى ذى دلالة محدَّدة؟ والاحتمال الثانى هو الأرجح، وهو وجود فكرة- شكل قادرة على إنتاج العديد من الحكايات، من خلال بعض قواعد التنويع البسيطة، حيث يمكن للأصالة أن تحظى بارتياح أكبر عن النماذج الأصلية الأخرى.

(ز) الفتاة المطاردة

هذه المجموعة مكوَّنة من ثلاث حكايات رئيسية، حكاية "الفتاة التى من دون ذراعين"، وحكاية سندريلا، وحكاية سنو وايت (وتأتى الحكايتان الأخيرتان، بأسماء أخرى) بالإضافة إلى عدد كبير من الحكايات المتعلقة بها. وتشكّل كل هذه الحكايات ما يُسمى بمجموعة مواد الزنا بالمحارم، التى تناولناها بتوسع فى مكان آخر[١٣]. وهناك أيضا اسمَّيناها بالحكايات "شبه العجائبية"، فنادرا ما توجد فيها أداة سحرية بوظيفتها المعتادة لإصلاح النقص أو الجرم الأولى، والخلط بين الضحية والبطلة: وهما الاثنتان شخصية واحدة.

ونلخص هنا الحكايات التى تحمل إحدى أهم رسائل الحضارة لهذه الفترة التى تتحول فيها البشرية إلى مجتمع له أساس من الزاوج من خارج القبيلة. هذه هى الحكايات التى ترفض ممارسة زنا المحارم والتعددية فى الجنس، وتعلن مزايا الزواج من أفراد لا ينتمون إلى نفس العائلة؛ واعتمدت فى ذلك على استخدام تابو الذرية الشنيعة، التى تهدد النوع نفسه، إذا واصل ممارسة الزواج من داخل القبيلة. ونحن على مشارف المجتمع الذى نعرفه، بما فى ذلك ظهور الدولة، كبناء فوقى ينظم قوانين هذا المجتمع الجديد ويعاقب من ينتهكه. وستُشكل مطاردة الخطف والانتهاك (المحتوى الرمزى لمجموعة "الأميرة المسحورة") المجموعة الأخرى من القواعد المكملة لهذا المجتمع،

(13) "La خاصة تحت عنوان Los Cuentos maravillosos, Crítica, Barcelona, 1982. Rehabilitación de la familia", págs. 72-81.

بعيدا تماما عن الجماعات المتنقلة، والقبائل التى كانت تموت ومعها القطيع ومجتمعات العشائر. ومن المهم أيضا اختفاء الصيد كوسيلة أساسية للحياة.

ويمكن أن نجد حكاية "الفتاة التى بدون ذراعين" بأسماء أخرى: "الفتاة التى من دون يدين"، "بائع الفحم والشيطان"، و"كهف التنين" (عنوان نسيه بعض الجامعين)... إلخ. وهى حكاية عالمية، لكنها شعبية قبل كل شىء فى البلدان العربية. وهناك سبع وثلاثون رواية هيسبانية، وتُعزِّز تأثيرات دخول المسيحية فى معظم هذه الروايات تحوُّلَ الأب المرتكب لزنا المحارم إلى شيطان خاطف، وتشويهَ الفتاة لنفسها لصد الأب، برسمها علامة الصليب على نفسها. وحدث نفس الشىء فى بعض الأشعار، ومن بينها الأكثر شهرة "ديلجادينا"؛ وتحتوى على الفكرة الأولية لهذه الحكاية المشوشة، وتم التمكن من جمْعها منذ وقت قريب جدا من زمننا(١٤).

ونحن نستخدم اسم "سندريلا"، كمفهوم مؤثر تقريبا، فهذه التسمية لا تُطلق على الحكايات الشعبية الإسبانية. ونقوم بتضمين الآتى فيه: حكاية "الفساتين الثلاثة"(١٥)، وحكاية "النجمة الذهبية"، وحكاية "مُرَبِّى الديك الرومى فى القصر الملكى"، وحكاية "ماريا والحية الصغيرة"، وإلى حد ما حكاية "كما يُحِبُّ الطعامُ الملح". ويتم ذِكْر اسم "سندريلا" فى بعض الروايات فقط، حيث تكون الفتاة مجبرة على العيش بجانب "كومة الرماد". ومن الطبيعى فى رواياتنا أن يتم تكليفها برعاية الخنازير (ومن هنا أتت أسماء أخرى مثل سندريلا الخنزيرة) وتعاقبها زوجة أبيها بغسل أحشاء الذبيحة فى النهر. وفى مناسبة ما سيهديها الأب زهرة أو غُصنا من شجرة، ومغزى ذلك أنه سيتحول إلى "عصا الفضائل"، ويعتبر هذا اختبارا للعذرية، ستخرج الفتاة منه وتسيروراء مغامراتها حتى تجد زوجا لها. وهى، من ناحية أخرى، حكاية مسجلة فى مصر القديمة (حيث كانت ممارسة زواج المحارم عادة فى الأسر الملكية)؛ وهناك رواية

---

(14) Luis Cortés Leyendas, cuentos, y romances de Sanabria, pág. 67. هكذا، فى كتاب Vázquez.

(١٥) يُلخص پروپ Propp حكاية روسية مشابهة، بعنوان La vaina de piel de cerdo فى كتاب Las raíces históricas del cuento, pág. 218.

صينية من القرن التاسع، وخمس وعشرون روسية، وواحدة وعشرون دنماركية، وعشرون نرويجية، وثماني عشر إيطالية... إلخ. وسنووايت هي الفرع الثاني المستمدّ من "الفتاة التي من دون ذراعين" (يجب عدم أخذها بالمعنى التاريخي، وإنما بالمعنى البنائي)، هذه المرة بذريعة استياء الأم، التي تشعر بالغيرة من جمال ابنتها وتخشى من علاقة مع الأب أو الإخوة. لاحظْ أنه لم يحدث ولا مرة واحدة تقريبا في الحكايات الإسبانية الحديث عن "زوجة الأب"، وإنما الأم نفسها؛ وأن "الأقزام" في الروايات الشائعة هم في الحقيقة الإخوة، الذين تم طردهم من المسكن سابقا عندما وُلدت أخيرا الطفلة الوحيدة، وكانوا مجبرين على الاختباء في الغابة، حيث أصبحوا لصوصا أو غربانا، كما هي الحال في حكاية "الغربان السبعة"، بسبب لعنة الأب.

ويضيف البحث عن النار في حكاية "الأم الغيور" إلى هذه الرواية جاذبية خاصة، تُقوّي انطباع حكاية ما قبل التاريخ المستمرة إلى الآن فيما يتعلق بسنووايت. والقميص المسحور هو السمة الأساسية لحكاية "ماريكيبا وإخوتها السبعة". واستخدام العظام كمفتاح، مُستبدَلا بأحد أصابع الفتاة التي تبتره بنفسها (آثار شعائر التلقين الذكورية)، هو ما يميز حكاية "السبعة غربان"، إضافة إلى اختبار خياطة سبعة قمصان سحرية. وظهر أيضا إصبع مقطوع في حكاية "كما يُحِبُّ الطعامُ الملح"[١٦]، وهو موظفهنا كعلامة لتعرُّف الأب إلى ابنته، وهو شبيه بالإصبع التي ستفقدها بلانكافلور بسبب انسكاب قطرة من دمها. وكل هذه الوظائف تستدعي، إلى جانب العقدة الفرويدية، تشويه الذات عند البطلة في الحكاية الأصلية، "الفتاة التي من دون ذراعين".

وحكاية "العصفور الذي يتكلم، والشجرة التي تغني، والمياه الصفراء" حكاية معروفة ومنتشرة قديما. وتظهر في ألف ليلة وليلة، وتُعرف أيضا رواية بوذية لنفس هذه الحكاية من القرن الخامس. وقد اختبَر إسبينوسا خمسا وأربعين رواية هيسبانية. وتبرُز، بشكل عام، ثلاث مجموعات أساسية: ١. إسلامية وسلافية؛ ٢. غربية من أوروبا؛

(١٦) تظهر هذه الحكاية بعنوان آخر: "مثل الملح في الماء" وأسماء أخرى، حيث توجد دائما نفس العلاقة بين الملح وأي طعام آخر.

٣. هندية وأفريقية. ويجرى تقديم تحليل هذه الحكاية بصعوبة شديدة، فالكثير من دوافعها تتفرع إلى صلات معقدة بحكايات وأساطير أخرى. وبنفس البداية نجد الدافع الفلكلورى الكبير للأطفال المتروكين فى ماء النهر، مثل ساروكين، وموسى، وأماديس، وزيوس نفسه، الذى ستأكله بعد ذلك عنزة، وبدون أن نستطيع أن نصف أمه، ريا، بغير النية الطيبة لتجنب أن يؤكل الابن بواسطة أبيه نفسه، كرونو. وفى هذه الحكاية، ترتكب الجرم الخالتان الحقودتان فى حق الطفلين، وهما واثقتان أيضا من أن الأب سيأمر بقتلهما، عندما يعتقد أنهما وحشان. وتوجد هنا صلة مع نفس حدث الكلب المسلوخ فى حكاية "الفتاة التى من دون ذراعين". ولكل هذا، يمكننا أن نعتقد أن هذه الحكاية تلعب دور العامل المساعد فى التراث لحكايات أخرى كثيرة ومفاهيم حضارية، كان يمكن، من دونها، أن تنتهى بها الحال إلى الاختفاء. حيث تشير إطالتها (فربما كانت أطول حكاية فى الحكايات العجائبية) إلى هذا، تماما مثل عنوانها الطموح الذى جُمِع أحيانا باسم: "عصفور الحقيقة".

وأخيرا، ضممنا حكاية "ماريكييا فى مأمورية"، التى تبدو حكاية أحدث، حيث إنه فى زمانها كان مجتمع الزواج من خارج القبيلة قد ترسخ، لكن كانت هناك خشية من الاختطافات والانتهاكات كممارسات كانت لا تزال متواترة نسبيا. ومن هنا أتى حبس الفتيات، عندما يكون الأب مسافرا. والنهاية فى منتهى الجمال، مع تدخُّل دمية العسل (كما سنرى لاحقا فى نبات الريحان)، وهى تقدس انتصار الحب، وهذا شىء حديث إلى حد ما. وتُنسب العلاقة مع سنووايت للتنكر الذى استخدمه زعيم اللصوص فى شكل امرأة عجوز تبيع تينا ساماً أو منوِّماً[١٧].

(ح) الأطفال الشجعان

هذا القسم من الحكايات ليس كبيرا جدا، لكن القاسم المشترك فيه هو بطولة

---

(١٧) الحكايات أرقام ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢ نماذج أصلية. والحكايتان رقم ٣٧ و٤١ مستمدتان من "خيمينيث". والحكاية رقم ٤٣ من جيتشوت Guichot، BTPE,I.

طفل أو عدة أطفال (غالبا إخوة)، يقومون، بقدراتهم أو بمجرد رغبتهم البسيطة فى التميز، بإخراج أنفسهم من حالة التخلِّى عنهم أو يُشبعون الاحتياجات العائلية (الجوع بصورة أساسية) أو فى حالة كارثة عامة. وعادة ما يكون صِغَر هؤلاء الأبطال هو السمة السائدة، إما فى حد ذاتها وإما مقابل العمالقة التى تهدد بالتهامهم والتى تسخر منهم، ليسبدون الشعور بأىٍّ خطورة(١٨).

وحكاية "ميجيلين الشجاع" هى الرواية الأندلسية الأكثر تميُّزا من حكاية "عقلة الإصبع". وكثيرا ما تم الخلط بينها وبين حكاية "حُمُّص الصغير"، وهى حكاية أخرى غير عجائبية. وتنتمى الحكاية التى نتحدث عنها بوضوح إلى سلالة البطل الصغير المشهورة التى كتبها پيرّو.

وحكاية "الأخوان" حكاية نادرة أيضا فى إسپانيا. وقد انتبه سيرخيو إيرنانديث دى سوتو إلى روايات مشابهة برتغالية وبرازيلية، كانت مفهومة بوضوح بسبب قربها من روايتنا الأصلية من منطقة إكستريمادورا. وهى نفس الحكاية التى جعلها الأخوان جريم شهيرة، هانسيل وجريتيل، وهى متأقلمة تماما مع بيئتنا ودون أيّاقتباسات من الألمانية. وبالنسبة للباقى، فهى حكاية معروفة جدا فى كل أوروبا. وقد قام إسپينوسا بدراسة رواية تالفة إلى حد كبير، لحكاية "قصر خارانكون"، وهى فى الحقيقة مزيج من حكايتنا وحكاية "الغربان السبعة"، التى تنتمى، كما ستلاحظون، إلى فرع "سنووايت".

و"الساحر المبتدئ" هو العنوان الذى أعطيناه لروايتنا المعدلة، قليلا جدا، من حكاية "پيريكين" من أستورياس، التى جمعها دون أوريليو دى يانو. وأوحى لنا المحتوى وندرة هذه التيمة بيننا إلى تغيير العنوان. وقام الجامع نفسه أيضا بتعديل حكاية روسية مشابهة جدا بقلم أفاناسيى Afanásiev.

وحكاية "النبع الرملى" هى "سنووايت" فضولية. ونرى فى هذه الحكاية دافعا هيسپانيًا على نحو مميز، مثل الحياة التى يرمز لها بالشموع المشتعلة، وهى أساسية

(١٨) حكايات هذه المجموعة مستمدةٌ كالآتى: الحكاية رقم ٤٤، من "خيمينيث". والحكاية رقم ٤٥، من BTPE,X. والحكاية رقم ٤٦، من يانو، ١٠ (بعنوان پيريكين). والحكاية رقم ٤٧ أيضا من جيتشوت، BTPE,II، بعنوان أخر: الأميرة زهرة أو توماسيتو. والحكاية رقم ٤٨، من إسپينوسا (الابن)، ١١٦.

فى حكاية "الموت العراب". وأخيرا، نجد من جديد فى حكاية "شعرات الشيطان الثلاث" الأصل الأسطورى للبطل الذى يُنقذ من الماء فى سلة، ومثل كل سلالته، سيواجه مصائب كبيرة؛ مثل النبع الجاف والملك المستبد، التى تُظهر حالة الجامع فى القرى.

(ط) الميت الشكور

يوجد بصورة أساسية فى المعتقدات الروحانية الخاصة بحضارات عديدة تناسخ الروح، بمجرد أن يُفصل عن الجسد بعد الموت، فى أشكال أخرى للحياة. ولهذا، فمن المطلوب بشكل لا غنى عنه، أن يُدفن الجسد كما ينبغى. وعلى العكس، فالزوح التى تبقى تتجول إلى الأبد، بسبب عدم دفنها، يمكن أن تظهر فجأة وتتسبب فى كوارث، ومنها كوارث تُصيب الأحياء، ومن الأمثلة الجيدة على ذلك تراچيديا "أنتيجونا". وهذا المثال يُفسِّر كل هدنة كانوا يعقدونها وسط الحروب الكبيرة حتى يدفن كلُّ جانبٍ موتاه؛ وتنشأ أسطورة مهمة عن التناسخ فى ثقافات كثيرة؛ وتُؤدى إلى عبادة الموتى من الأقارب، وأخيرا، تُشكِّل جزءًا أساسيًا من حياة شعوب كثيرة، حتى يومنا هذا.

وقد اعتنقت المسيحية أيضا جزءًا من هذا الطقس، رغم أنها جردته من جوهره، مثل الإيمان بتناسخ الأرواح. ولهذا تشير الحكايات التى بين أيدينا، من بعيد، إلى هذه التيمة، واقعة فى بعض التفاهات والسمات الهزلية. محافظةً، مع ذلك، على ما هو أساسى فى البنية السردية، أىْ، امتنان الميت الذى تم دفنه بفضل إحسان البطل؛ وهو امتنان يظهر فى صورة مساعدة تتسم بالعجائبية لذلك البطل فى مغامراته اللاحقة. وتحافظ أيضا على الاختبارات التى يجب أن يخضع لها البطل، وكثيرا ما يكون اختبارا واحدا: أن يكون قادرا على التغلُّب على الخوف، طوال ليلة، فى مكان مهجور، حيث تتساقط أجزاء من الميت. وهذا ما خلق لبسًا بين هذه الحكايات وحكايات أخرى من مجموعةٍ ليست عجائبية وهى مجموعة "الصعاليك"، التى تشمل أحيانًا نفس هذا التسلسل للأحداث.

ولا بد أنها كانت حكايات منتشرة جدا فى القرن التاسع عشر الإسبانى، حتى بدايات القرن العشرين، لجودة رواياتها، رغم أنه جمعها كالعادة، فرنان كابابيرو

Fernán Caballero (الذى نقدمنه هنا خوان الجندى وبيّافلور)، وحكاية أخرى من أستوريا لدون أوريليو دى يانو، اسمها أيضا خوان الجندى، وهى أبسط من الحكايتين الأندلسيتين، لكنْ بملامح متميزة وحديثة، مثل إضافة البندقية؛ وهذا هو ما ينبئنا بحيوية الموضوع فى الوعى الشعبى. وكان تدخُّل السيد المسيح وسان پدرو فى الحكايات الثلاث نتيجةً لإضفاء الطابع المسيحى على الحكاية، كما أشرنا من قبل، وتكرُّر مكوِّن قديم رأيناه فى حكايات أخرى مثل حكاية "عندما كان السيد المسيح وسان پدرو يتجوّلان حول العالم"، بروح هزلية متكررة.

و"الحصان الأخضر" حكاية أندلسية أيضا، من مجموعة "خيمينيث"، وتضمّ تسلسل أحداث الحيوانات الشكور. وتنتمى حكاية "خوان دى كالايس" إلى مجموعة فلكلور پرواثا، التى ضمها دون إوخينيو دى أولاباريّا إلى "مكتبة التراث الشعبى"، ويمكننا اعتبارها جوهرة حقيقية، فهى حكاية معروفة إلى حد كبير فى باقى أوربا، وجمعها ستراپارولا Straparola، وكوسكين، وكامپبيل Campbell، وسيبييو Sébillot وتوجد روايات پولندية، وبرازيلية... إلخ(١٩).

(ى) كائنات خرافية

رغم أن هذه التسمية لا تُميِّز كثيرا فى مجال تكون فيه الدلالات الأسطورية شائعة جدا، غير أنه يبدو لنا أن بقاء شخصيات مثل ثيكلوپى (أوخانكانو فى كانتابريا، أوخانكو فى مناطق أخرى) يُضفى خصوصية ما والأونيكورنيو (أوريكويرنو، وربما كانت هذه التسمية لأنه كان من المعتقد أن لونه ذهبى)(٢٠). غير أن هناك سببا أكثر عمقا لمحاولة تكوين مجموعة منفصلة من هذه الحكايات، وهو قُرب هذه الحكايات من

---

(١٩) حكايات هذه المجموعة مستمدةٌ من: الحكاية رقم ٤٩ والحكاية رقم ٥٢، من فيرنان كاباييرو، بنفس العنوانين. والحكاية رقم ٥٠، من خيمينيث. والحكاية رقم ٥١، من BTPE,II.

(٢٠) الحكاية رقم ٥٣ مستمدة من سانتشيث پيريث، بعنوان آخر: "عدالة الساحرات الطيبات". والحكاية رقم ٥٤ مستمدة من أول تسلسل أحداث فى الحكاية رقم ١٥٧، من إسپينوسا. والحكاية رقم ٥٥ مستمدة من الحكاية رقم ١٥٥ لنفس المؤلف.

مفهوم الحكاية – الأسطورة التي عرفّها ليفي يستروس Lévi-Strauss، التي غالبا ما تُرضي هؤلاء الذين يعتقدون أن الحكاية الشعبية ليست أكثر من أسطورة جرى إضعافها؛ وهذه فرضية لا نشارك فيها، ولكنْ في حالات مثل الأوخانكو والأوريكويرنو يوجد مبرر واضح. ولكنْ لا يجب أن يغيب عن بالنا أن العلاقة، في هذه الحالات، ليست أبعد من مجرد ظهور هذه الشخصيات، حيث إن الحكايات التي تتدخل فيها هذه الشخصيات قليلا يجب أن نقارنها بالأساطير الخرافية المتطابقة معها؛ لأنه ليس من المؤكد أن المناطق التي جُمعت فيها، تستبدل مفهوم الـ"العين الواحدة"، بالأوخانكو[٢١]، و"القرن الواحد"، بالأوريكويرنو. فهناك، بلا شك، إضعاف، لكن ليس في التحويل من أسطورة إلى حكاية، بل في مجيئها في سياق شعبي ليس من السهل صقله. ويمكن أيضا التفكير في أساطير خالصة لا مناص من تحويلها إلى حكايات.

(ك) الطموح المعاقَب عليه

ليس من الغريب أن نجد في الحكايات الشعبية الإسبانية عقابا شديدا على الطموح المفرط لشخص مُنِحَ هبة عجائبية. هذا هو جوهر الحكاية الشهيرة "الصياد وزوجته"، للأخوين جريم. وفي إسبانيا، حيث كان إغراء تقديم المواعظ من خلال الحكايات الشعبية قويا جدا، لم يكونوا يستطيعون إغفال مثل تلك الحكايات، التي زخرفها المُنَقّحون بدورهم بطبيعة الحال. ورغم هذا، هناك روايات قاومت هجمات الابتذال ووصلت إلينا في حالة مقبولة، مثلما في حالة حكاية "عصفور الألماس"؛ أو يمكن حذف زخارفها، دون شكوك كبيرة، كما في حكاية "الأمنيات الثلاث" (الأمنيات، عند فرنان كاباييرو).

أولى هذه الحكايات، وهي رواية لدون سيرخيو إيرنانديث دي سوتو، تقدّم بصورة جيدة جدا رواية من إيكستريما دورا لحكاية ذات مذاق شرقي واضح، تتضّمن تسلسل

(٢١) "الأوخانكو" الذي نجده في الحكاية رقم ١٦٣ لإسبينوسا، داخل رواية لحكاية "بدرو المشاغب"، كانت له عينان اللتان سيقوم بطلنا الشعبي بإصابتهما كلتيهما بالعمى بإطلاق خرطوش بندقية عليهما. وبالتالي فإن المحتوى الأساسي لهذا الإجراء هو الحفاظ على وجود العنصر الخرافي: التسبُّب في العمى باستخدام سلاح ناري.

الأحداث الطريف للتين السحرى والقرون التى تظهر عند تناوله، وهذا الدافع (دافع التين) هو الذى يعطى عناوين لروايات فرنسية وروايات من أماكن أخرى. واشتهرت ثانيةً هذه الحكايات من خلال رواية پيرو، "الأمنيات الساحرة"، بمجرد أن تم تخفيفها من التعليقات الأخلاقية.

و"عصفور الألماس" حكاية نادرة بيننا، لأنها من الحكايات القليلة التى تحافظ وبحالة جيدة جدا على تيمة النَّهَم والتقيؤ، التى كانت جزءا مهما أيضا من طقوس التلقين.

(ل) الموت

وتتميز المجموعة التى اخترناها لنهاية الحكايات العجائبية بمذاق هيسپانى عميق: وهو الموت. وليس من الضرورى التوسع فى كَمْ وكيف تم ترميز هذا الرفيق المُلِحّ فى كل الأدب الإسبانى، فهذه التيمة معروفة جيدا. ومع هذا فإن ما يغيب هو عزلها والتعرف عليها فى الحكايات الشعبية، التى تستخدمها أيضا. وبين العديد من العناوين وجدنا (الموت العراب، وشجرة الخالة تعاسة، خوان السخى والموت، الموت عريس...) لقد اخترنا العنوانين الأولين، وفقا للحالة الجيدة التى وُجدت فيها رواياتهما، ولكنْ، أيضا، بسبب ثراء المحتوى الرمزى الذى سرعان ما سيختفى.

وتقترب الحكاية الأولى بشكل ملحوظ من بنية حكاية عجائبية حقيقية، حيث يكون الموت هو المانح لهبات خاصة؛ وتوجد، إضافة إلى ذلك، أميرةٌ يجب إنقاذها من السحر، وهو مرض فى هذه الحالة (قاتل، بما أنه لا يمكن أن يكون أقل من ذلك). وسيكون الصراع مريعا، لأن ابن المعمودية سيرغب فى عدم الطاعة فى حالات الأحكام الصارمة، متحديا أباه الروحى الصبور، الذى لم يعد أمامه فى النهاية إلا أن يأخذه أيضا. وبطريقة أخرى، سينتهى الأمر بأن تتنازع هبة الشفاء التى سلمها له، مع الموت نفسه حول سبب وجوده، مُشيِّدةً المملكة الصعبة للخلود لكل البشر.

وجوهر الصراع مُشابه فى الحكاية التالية، "شجرة الخالة تعاسة" (وابنها أمبروسيو، أىْ، الجوع)، حيث كادت الهبة الممنوحة للبطلة تعاسة أنت قتل الموت، وكان سيترتب على هذا، بصورة موصوفة بفجاجة، أكبر مصيبة للإنسان: تقدُّمٌ لا نهائى فى العمر[٢٢].

(٢) حكايات العادات

(م) أطفال فى خطر

كشف تحليل الحكايات العديدة التى يكون أبطالها أطفالا، عن أن العلاقة بين الحكايات العجائبية وحكايات العادات أكبر من أن تكون مجرد تشابه، حيث تصل إلى درجة التطابق فى الوظائف والمعنى. إن أهم الفروق الشكلية هو، فى المقام الأول، أن الأطفال فى الحكايات العجائبية أكثر فاعلية، بينما الأطفال فى حكايات العادات أكثر سلبية؛ فى الأولى، يُقاد الحدث بواسطة جرأة الأبطال الذين تم التخلِّى عنهم، بينما فى الثانية يكون على الأبطال أنفسهم أن يتأقلموا مع الظروف، سواء كانت سارّة أم غير سارّة.

ويبدو أيضا أن هناك ميلا إلى أن تكون بطلات حكايات العادات فتيات، بينما يكثر فى العجائبية وجود البطل الذكر الصغير. وإذا قارنًّا، على سبيل المثال، بين حكاية "الأخوان" (رقم ٤٥) وحكاية "بيت النوجة" (رقم ٦٣)، وهما روايتان – واحدة عجائبية وأخرى من العادات – لتيمة هانسيل وجريتيل، سنلاحظ تنوعا شبه مثالى بين بطولة الطفل والطفلة.

ومع هذا فإن مغزى فئة أو أخرى من الحكاية هو نفسه: إنقاذ طفل متروك لمصيره أو طفلين، بفضل صفات خاصة بهم، سواء أكانت إيجابية أم سلبية. وكمفتاح رمزى، من المؤكد أننا سنجد تحذيرا للأطفال بأنه سيكون عليهم، ذات يوم، الخروج من حماية الأبوين، بصرف النظر عن الأسباب؛ وهذا يعنى، محاولة إعدادهم ضد الخوف من أن

(٢٢) الحكاية رقم ٥٩ نموذجٌ أصلى. والحكاية رقم ٦٠ مستمدة من الحكاية رقم ٨٥، لإسبينوسا (الابن). وهناك رواية واحدة أخرى مقبولة لهذه الحكاية المهمة: الحكاية رقم ٤٦، ليانو، وإن كانت أبسط بكثير.

يصبحوا كبارا. وهذه هى الوظيفة الاجتماعية والنفسية للحكاية، والتناظر واضح أيضا بالنسبة لترتيب تسلسل أحداث الحكاية. فبعض الحكايات تنطلق من وضع نقص حاد لأسرة (نقص فى الموارد الاقتصادية أو نقص إنجاب الابن الذى سيطيل النسب)، التخلِّى عن الأطفال بسبب حادث مؤسف أو بإرادة الأبوين وإعادة التأهيل الاجتماعى للأطفال من خلال مغامراتهم (العجائبية أو غير العادية فى عالم عادى)(٢٣).

وحُمُّص الصغير أحد أحب الشخصيات للأطفال الإسبان، الذين لا يعرف أغلبهم رغم ذلك، إلا روايات راقية معدَّلة. وهى مستمدة من نسخ معدّلة للأطفال لحكاية أوربية قديمة، مشهورة بصورة خاصة فى إنجلترا، تحت عنوان "توم عقلة الإصبع"، وهى أصل التباسات غير قليلة فى التسمية. والواقع أن كلمة "Thumb" [الإنجليزية] تعنى بالإسبانية dedo pulgar أىْ إصبع الإبهام، ويكون أصل شخصيتنا فى بعض الأحيان ناتجا عن قيام أحد الأبوين (كما هو الحال فى إحدى الروايات الإسبانية) ببتر إصبع، ولهذا يبدو حتميا أن تُسَمَّى شخصيتنا "عقلة الإصبع". ورغم هذا، فإن تدخل الشخصية الفرنسية، التى تحمل نفس الاسم، عند پيرو، لكنْ تنتمى إلى حكاية مختلفة تماما، أفسح مجالا للعديد من الالتباسات، إلى درجة أن العديد من الأشخاص يطلقون اسم إحدى الشخصيتين على الأخرى دون تمييز.

ومن الضرورى توضيح هذه المسألة بشكل قاطع. فعقلة الإصبع الفرنسى (الإبهام الصغير) ليس له أىّ علاقة بعقلة الإصبع الإنجليزى، ومع هذا تمت تسميتهما بنفس الطريقة. والشخصية الإسبانية التى تُناظر الشخصية الفرنسية هى شخصيتنا "ميجيلين الشجاع". وتتوافق الحكاية الإنجليزية، بدورها، مع حكايتنا "حُمُّص الصغير"، وهى حكاية بطل، صغير جدا أيضا، فبعد أن التهمه حيوان أو اثنان، سيصير غنيا عندما يفاجئ بعض اللصوص أثناء توزيع الغنيمة.

---

(٢٣) لا تزال الحالة المحدَّدة للحكايات التى تكون موضوعاتها العامة لأطفال فى خطر، شعبية إلى حد كبير (فى "خيمينيث" توجد رواية، وفى لاريا، حكايات من أراجون، توجد رواية أخرى) كاد يموت فيها الأخ الصغير على يد أمه نفسها ويُلْقَى به فى البئر، حيث ستنقذه أخته الصغيرة.

وتدعونا شعبية الرواية الراقية من "عقلة الإصبع" عند پيرّو فى إسبانيا بعدم استخدام هذا الاسم لشخصية الحكاية الأخرى، رغم أن حقه الأصيل ينسجم معه. لقد فضلنا الاحتفاظ باسم حُمُّص الصغير، المنتشر جدا أيضا فى إسبانيا، رغم أن رواية سانتشيث پيريث هى التى أبرزته شعبيا، فى الحقيقة. وأخيرا نقول إن الاسم الحقيقى الشعبى لحُمُّص الصغير فى إسبانيا متنوع جدا: پيريكّو، كمّون، البرغوث الصغير، وأسماء أخرى(٢٤).

سنجد أنفسنا هنا مرة أخرى مع نفس بداية الحكايات التى تمثّل التراچيديا الزوجية بسبب عدم الإنجاب، مع تسليط الضوء على الأزمة التى يمثلها هذا وفق القيَم مجتمع زراعى. وانطلاقا من هذه المعطيات، من السهل إدخال حمص الصغير فى فلك الأبطال البارزين بحكم ولادتهم عن طريق إجبار الآلهة، كما فى حالة خوان ونصف، وبطل بلانكافلور، وحالة التوأمين فى قلعة اللى يروح مايرجعش. وسيكون على هذه الشخصيات طوال وجودهم أن يثبتوا استحقاقهم لهذا، محققين كل أنواع الإنجازات. وستكون إنجازات عجائبية فى الحكايات العجائبية، وأفعال غير عادية فى الأخرى. والروايات الهيسپانية متشابهة إلى حد كبير. ولا نجد سوى خط درامى آخر مختلف يؤثر على طريقة اختفاء حمص الصغير أمام عينىْ أبيه، وهذه نتيجة فى بعض الروايات لأنه داسته الأرجل فانغرز فى روث الثيران عميقا.

أما تسلسل الأحداث الثانى، فقد اختفى عمليا (كما يحدث فى كثير من الحكايات الأخرى)، غير أن وجوده غير مشكوك فيه. ولا يزال خواكين دياث **Joaquín Díaz** يقدّمها فى رواية له من هذه الحكاية، وإن كانت ضعيفة جدا، فى مجموعته للحكايات القشتالية، التى نُشرت فى ١٩٨٣

وتمثل حكاية "الكيس الذى يُغَنِّى"إحدى الحكايات الأكثر حيوية التى استمرّت إلى الآن. وإذا كان يجب أن نشير إلى الأكثر شعبية وانتشارا بين الحكايات الإسبانية، فسيكون من الصعب التوصل إلى واحدة أكثر من هذه. وهذه الحكاية هيسپانية جدا مثل الشخصية الخرافية لحكاية "العم صاحب الكيس" الذى يحمل الأطفال، وهذه الحكاية

(٢٤) ومنها "ماريا مثل فص الثوم" فى بعض الروايات النادرة، حيث تكون الشخصية طفلة.

تمثيل لهذه الشخصية. وهذا لا يعنى أن هذه الحكاية نشأت بيننا، ولكنها تطورت على أرضنا أكثر من أى مكان آخر، بما فى ذلك مناطق مجاورة لنفس المنطقة. والأساس موجود فى روايات شرقية متنوعة، حيث يتم اختطاف شابة حسنة المظهر تذهب لإحضار ماء من النبع. ويكون مرتكب الجرم إما "ناسكا زائفا أو تاجرا، وقد وجد تحذير الفتيات من الابتعاد عن مسكنهن، لوجود مثل تلك المخاطر فى هذه الحكاية، المكان المثالى، واستحوذ على كل المساحة التى كان يمكن أن تشغلها حكايات أخرى مشابهة، مثل حكاية "ذات الرداء الأحمر"، وإنْ كانت لم تنشأ بالطبع فى إسبانيا كحكاية شعبية بصورة حقيقية. إن عدم وجود أى رواية يكون فيها المخطوف صبيا جعلنا نستبعد تفسير التحليل النفسى، الذى أراد أن يرى فى "الكيس الذى يُغنّى" رمزا لرحم الأم ودراما الولادة.

(ن) صعاليك

هذه هى المجموعة التى تحتوى على أكثر عدد من الحكايات فى هذا الجزء، بما أنه لا يمكن أن يكون شيئا غير ذلك، لأنها فى الواقع هى الحكايات هى الأكثر وفرة، والأسهل فى الحصول عليها أيضا. وقد أضفنا إلى النوع من الصعاليك، التقليدى إلى حد ما، القساوسة والرهبان المتراخين[٢٥].

والحكاية المسلية "بدرو المشاغب"، صعلوك الصعاليك، عالمية من الناحية العملية، وأراد دائما أن يكون النموذج المثالى لكل المغامرات والصعلكة الممكنة. ولهذا فكل رواية تقدم حِيَلاً مختلفة جدا، وقد صارت بعضها مجرد نكت أو نوادر.

والمحافظة على قدر من التماسك فى هذه الحكاية، من الضرورى تفريغ الشخصية من كل مدلول على البدانة أو البطولة، وقصره بشكل تام على دهائه وتوقه للانتقام.

(٢٥) تم نشر حكاية "تنحَّ جانبًا" فى "الفولكلور الأندلسى" El folklore andaluz لدون أنطونيو ألباريث أراندا don Antonio Álvarez Aranda، من دائرة ماتشادو وألباريث؛ وتمت إعادة نشرها فى مجموعة الاتار Colección Alatar, Madrid, 1981, págs. 404-5 وحكاية "الطلاب الأربعة" اقتباسٌ خفيف من حكاية إسبينوسا رقم ١٩٧.

لكن بطلنا الاستثنائى (الذى يُسمى أحيانا خوانييو صاحب المؤامرات، وأيضا مع بعض التشويهات أورديمالاس (الباحث عن الأذى) "Urdemalas"، اسمه الأدبى الحقيقى)، لا ينتمى فقط إلى سلالة خوان، وإنما إلى الإرث الأكثر ثراءً وقدما للأدب الخرافى، مع تسلسل أحداث العملاق الأعور، الذى يسهل التعرف إليه، وإن كان متدهورا جدا فى معظم الروايات الشعبية(٢٦). وهكذا، مرة أخرى، نشهد انتقال مادة عجائبية إلى أخرى ليست كذلك، وإنْ كانت الثانية تحتفظ بأحد الدوافع الجوهرية لأصلها، مثل معظم حكايات العادات.

وقد استحوذت الحكاية الملغزة عن دمية القطران، أو الصمغ (The Tar-Baby story بالإنجليزية)، على اهتمام كبير من جانب العديد من الدارسين، أوريليو إسپينوسا – المدافع عن الأصل الهندى – ونورمان براون Norman Brown – المدافع عن الأصل الأفريقى–. ويبدو البطل متناقضا فى بعض الأحيان؛ وليس معروفا ما إذا كان مجرما (هناك روايات يظهر فيها هكذا) أو كائنا غير مريح فى عالم تم فيه إحلال نظام اجتماعى مستقر إلى حد ما محل القوة البدنية والبطولة. وتعطى الحكاية انطباعا بأنها تحاول أن تُنهى المرحلة البطولية فى الإنسانية بصورة رمزية، وبفضلها حصلت على قيمة ثقافية لا تُقدَّر بثمن، لم يتناولها أىُّ عمل من الأعمال ذات الطبيعة المقارنة.

والتشابه بينها وبين خوان الدب وخوان بلا خوف واضح إلى درجة أنه يمكن أن يصل إلى حالة هجين، بمعنى بنائى عميق، بالإضافة إلى الاختلاطات العارضة بين تلك الحكايتين والحكاية التى نتناولها هنا. وهى تتناول إنتاج بطل، ينتزع من حكاية "خوان الدب" كل قيمتها البطولية، ويجردها من كل شخصياتها العجائبية، ولكنْ مع الاحتفاظ بما لا غنًى عنه: القوة البدنية والشجاعة. وهذا الملمح الثانى يذهب بنا إلى حكاية "خوان بلا خوف"، وشخصيتها التى لا تزيد عن كونها مدَّعية للشجاعة. ومن هنا تنشأ هذه الشخصية المتناقضة لبطلنا "خوان ونصف"(٢٧)، الذى تحوِّله قوته البدنية وشهيته التى لا تشبع إلى كائن مزعج لا مبرِّر لوجوده، وستنتهى بها الحال إلى أن يقوم بمجرد

(٢٦) رأينا ذلك أيضا فى "الأوخانكو" و"الأوخانكانو".
(٢٧) أخذنا الاسم من رواية من أستوريا لأوريليو دى يانو، حكاية رقم ١٨٩.

استعراض وضعه الطبيعي. ويبدو من المنطقى أن تكون هذه الغرابة نفسها فى المعنى وكاريزما الشخصية هى التى أضعفت هذه الحكاية بصورة غير عادية، إلى درجة أنه لا تبقى منه بالكاد، فى الكثير من الروايات، أكثر من حيلة دمية الصمغ.

وحكاية "خوان بلا خوف"، الشخصية الاستثنائية، التى لا يمكنها أن تعرف الخوف، منتشرة جدا فى كل أوربا، وكذلك فى أمريكا، حيث وجدت روايات من أصل أفريقى وأخرى يمكن أن تكون من أصل هندى.

ويمكن أن نجد نهايتين مختلفتين جدا: واحدة، هى نهاية نموذجنا الأصلى (الأكثر انتشارا)، والأخرى هى نهاية الساحرة التى قطعت رأس بطلنا ووضعته على رأسها ناظرة إلى الوراء، الأمر الذى يتسبب فى رعب غير عادى لخوان المسكين. ومن الجدير بالذكر أن تسلسل أحداث الميت الذى يتساقط كأشلاء يشبه كثيرا حكايات أخرى فى المجموعة العجائبية "الميت الشكور". إنه إذن تسلسل أحداث متعدد الاستخدام للعديد من فئات الحكايات، والقاسم المشترك بينها هو اختبار لشجاعة خوان بدوره، ومكافأته عليها.

كما أن الحكاية الأوربية الشهيرة، المعروفة عند المستويات الإسبانية الراقية بحكاية "الخياط الشجاع"، حكاية شعبية قديمة جدا فى إسبانيا، وإن لم تكن منتشرة جدا مثل حكايات أخرى تدور فى نفس الفلك.

وإذا نظرنا، رغم ذلك، من وجهة نظر هسيپانية خالصة، فإننا يمكن بالكاد أن نقول إن هذا الإسكافى هو الأقرب إلى شخصية الصعاليك فى تراثنا الأدبى اللامع[٢٨]. وليس هناك أثر للطبيعة الخرافية فيه، كما أنه ليس شجاعا حقا، ولكنه يتصدر فى أصعب المغامرات دون أن يكون معه إلا حكمته وخيلاؤه، يكذب ويخدع مثل الشخصيات الأكثر شهرة فى أدب الصعلكة.

وتمثل حكاية "الأسئلة الثلاثة" إحدى أفضل الحكايات المشتركة بين الأدب الشعبى والأدب الراقى، وفى هذا الأخير نجد المجموعة الواسعة للقساوسة المثيرين للسخرية، والمتراخين، والذين تعرضوا لأذًى، والتى كانتتدور فى أجواء رهبانية وجامعية منذ

---

(٢٨) إلى حد أنه يقال إن "بيلارمينو وأپولونيو" Belarmino y Apolonio رواية پيريث دى أيالا Pérez de Ayala، أقرب إلى سيرة ساخرة أخيرة لسلالة كل الإسكافيين فى الأدب الإسبانى.

العصور الوسطى إلى يومنا هذا تقريبا. التى انشغل بها آل تيمونيدا Los Timoneda، وتوريّس نارّو Torres Naharro وآخرون. ورغم ذلك، فإن النموذج الأصلى أكثر قدما بكثير وله مذاق شرقى مميز، على الأقل كما أعاد بناءه والتر أندرسون Walter Anderson فى دراسة شهيرة مكونة من ٤٥٠ صفحة، منشورة فى هيلسينكى فى ١٩٢٣. وهى ترويهناك حكاية ملك يحسد رعاياه على حظهم، وهذه هى بداية الآلية الحتمية للأسئلة الثلاثة: كم نجمة فى السماء؟ أين يقع مركز الأرض؟ وخاصة، السؤال الأخير: ماذا يفعل الرب؟، وهذا ما أجاب عليه الرجل الذكى: "لأجيب عليك أحتاج إلى أن تعطينى ملابسك وسيفك، وأن تتركنى أجلس على عرشك". وعندما فعل هذا، قطع رأس الملك بنفس السيف.

والمسافة كبيرة التى توجد بين الخرافة الشرقية، بانعكاسها العميق، والحكاية الإسبانية الطريفة (حيث توجد، بالطبع، روايات تكون فيها العلاقة بين إحدى الشخصيات النبيلة وخادمه أو بين رجل عسكرى له رتبة عالية وآخر له رتبة أدنى) وهاتان وجها عملة واحدة، مع أنهما متفاوتتان بوضوح بفضل معالجتين شكليتين مختلفتين. وإذا وضعناهما تحت الضوء نجد أنهما متطابقتان: سخرية من السلطة المطلقة والفساد، ومديح فى الدهاء الشعبى.

(س) فقراء وأغنياء

قامت حكايات العادات بتجميع هذا العداء العنيد تحت أشكال متنوعة، من بينها هذه الأنواع الثلاثة الأكثر شيوعا:

أولاً: البطلان فقيران، غير أنه يوجد بينهما اختلاف اجتماعى (حالة حكاية "الإسكافى والخياط"). **ثانيًا**: البطلان رفيقان، أحدهما غنى والآخر فقير (مثل حالة حكاية "الرفيقان"). **ثالثًا**: البطلان أخوان (مثل حكاية "الأخوان ودستة اللصوص").

و"الرفيقان" حكاية منتشرة فى كل أوربا، ومثل حكاية "الطلبات الخمسة"[٢٩]، فهى تعالج بطريقة هزلية العلاقة الاجتماعية الوحيدة، الموجودة على الأقل فى البلدان الكاثوليكية التى تحاول إنقاذ حاجز الطبقات الاجتماعية. والواقع، أن الكفالة نوع من

(٢٩) حكاية منشورة فى El folklore frexnense, (1883, págs. 274-276)، وهى مستمدة من برينا llerena وجُمِعت فى "La mujer de los cuentos".

تقاليد الالتزام، وهى تُكوِّن شخصية الغنى، الذى يحمى أطفال الفقير. وهنا، إضافة إلى ذلك، أراد هذا التقليد إنقاذ اختلافات أخرى ذات طابع عنصرى. ليست مصادر السخرية، فيها كلها، إلا طرقا بارعة للنقد الاجتماعى لهذ التقليد.

وحكاية "الإسكافى والخياط" نوع أكثر هيسپانية وأقل عالمية، بطبيعة الحال، وفيها يقرر صعلوكٌ أنْ يتظاهر بأنه ميت حتى يتهرب من دفع الدين الذى عليه. ونرى فيها أيضا سخرية من الشخص الأغنى الذى أضاع، وقد أعمته محاولة استعادة المال، فرصة أن يصير غنيا بالفعل على حساب بعض اللصوص.

وهذه الحكاية المنتشرة جدا من نوع حكاية "على بابا والأربعين حرامى" تطرح فى الروايات الهيسپانية مشكلة حادة، فيما يتعلق بحالتها الشعبية. هل هى حكاية من التراث الشعبى الحقيقى، أم أنه تم تحويلها إلى شعبية انطلاقا من روايات راقية، أو ترجمات متأخرة عن اللغة العربية؟ وقد وقعنا فى مرات قليلة كما فى هذه المناسبة فى هوة عميقة فى مناقشة موضوع بهذه الأهمية. وقد وصلنا، من خلال تحليله بقدر كبير من التركيز، إلى الاستنتاج التالى:

من الواضح أنه يوجد – أو كانت توجد فى إسپانيا روايتان مختلفتان للتيمة العامة لعلى بابا مقدمة من خلال حكاية من إكستريمادورا لكوريّل[٣٠] وأخرى من سوريا (مقاطعة فى شمال- وسط إسبانيا- المترجمة) لإسپينوسا (رقم ١٧٥). إحداهما، وهى الأولى، لا تنتمى إلى نوع رواية ألف ليلة وليلة. والأخرى، على الأقل، مثيرة للشك. ولا يمكن أن يصل تأثير راقٍ لروايات متأخرة جدا، وغالبا ما تكون ترجمات عن الفرنسية، إلى رواة شعبيين حقا. ومن الأفضل التفكير فى تيار من الروايات الشعبية للحكاية، يرتبط بوجود الثقافة الإسلامية فى إسبانيا خلال ثمانية قرون، على الأقل بالنسبة لواحدة من الروايتين المسجلتين.

(٣٠) هذه الرواية، "الأخوان"، هى أساس الحكاية التى نشرناها فى هذا الجزء.

وحكاية "الإسكافى الفقير" بسيطة جدا فى بنيتها كما أنها بسيطة جدا فى الموعظة التى تريد أن نخرج بها فيما يدور حول الغنىّ التعيس والفقير السعيد. ونحن قريبون جدا من الحكايات الأخلاقية، الخاصة بحالة متقدمة من التحضُّر (وإن كنا قد وجدنا أول رواية راقية لهذه الحكاية عند [الشاعر الإغريقى] أناكريونتى Anacreonte، وبالنسبة لمحتواها، فهو مناسب لنموذج مجتمع طبقى مستقر بصورة راسخة. ومع هذا فإنه لم يتخلَّ عن تقليدٍ ذى محتويات قديمة، وهو فى هذه الحالة، يشير، مرة أخرى، إلى الصراع بشأن انعدام النسل للأزواج ذوى الأملاك. لاحظْ أن الزوجين الغنيين فى الحكاية ليس لديهما أطفال؛ وعلى العكس، فالزوجان الفقيران لديهما سبعة أطفال، ولا يزالان ينتظران ثامنا.

(ع) نساء مشاكسات

جمعنا تحت هذا العنوان كل الحكايات التى يكون القاسم المشترك بينها هو خضوع المرأة للرجل. وتتعمق جذور هذا التقليد فى أصول الثقافة الهند – أوربية الواسعة.

لقد تحولت المرأة إلى ضمان للنسب وانتقال الميراث، خاصة فى مجالات التاج الملكى، وقد تم توارث هذا خلال زمن طويل، عبر الأميرات، إلى أزواج بناتهن أو إلى الأحفاد الذكور[٣١].

ولكنْ يعطى التخصيب، والحمل، والولادة المرأة قوة غامضة فى عين الرجل، الذى لا يفهم كيف تحدث كل هذه العملية، ولهذا يعتقد أن مَنْ يقوم بتخصيب زوجته ليلة الزفاف هو أحد الأسلاف الطوطميين. والحقيقة أن هناك شعوبًا كثيرة تفرض الامتناع عن ممارسة الجنس فى الليلة الأولى، وتستغل هذه الممارسة فى تعذيب المرأة وقمعها.

وينتج عن خلاصة هذه العوامل ما يُعرِّفه بعض الأنثروبولوجيين بـ"خوف الرجل من القدرة الخفية للمرأة". فالمرأة يُنظر إليها وكأنها تقريبا كائن مختلف ومُخيف يجب قهره فى أسرع وقت ممكن. والنساء هن حافظات الصفات الغامضة للنوع، وهن المنجبات الحقيقيات، والجزء الأقوى (بيولوجيًا). والواقع أنه بينما يعيش الرجال بطريقة

(٣١) ربما تكون الحالة التاريخية الأقدم هى توت عنخ آمون، زوج ابنة الفرعون أخناتون.

مجردة نوعا ما بخصوص انتمائهم إلى النوع البشرى، تكون النساء هى النوع نفسه، فهن يتضامَنَّ فيما بينهن بصورة أقوى بكثير، والحقيقة أنهن يتوصلن إلى طرق سرية فى السيطرة على الرجال.

وفى النزاع الصامت الدائر بين التراث الراقى والفولكلور، صارت حكاية "المرأة المتسلطة" امتيازا للمجموعات الأدبية، بدءًا من ألف ليلة وليلة وأكملها دون خوان مانويل don Juan Manuel، وبوكاتشيو Boccaccio، وإستراپارولا، ولوپى Lope، وشكسپير Shakespeare. وتوجد أيضا روايات فى كل المناطق المتشابهة جدا أيديولوجيًا: روح متمردة كارهة للنساء، وفقا للنوادر المختارة. وتشكّل هذه النوادر نوعين من الحكاية: يجعل نوع منهما ثلاثة حيوانات تموت، بعد أن طلب منها سيدها على التوالى أن تُقدِّم له هذه الخدمة أو تلك، وهى خدمة ستقوم الزوجة الخائفة بتنفيذها بعد تفكير عميق فى النهاية؛ وفى النوع الآخر يكون الضحية حيوانا واحدا (حصانا أو حمارا)، وينجح من خلال ثلاثة اختبارات "منزلية" فى قمع المرأة.

ويبدو أن النوع الأول ينتمى أكثر إلى التراث العربى، وهو النوع الذى جمعه دون خوان مانويل. ونعرف منه نسخة شعبية واحدة فقط[٣٢]. وهو يتحدث عن تعايش التيارين على أرضنا: العربى- الشرقى واللاتينى، على الأقل فى هذه الحكاية. والرواية الأخرى لكورتيس باثكيث Cortés Vázquez (حكاية رقم ١٥) نادرة أيضا، حيث يحدث تحوُّل أسبوعى بالتناوب بين الزوجين.

ولا تظهر الاختبارات الثلاثة للنوع الثانى بشكل كامل فى أىّ نسخة مُجمَّعة، ولكنْ لم يكن من الصعب إعادة بنائها، حيث إنها كانت حاجة بنيوية واضحة جدا. وتحتوى أغلب الروايات على اختبار أو اختبارين فقط.

وتروى "فى السر" الحكاية القديمة جدا والعالمية تقريبا للرجل الذى أراد أن يختبر حكمة زوجته. وهذه إحدى الحكايات الكثيرة التى تحاول اختبار الرذائل والعيوب التقليدية للمرأة.

(٣٢) حكاية رقم ١٦ من سلامنكا لكورتيس باثكيث.

وقد وصل إلينا نوعان أساسيان من هذه الحكاية: النوع الذى قمنا نحن بإعادة بنائه، الذى يبدو أنه الأكثر انتشارا، والآخر هو نوع السكير الذى يبرر عودته متأخرا إلى البيت، مرتجلا كعذر، أنه قتل شخصا ودفنه فى الحظيرة. وسيكون الميت كلبا، أو خنزيرا، أو أى حيوان آخر، وسيتم اكتشاف هذا عندما يحملون المجرم المزعوم إلى المشنقة. ويتشابه دائما عقاب المرأة، التى لا يمكنها أن تحفظ "السر". ورواية أوريليو دى يانو (الحكاية رقم ١٢٤) أكثر ندرة، وذات طابع أكثر هزلية، حيث يكون السر المنشور ليس أقل من أن الزوج يلد غرابا، أو اثنين، أو ثلاثة، فالعدد يزيد وفقاً لانتشار النميمة.

وبالنسبة لحكاية "الزوجة الكسول" علينا أن نذكر أنه يوجد نوع آخر فى إسبانيا، وإنْ كان قد اختفى، وهو يختلف بشكل أساسى فى النهاية. حيث يضرب الزوج زوجته ضربة هائلة، لكنه يأخذها بعد ذلك إلى الطبيب الدجال أو الطبيب ليعالج لها ذراعها أو أىّ جزء آخر من جسمها، مكسور من أثر الضربة. ومقابلَ هذا العلاج، يدفع الزوج مبلغا من المال ويرفض أخذ الباقى مؤكِّدا: "احتفظْ حضرتك بالباقى لزيارة أخرى"(٣٣).

و"المرأة التى لا تأكل مع زوجها أبدا" حكاية أخرى منتشرة جدا، تقدِّم فى بعض الأحيان أنماطا غير معتادة، مثل الحكاية رقم ٤٥ لإسبينوسا، حيث يكون البطلان هما القسيس وخادمته (علاقات يراها الناس pueblo مشابهة لعلاقة الزوج بالزوجة). وتكاد الحكايتان الأخيرتان فى المجموعة، حكاية "أنا اثنان وأنتِ واحدة" وحكاية "لا تقرَبوه من شجرة الكستناء"، حكايتين بصورة خالصة.

ومن بين الحكايات الأصغر التى لها نفس التيمة، سنذكر حكايتين جمعهما من أراجون أركاديو لاريّا Arcadio Larrea: حكاية "المرأة التى لا تتشاجر مع زوجها" وحكاية "الحصان ذو الجبين الساطع". الحكاية الأولى هى الرواية المقابلة للمرأة المتسلطة. فالزوجة مُنقادة جدا لزوجها إلى درجة أنه فشل فى إغضابها بأىّ طريقة. وعندما شعر الزوج بالإهانة من فشله وعدم معرفته لأىّ اختبار يُخضعها، طلب منها أن

(٣٣) حكايتنا تعديل خفيف لرواية يانو، zurronazol، الحكاية رقم ١٢٣.

تتناول فضلات ديك، كان قد تم وضعه، عن طريق المصادفة، على الطاولة قبل ذلك بقليل وكانت المرأة قد غطته بحذر بطبق مقلوب على وجهه. وتضع الحكاية الثانية يسوع والقديس بدرو فى مأزق، وهذه هواية منتشرة جدا فى الحكايات الشعبية الإسبانية. حسنا، يقرر هنا ساكنا السماء النزول إلى الأرض ليختبرا فى أى بيوت يسيطر الرجل وفى أى بيوت تسيطر المرأة. وأينما يسيطر الرجل، سيتركا كهدية وعلامة حصانا؛ وحيثما تسيطر المرأة، سيتركا بقرة. وبعد رحلة طويلة مرا فيها على كل بيوت القرية، ودون أن يستطيعا ترك حصان واحد، سيجدا فى النهاية بيتا تعترف فيه الزوجة بكل صراحة بأن زوجها يسيطر عليها. ولكنْ عندما كانا على وشك تسليمهما الحصان، تصر المرأة على ألا يكون من اختيار السماويَّيْن، وإنما من اختيارها هى، وتكون على جبينه نجمة ساطعة. وبدأت تلحّ على زوجها وعندئذ قال المسيح: "بدرو، أعطهما بقرة، وهيا بنا لنصعد إلى السماء"(٣٤).

(ف) الحمقى

رأينا ثلاثة أنواع رئيسية من شخصيات "خوان": العجائبية، والشجاعة، والحمقاء، مع صفات انتقال مهمة من أحدها إلى الآخر. وبهذا تمثل القوة الأسطورية – الهرقلية –، التى تجمع بين حكاية "خوان الدب" وحكاية "خوان ونصف"، والعجرفة، التى تظهر فى ذلك الأخير، شرطا أساسيا فى حكاية "خوان بلا خوف". غير أنه توجد خوانات أخرى، مثل حكاية "خوان الجندى"، وهو خليط من تلك الأنواع الأساسية.

وتبقى، أخيرا، الخوانات الحمقاء، التى تنتج عن إنهاء موضوعين أساسيين: صراعات الوراثة وصراعات مؤسسات الزواج الجديدة. وهى انحطاط لحكايات الصعاليك. والدليل على هذا الانحطاط، فى المستوى السردى، أنه يمكن تفكيك أغلب حكايات الحمقى إلى نوادر مضحكة، ونكات وطرائف.

وينقسم الحمقى فى الحكايات الشعبية إلى نوعين أساسيين: حمقى بلا علاج

(34) "Cuentos de Aragón". Revista de Dialectología y Tradiciones Populares, III, 1947.

وحمقى لكنْ أذكياء. وكثيرا ما يدخل النوع الثانى فى منطقة الصعاليك، مما يجعل من الصعب تمييز حكاية لهذه الشخصية بصورة كاملة، مثل حكايتنا "خوان صاحب البقرة".

كما تُشكِّل مجموعة الهُراء والمواقف الهزلية التى يجد حمقانا، الذين لا جدوى منهم، أنفسهم غارقين فيها، صعوبة حقيقية عند محاولة تحديد ثلاث أو أربع حكايات أساسية. وقد بدا لنا أنها يمكن أن تكون حكاية "الفتيات ذوات الرداء الأسود"، وحكاية "الكمية، بوشل" وحكاية "عندما كانت تمطر زلابيا"، ولكنْ لا نستبعد وجود احتمالات أخرى ذات صلة.

(ص) حكايات الرعب

تشترك كل حكايات الرعب فى علاقتها بالعالم الآخر، رغم أنها ذات بنية مختلفة، ممثلة من خلال وسيط يعود إلى هذا العالم للتخلص من ديونه الأخلاقية، والحصول على تعويض مُستحقٍ من الذين تركوه يدفن بشكل سيئ أو أزعجوا راحته الأبدية، أو استحضره الأحياء من خلال ممارسة خاصة بآكلى لحوم البشر. وتنتمى حكاية "عصا أنف وربع جسد" (...)[٣٥] وحكاية "روح القسيس" إلى التيمة الأولى الخاصة بالديون الأخلاقية. وتنتمى حكاية "السكران والجمجمة" وحكاية "رأس العجل" إلى التيمة الثانية – الخاصة بالميت الذى تمت الإساءة إليه أو دفنه بشكل سيئ –. وأخيرا، تنتمى حكاية "آه يا أمى، من تكون هذه!" إلى التيمة الثالثة، وهى تيمة الميت الذى تم استحضاره.

ومن الخطأ أن نظن أن حكاية دون خوان، الموجودة على التخوم بين الحكاية والأسطورة، والتيتنتمى حكاية "السكران والجمجمة" إلى مجموعتها، من أصل إسبانى.

ومثل جميع الحكايات التى تقترض من منبع أخلاقى، فهى أيضا مشتركة فى التراث الشعبى والراقى، وهذا الأخير هو المسئول عن أنماطها الملهمة الأكثر تنوعا،

---

(٣٥) لقد حالفنا الحظ فى جمع هذه الحكاية، المستمدة من راوية عمرها ٧٣ عاما، من منطقة فريجينال دى لا سييرا، بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٨٣.

وإن كانت لها نهايتان مختلفتان: تتم معاقبة الساخر بجهنم- فى بعض الروايات- بينما يتم إنقاذه فى أخرى، خاصة بسبب التحذير الذى يتلقاه، ويتحول إلى ناسك لا مناص من أن يموت وهو بكامل صحته. لقد صارت هذه الروايات تؤثر بقوة فى الروايات الشعبية.

ولا شك فى أن الأشكال الأقدم غير الهيسپانية، أو الأوربية، تنبع من طقوس عبادة الموتى عند الأسلاف، ودفنهم فى ظروف مثالية شىء أساسى. ومن الواضح أن الجمجمة المتروكة على سطح الأرض، دون أن تُدفن بشكل صحيح، هى منبع الدراما، وتُطورها رغبة الميت فى الانتقام بسبب معاملته بصورة عديمة الرحمة على هذا النحو.

لقد فقد التراث الهيسپانى بعض الملامح التى تساعد فى تفسير معنى الأسطورة. وهى ملامح خاصة بأسطورة الميت: فى بعض الروايات اللاتينية من القرن الرابع عشر والسادس عشر، وهو قاضٍ سكير، يعاقَب على سوء تصرفه فى الحياة، ويكون عقابه أن يجد نفسه فى ذلك المكان الخالى، وبالإضافة إلى أنه يكون فى بعض الروايات أحد أقارب الشخص الذى يسخر منه.

وتثير اهتمامنا أكثر حالة القاضى السكير الذى يعيش حياة مسرفة، ويمكن بالتالى أن يقع فى متاعب، بمعنى أن أكبر نقص فى مجتمع فى طور التكوين، هو تحدى كونه قادرا أم غير قادر على مواصلة الطاعة المتشددة لقواعد مجردة، غير أنه لا غنى عنها: القوانين. ومن هنا يأتى العقاب الفظيع الذى يؤدى إلى المعاناة: عدم الاستمتاع بمدفن هادئ، وهو ضمان انتقاله السعيد إلى العالم الآخر.

ولا شك فى أن حكاية "روح القسيس" هى أحدث الحكايات التى تظهر فى هذه المجموعة. وليس لها أىّ أثر مكتوب بعد القرن الثامن عشر، ولا شك فى أنها تنتمى إلى الرواية المعدلة المحظوظة من إحدى حكايات مجموعة "الميت الشكور" للأسطورة الدينية لقسيس متراخٍ كان عليه أن ينفذ التزامه المعلق، بعد موته. والوجود العابر هنا للحصان الذى تهديه روح القسيس للفتى- ويمثل الحصان فى مثل هذا النوع من الحكايات روح

الميت الشكور نفسه – دليلا واضحا على التأثر بتعديل مشابه لحكاية فى منتهى القدم ذات رسالة مسيحية، مع الاحتفاظ بالكثير من الأشياء فى الطريق.

غير أنه فى بعض تنويعات هذه الحكاية، مثل النموذج الأصلى الذى نقدمه هنا، يتواصل وجود عنصر وثنى آخر، وهو الابن المفروض على الإله من زوجين يئسا من إنجاب أطفال.

والحكايات التى تحاول أن تعطى مثالا ضد القتل الذى لا يزال مثيرا للاهتمام مثل حكاية "رأس العجل"، ليست كثيرة جدا. وتيمة القتل أحدث فى الحكايات، ويبدو أنها فضلت طريق الأساطير، ربما لأن الأساطير سرعان ما تحصل على مكوِّن محلى قوى وبهذه الطريقة تُثير الانفعال الشعبى بصورة أكبر(٣٦). وهى، على أى حال، ليس تتيمة اهتمت بها الحكايات الأكثر قدما اهتماما كبيرا.

كما أن حكاية "آه يا أمى، من تكون هذه!"، وهى الحكاية الأكثر شيوعا باسم "أمعاء الميت"(٣٧)، لا تقتصر على بلادنا. فالأخوان جريم أيضا قاما بجمعها، متشجعيْن بالطبع بحيويتها الواضحة، ولاحتمال كونها مروعة جدا للذوق الحديث. ومع ذلك، فقد فقدت غالبية الروايات فى الوقت الحاضر البداية المتعلقة بأكل لحوم البشر وتم تخفيفها لتكون حكاية رعب متصاعدة تبدأ ببعض الضربات على باب البيت، عندما تكون الأم وأطفالها قد خلدوا إلى النوم. والنهاية عبارة عن دفعة مفاجئة يعطيها الراوى للأطفال الذين يستمعون، وكأن طارق الباب قد وصل إليهم.

---

(٣٦) وهكذا يكون من المؤكد أن الحادث المروع الذى حدث فى إشبيلية (Espinosa, 82)، أو فى غرناطة (Espinosa, hijo, 32)، أو فى مدينة رودريجو (Cortés Vázquez, 79) أو فى مدريد نفسها (Olavarría, BTPE,II, 17-19) وروايتنا مبنية على حكاية إسبينوسا، بصورة أساسية.

(٣٧) هذه الحكاية هى أصل لعبة أطفال، هى لعبة "ماريا دورا"، حيث تلعب إحدى البنات دور الأم، وأخريات هن البنات، وأخرى هى الشخصية الغامضة، التى ظلت تقول، من خارج غرفة مظلمة – وفقًا لقول إسبينوسا الابن – :"آه يا ماريا دورا، سآكل أمعاءك"؛ وتجيب الأخريات وهن مختبئات "آه يا أمى، من تكون هذه!".

وعندما نعرف الحكاية بأكملها، يتضح أن هذه الشخصية هى الأب الميت حديثا وأكلته عائلته فى سياق ممارسة أكل لحوم البشر وتم نقله إلى قبره. لكن هذه رواية مأخوذة من الطقس القديم، الذى كان يفترض أنه بأكل جزء من أمعاء الميت، يتم اكتساب فضائله، وهذا اعتقاد تقوم الحكاية بمحاربته، ربما لكىْ يتم الإقلاع عن ممارسة مشابهة، ولإدخال الاعتقاد الجديد كل ما سيحدث، نتيجةً لهذا، وهو منع راحة الميت، وكان هذا ما زال فى ذلك الحين أحد أهم المخاوف المتعلقة بالعالم الآخر.

(ق) نوادر الأمراء

وتصل السخرية من الدافع العام لإقامة مسابقة لتزويج ابنة الملك، بجوانبه المتعددة، إلى ذروتها فى حكاية "نبات الريحان"، وحكاية "جلد القملة وإطار الشعر"، وحكاية "ممكن"، حيث نلاحظ فى جميع تلك الحكايات سمة غريبة فى الأميرة أو الأمير، أو فى الصورة المبالغ فيها جدا التى تقام بها المسابقة. وفى كل هذا لا يوجد أكثر من تطوير غنى لدافع أساسى فى الحكايات العجائبية.

وحكايتا "الأمير الغراب" و"أحصنة الحلوى" أقل تسلية، خاصة الثانية، وهى رواية غير عجائبية من الحكاية الأساسية "الطائر الذى يتكلم". وهى تُشَكّل فى حد ذاتها دليلا لا يُقدّر بثمن يثبت نظريتنا الخاصة بتحوُّل الكثير من الحكايات العجائبية إلى حكايات العادات عن طريق التبسيط الهزلى وقمع الملامح الأساسية.

و"نبات الريحان" حكاية شعبية بشكل خاص، وبالذات فى النصف الجنوبى من شبه الجزيرة. وكثيرا ما أثرت التغييرات فى حالة الخصم- وهو أحيانا مجرد فارس- أو فى عدد الأخوات، أو فى الأبيات التى تُلْقَى، أو فى بعض العناصر الثانوية الأخرى. ويُلاحظ أن الخطوط العريضة لتسلسلين من الأحداث، إضافة إلى الاختبارات التى تخضع لها الفتاة وعائلتها، إلى جانب الزفاف الملكى- الذى سيتم إحباطه هنا-، تماثل إلى حد كبير مع الخطوط العريضة للحكاية العجائبية. ففى هذا المجال الفريد من الأحاسيس المتعارضة، من التعبير الشعرى ومن البرازيات، والحنان والقسوة، يتحقق للحكاية

بُعْدُها الشعبى الحقيقى، وعظمتها الكبرى، التى نادراً ما نلقاها عند كاتب مثقف، وتفترض قراءة كاملة للتعاليم الجمالية والأخلاقية للمستمع.

والقيمة الجوهرية لحكايتنا، وهى الفعل البرىء لسقى الريحان كنقطة انطلاق لموقف يزداد تعقيدا وتسلية، لا تتلاءم جيدا تقريبا مع أىّ حكاية من الحكايات الأوربية التى تتشابه معها. وذلك باستثناء جزء منها تخضع فيه عائلة الفتاة لثلاثة اختبارات من الواضح أنها عبثية ومن المستحيل تحقيقها، ويجعل حكايتنا أقرب إلى أنواع أخرى عالمية. ومن المثير للدهشة أن هذه هى أكثر مرحلة نادرة الوجود من الحكاية فى إسبانيا. ومن ناحية أخرى، فإن أصلها الشرقى مثير للجدل، ومستبعد تقريبا؛ وهذا، بالإضافة إلى ما سبق، يحوِّل هذه الحكاية إلى إحدى الحكايات الشعبية ذات المذاق الإسبانى الأكثر عمقا.

و"جلد القمل..." حكاية قديمة جدا، تنتمى إلى نوع الألغاز التى لا بد فيها من الإصابة فى التخمين للحصول على يد الأميرة. وتماما مثلما كان يحدث مع الحكاية السابقة، توجد نية هزلية واضحة فيما يتعلق بحكايات عجائبية ذات سلالة مشابهة، مبنية أيضا على البرازيات، والسخرية من الزواج الملكى (الذى يستبدل هنا، بالإضافة إلى هذا، بصفقة اقتصادية خالصة)، مع الاحتفاظ ببعض العناصر العجائبية المحددة- مثل الحيوانات الشكور- أو العناصر التى لا تزيد على كونها استثنائية، وقِيَم الصداقة الهائلة التى يكتسبها الراعى فى طريقه.

ويجعلنا سوء حالة الروايات الشعبية لحكاية "ممكن"، فى مقابل التراث الراقى الموثَّق، نفكر فى تلوث متعدد وحالة مربكة جدا من الاختلاط بين حكايات راقية وغير راقية، بما فى ذلك الأساطير ذات الأصول البالغة الاختلاف. وبعد الكثير من الاستقصاءات نلاحظ وجود حكايتين مختلفتين، لكنهما متحدتان فى بعض الروايات. فهناك من جانب حكاية الطفل الفطن، التى لها أسلاف كلاسيكية؛ ومن جانب آخر حكاية الأميرة التى تستطيع فقط أن تقول "ممكن"، وهى ليست إلا إحدى التنويعات الكثيرة لعيب عند ابنة الملك يجعل من الصعب زواجها.

وكملحق أو امتداد متأخر من مجموعة "الفتاة المطاردة"، تأتى حكايتها الأخيرة "ماريا فى مأمورية"، ونجد فيها جزءًا من الحكايات محورها المركزى هو الدفاع عن العذرية، المنتهكة من قبل لصوص يعيشون، بشكل طبيعى، فى بيت الغابة المعروف جدا. وما يدهش ويحفز فى حكاية "الزهرة الخضراء" الجرأة، وشىء من الشجاعة، التى تواجه بهما البطلة تلك الانتهاكات، وكيف ينتهى الأمر فى الحكايات من نوع "الزهرة الخضراء" (وهى ماريكيًا ولكنْ غير عجائبية، وتنتهى بنفس نهاية دمية العسل) بزواجها من خادعها المُعاقَب.

(٣) حكايات الحيوانات

(ر) سباقات الذئب والثعلبة

أفسحت السباقات العديدة بين الذئب والثعلبة– والتى يخسر فيه الأول دائما– مجالا للكثير من التجميعات المبدعة من جانب الرواة. وسنقوم فى المقام الأول بإعادة بناء اثنتين من هذه التجميعات: حكاية "الذئب يُسلخ حيا" وحكاية "الذئب والثعلبة والسردين".

ونقاط الصلة بين هاتين الحكايتين واضحة جدا، وقد نشأت روايات يتم فيها ببساطة ربط حكاية بأخرى: حكاية الذئب الذى يُسلخ حيا، وحكاية الذئب الذى يفقد ذيله[٣٨]، آخذة فى اعتبارها كعنصر مشترك الحيلة الذكية للثعلبة، التى تتظاهر بالموت أمام بعض سائقى العربات الكارو، والخبازين، وبائعى السردين... إلخ.

---

(٣٨) فى الرواية الروسية، المشابهة لبعض الروايات التى يمكن أن نجدها فى منطقة أستورياس، يتم فقدان الذيل نتيجة للتجمد فى مياه النهر عندما يريد الذئب أن يُخلّص نفسه عند حضور أهل القرية، الذين ستقوم الثعلبة بتحذيرهم منه، ليقوموا بقتله. وهو مثال واضح على تعديل الحكاية وفقا للظروف المحلية.

وتنتمى الحكايتان إلى التراث الإيسوپى اللاتينى ولا توجد منهما روايات أدبية هيسپانية. وهما منتشرتان جدا فى المناطق المعتادة من أوريا والهند.

و"الذئب والثعلبة سيأكلان الدجاجات" حكاية رائعة غير شائعة فى تراثنا الشعبى. وقد حالف الحظ إسپينوسا فى جمع رواية غير عادية من إشبيلية، هى الحكاية رقم ٢٠٥ فى مجموعته. أما الروايات المعروفة الأكثر قدما فهى لاتينية من العصور الوسطى.

وتستحق الذكر، من الحكايات التالية فى هذه المجموعة، حكاية "الذئب والثعلبة ووعاء العسل" التى لها رواية فى حكايات "كليلة ودمنة" وفى الپانتشاتانترا، على سبيل المثال، ولكنْ يبدو أنها أقرب إلى التراث الشعبى. ويعطى فهرس آرنى تومپسون مرجعين عالميين فقط. وحكاية "الذئب يظن أن القمر جبن"، حالة معاكسة: فهى شائعة بشكل ملحوظ فى تراث الخرافات التى تُرْوَى على ألسنة الحيوانات. ويمكن للقارئ يقارن بنفسه الاختلافات مع نموذجنا الأصلى، حيث تسود، كما هو ضرورى، دوافع الجوع والانتقاء الطبيعى، إضافة إلى ملامح أكثر ديناميكية وشعبية على نحو مميز ومضحكة أكثر من تلك التى فى خرافات المواعظ التى لا طعم لها والمعروفة عند الجميع.

و"إن السماء تتساقط!" حكاية نادرة إلى حد كبير، استطعنا إعادة تكوينها من روايات متنوعة، وكلها تقريبا من إكستريمادورا. والحكاية التالية، هى"الذئب، والثعلبة، والبقرة"، ولها أصل محدد من شمال شبه الجزيرة، وهذا بلا شك نتيجة إلى أن وسيلة نقلها تحتفظ بأصالة كبيرة لهذه النادرة، من خلال رعى الأبقار فى المراعى.

وتوجد روايات شعبية إسبانية قليلة من حكاية "الأسد مريضا". وأغلبها روايات أدبية (كتاب الحب الجميل Libro de Buen Amor، سيباستيان دى مى Sebastián de mey، تيمونيدا Timoneda، سامانييجو Samaniego)، وتنتمى إلى أنواع أخرى، مثل كتابات خوان رويث Juan Ruíz الشهير باسم Arcipreste de Hita (مقطع ٩٠٣-٨٩٢)، وهى الحكاية الشرقية التى تنصح فيها الثعلبة الأسد بأكل قلب وأذنى الحمار ليشفى. وكانت هذه الحكاية منتشرة جدا فى أوريا، لكنها لم تصل إلى التراث الهيسپانى الشعبى الحقيقى.

(ش) مغامرات ومصائب الثعلبة

سنتناول أول حكايتين مع غراب العقعق وطائر اللقلق.

وهناك المزيد من الحكايات الأخرى يكون القاسم المشترك فيها هو العلاقة بين الثعلبة وطيور مختلفة: طائر اللقلق، غراب العقعق ("pega" فى بعض المناطق)، والكروان، والرخ، والديك، وطيور أخرى. وفيها كلها، يسخر الطائر من الثعلبة فى موضوع ما. وقد دفع هذان القاسمان المشتركان إلى العديد من الالتباسات بين حكايات وأخرى. وتحملنا دراسة هذه الروايات إلى استنتاج وجود حكايتين أساسيتين، وهناك وفرة حقيقية من تسلسلات الأحداث يمكن دمجها مع حكاية أو أخرى، أو تركها وحدها. وهما: غراب العقعق وابن عمه الكروان، الذى يعلِّم ابن عمه كيف لا يخاف من الثعلبة، وهو مشحون برغبة الانتقام منها؛ والثانى هو، حفلات الزفاف فى السماء، ويُفترض أن طائر اللقلق يقوم بتوصيل الثعلبة، الراكبة فوق جناحيه، كذروة لمغامرات سابقة، وصلت فيها العلاقات بين الثعلبة وطائر اللقلق إلى التعادُل.

كل هذه الاستنتاجات ذات صفة بنيوية، وتلتزم بالمقدمات التالية:

١- تفوز الثعلبة دائما فى نزاعاتها مع حيوانات تفوقها أو أكثر شراسة منها، وتخسر دائما مع الحيوانات الأقل منها، ومن بين هذه تكثر الطيور.

٢- من بين الطيور المرتبطة بالثعلبة، يوجد نوعان: طيور عالية الطيران (طائر اللقلق، بوجه عام)، ومنخفضة الطيران (غراب العقعق، والكروان). واستبعدت الحاجة إلى التمييز بين هذين النوعين بوضوح بعض الروايات النادرة جدا اليوم، حيث تظهر الحمامة بدلاً من غراب العقعق؛ لكون الحمامة طائرا متوسط الارتفاع فى الطيران إلى حد ما.

٣- إن حكاية طائر اللقلق، مع ذلك، لابد أن تكون بالضرورة هى حكاية حفلات زفاف السماء، فهذا الطائر هو الوحيد القوى بشكل كافٍ ويطير بارتفاع كافٍ ليجعل الثعلبة تصدق أنه سينقلها على جناحيه.

وقد منح إسپينوسا أهمية كبيرة لهذه الحكاية، التى ظهرت روايتها الأولى القشتالية الواردة فى "كليلة ودمنة"، وقد تتبّعها بنفسه عبر أماكن متنوعة تتحدث الهيسپانية، فى دراساته المقارنة.

و"القط والثعلبة" حكاية شعبية جدا فى كل إسپانيا، ولا تظهر فى مجموعات أدبية. ولا توجد أيضا روايات راقية من حكاية "الأسد، وصرّار الليل، والثعلب".

وسنودع المجموعة بحكاية "الثعلبة المسكينة"، وهى حكاية ليست منتشرة جدا، ربما لأنها تعكس تعاطفا مع ذلك الحيوان، على عكس سلسلة الحكايات التى تخسر فيها دائما، ولأنه يوجد تدخُّل بشرى فى هذه المرة، فإن الثعلبة ستسخر منه كثمن لفساده.

وسنتناول هنا بشكل مستقل ثلاث حكايات من هذه المجموعة، موحدة فى موضوعها عن طريق سباق أو زراعة مشتركة: حكاية "الضفدع والثعلبة، من يجرى أكثر"، وحكاية "الثعلبة والضفدع يزرعان سويا"، وحكاية "الثعلبة وطائر السلوى يزرعان سويا".

والحكايات التى تشتمل على سباقات بين الحيوانات كثيرة فى التراث الشعبى الهيسپانى، الذى كان يتوافق مع التراث الإيسوپى فى العصور الوسطى، وبعد ذلك مع (كتاب القطط Libro de los gatos، لسيباستيان دى مى). والحيوانات التى تتنافس أقل تنوعا من تلك التى فى التراث الراقى، وفعل التنافس نفسه ليس غير مبرر أيضا كما فى المجموعات الأدبية. ومن المثير للدهشة، على سبيل المثال، أنه لا يظهر بين الحكايات الشعبية لهذه المجموعة الحكاية العالمية للأرنبة والسلحفاة. ومن المثير للدهشة أيضا أنه من الأنواع الثلاثة التى حددها دانهاردت Dähnhardt (حكاية "الأرنبة والسلحفاة"، وحكاية "قنفذ وقنفذة البحر" وحكاية "سرطان البحر والثعلبة")، لن نجد سوى روايات متنوعة من النوع الثالث، حيث يمكن فيها استرجاع الدافع الحقيقى للثعلبة للتسابق مع الضفدع: ترهقه حتى تتمكن من أكله. أما النوع الأول فقد ذكرنا من قبل أنه لم يظهر لنا فى أى مكان، أما الثانى، فلا نعرف منه سوى رواية إسپينوسا، الحكاية رقم ٢٢٧. (هذه الحكاية مشهورة فى رواية أعيدت صياغتها بشكل كبير للأخوين جريم، حيث يتلخص الرهان فى عملة ذهبية وزجاجة من الخمر؛ وفى الرواية الإسبانية، وهذا مشكوك فيه، خمسة دوروهات وزجاجة من الخمر).

ومن جديد نلتقى مع التراثين المنفصلين بوضوح. وفيما يتعلقبرواية التراث الشعبى فإنه يجب التدقيق فيامتلاكها لحبكة أكثر تكاملا، حيث لا يكون السباق مجانيا ولا مجرد سباق رياضى، بل يكمل حكاية أخرى أكبر، دافعها الأساسى هو الجوع. ولهذا فإن الاستنتاج الأخلاقى، وهو سمة مرتبطة جدا بالخرافات المروية على ألسنة الحيوانات، ليس سهلا.

(ت) مغامرات ومصائب الذئب

وإحدى أهم حكايات هذه المجموعة هى "يوم طعام جميل للذئب". وتوجد هذه الحكاية، بتراث أيسوپى واضح، فى العديد من المجموعات الأوروپية، وكلها ذات طابع راقٍ، كما يتوافق مع حكاية ذات انتشار أدبى ملحوظ. وتوجد لها سوابق فقط فى شكل عناصر منفردة، فى "الپانتشاتانترا" وفى "كليلة ودمنة" (هكذا، التقاط الشوكة المغروزة فى قدم الفرسة) والرواية الأوروپية الأقدم هى قطعا فى "كتاب الحب الجميل" (٧٧٩-٧٦٦) - ورغم أنها غير كاملة - وربما كانت رواية Arcipreste de Hita هى النمط الأدبى الرومانسى الأقدم. أما النمط الشعبى فقد أمكن أن يُسْتَمَدَّ من مصادر أخرى وأن يأخذ اتجاهات أخرى، تحتفظ كلها بغازات البطن crepitus ventris (باللاتينية)، أىْ، الضرطة، كعلامة للحظ الجيد فى بداية اليوم، وليس العطسة، كما يقول Arcipreste de Hita، وبعد ذلك أبقاها فى روايته المعدلة، أوريليو دى يانو، وهو الجامع الأكثر قدرة أدبية بين جامعى الحكايات الشعبية فى هذا القرن.

ولا يمكن أن يكون من باب المصادفة ألا تظهر الحكاية الشعبية جدا "العنزات الثلاث والذئب" فى مجموعات أدبية إسپانية. رغم وجود سوابق أيسوپية، كانت وسيلة نشرها الأساسية هى النقل الشفاهى الشعبى فى أوروپا كلها. ومن هنا قرر الأخوان جريم نشرها. غير أن، الجامعين الإسپان من العصور الوسطى واللاحقين، لم يشعروا بالانجذاب إليها، ربما لأنهم كانوا واثقين من أنها لن تختفى أبدا من التراث الشعبى، استنادا إلى كثافتها هنا، أو ببساطة لأنها لم تكن تنتمى إلى بيئتهم. والواقع أنهم لم يكونوا مخطئين، فقد وصلت الحكاية إلى أيامنا محفوظةً فى حالة جيدا جدا،

دون مساعدات، رغم أنه كان يجب إعطاء بعض الدعم من الروايات الحديثة المترجمة. (على سبيل المثال، رقم السبع عنزات صاحبه هو جريم). وكان المؤلف المثقف الوحيد الذى عدل فيها، كما فى الكثير غيرها، فرنان كابابيرو، وهو من أنتج نسخة منقولة من حكاية "الآكل الشره" والذى أسماه كارلانكو carlanco.

ومع حكاية "الحمار، والأسد، والذئب" نجد أنفسنا أمام حكاية أخرى من التراث الشفاهى الخالص، وله سابقة أدبية أوربية واحدة (ستراپارولا، القرن السادس عشر). وكان الفرع الإيسوپى هو تنكُّر الحمار فى جلد الأسد، وهو لا يظهر أبدا فى التراث الشفاهى.

(ث) الحيوانات والإنسان

سنعلق الآن على مجموعة الحكايات التى يوجد فيها تدخُّل للإنسان، ليس عن طريق المصادفة، بل بشكل متعمد، وبالتساوى مع الحيوانات وفى منافسة معها أيضا. ولنتذكر أن هذا العامل الأخير سيسمح لنا بفصل هذه الحكايات عن الحكايات التى يكون تدخُّل الإنسان فيها عن طريق المصادفة.

. وحكايات "الحيوانات غير النافعة" هى إحدى الحكايات الأكثر توسعا فى المنطقة المعتادة لهذا السرد. وقد جمع الفنلندى أنتى آرنى Antti Aarne وأوريليو إسپينوسا فيما بينهما ٤٤٤ رواية مدروسة. ووفقا للأول، يقدِّم النموذج الأصلى الشرقى بيضة، وعقربا، وإبرة، وروثا، وكتلة من الطين، كشخصيات. والإنسان المقابل امرأة عجوز، تغيب عن البيت، وعندما تعود، تستسلم لمجموعة الحيوانات المتطفلة.

ولم تظهر فى إسپانيا، إلا روايات الحكاية التى ننشر نموذجها الأصلى هنا، وهى التى يعرفها الجميع تقريبا. ومن هذه التنويعة يوجد نوعان أساسيان، ويتم التمييز بينهما وفقًا لما إذا كان البيت الذى تصل إليه الحيوانات يملكه بعض اللصوص أم وُجِد مهجورا.

وقد تم إنتاج حكاية "العم آرانيا" عن طريق إعادة بناء معقدة جدا، على أساس أجزاء من حكايات أندلسية ومن إكستريمادورا. وكما سنؤكد فيما بعد، فهى تحتوى على ملاحظات عن النهج الطبيعى للحيوانات وعلاقات السلطة بينها. والاسم الذى اخترناه هو الاسم الذى أُطلق عليها فى ريف إشبيلية.

و"الراعى، والحية، والثعلبة" حكاية منتشرة جدا فى كل أنحاء العالم (توجد ٣١٠ رواية تمت دراستها). وتظهر بشكل أكثر وفرة فى القنوات الأدبية (التى تذهب من la disciplina clericalis إلى Blasco Ibáñez)، ولكنها سرعان ما ظهرت فى مجموعات فلكلورية، مثل مجلة ماتشادو وألباريث، "الفلكلور الأندلسى" El Folklore Andaluz. وفى القرن العشرين، جمع أوريليو دى يانو رواية رائعة من أستورياس.

كما أن "كائن يسمى الرجل" حكاية منتشرة جدا وبطريقة موحدة. وهى موجودة فى البانتشاتانترا، وفى أيسوب، وفى الأخوين جريم... إلخ.

وحكاية "الآكل الشره" الظريفة والغامضة، التى اختفت عملياً، لم تترك أكثر من اسم هذه الشخصية الخرافية (التى لا نعرف عن هيئتها أىَّ شىء) كمرادف شعبى للمسرف فى الطعام. وعُرِفت روايات قشتالية ومن ليون، وبعضها من أراجون، باسم "العنزة الجبلية". فى مناسبة نادرة، تم تخفيف الحيوان الخرافى إلى ذئب، الأمر الذى يجردُها من هذا السحر الخاص للملتهم الغامض، القادر على إثارة مزيج من الخوف والضحك عند الأطفال، موسِّعا خيالهم للغاية.

كما أن "المزارع والدب" حكاية شبه مفقودة بالنسبة للتراث الشفاهى، بينما تكثر الروايات الأدبية (Libro de ejemplos, Disciplina Clericalis) والرواية الروسية لأفاناسييف مشابهة لروايتنا بصورة مدهشة.

(خ) تراكمية وساخرة

نضع هنا الحكايات التى يكون العنصر المشترك بينها بنية إيقاعية ملحوظة جدا، فى خدمة هدف تعليمى ثابت، مبنىّ على التقدم التدريجى للعناصر التى يجب الاحتفاظ بها فى الذاكرة وعلى الصعوبة اللغوية التى يحملها هو نفسه، كممارسة للنطق. ويتم عادة جمع هذا بمحتوى عشوائى جدا، على الأقل فى المظهر، حيث تبدو الحيوانات، والأشخاص، وأشياء أخرى، تتنافس فى سبيل العبث الأكبر.

وسنبدأ المجموعة بحكايتين لفرنان كابايرو. والحكاية الثانية، "بينيبيرى"، إعداد مفتعل بعض الشيء لتنويعة مفقودة من حكاية "الحيوانات غير النافعة". أما الحكاية الأولى، "النملة الصغيرة"، فإنها تستحق أن نتوقف عندها مرة أخرى. وسيُدهِش الكثيرين أنها تحكى عن نملة وليس عن "فأر صغير"، كما تريد الروايات التجارية لسنوات لاحقة. وقد تعقبنا أصل هذا التغيُّر ووصلنا إلى الاستنتاج الآتى: فى روايات القرن الماضى، ولا يزال فى بعض روايات هذا القرن، يكون زوج شخصيتنا هو "الفأر پيريث"، الذى، على عكس ما يمكنه أن يبدو، ليس فأرا ولا اسمه پيريث كلقب، وإنما تتحدث عن حشرة غير مؤذية وخائفة تسمى هكذا فى الأندلس الغربية(٣٩). ولا بد أن هذا "الفأر" الزائف، ومع مرور الزمن، جعل أحد ناظمى الألحان الموسيقية الحكاية تتحدث عن أحد القوارض الحقيقية، ومن دون التفكير مرتين، حوَّل النملة الصغيرة إلى فأرة صغيرة، من أجل توافق أنواع أكبر للتزاوج. وقد ساهمت بالتأكيد شطحة خيال مشابهة فى فقدان تسلسل الأحداث الثانى، حيث تلتهم النملة زوجها الصغير، الذى، سيطل من أعلى بلا حذر ويسقط داخل وعاء الطبخ. وبهذه الطريقة، تشوَّه الحكاية ويتم اختصارها إلى مجرد وظيفة مغازلة "الفأرة"، وهذه هى بداية الحكاية فقط.

وكان يُعتقد أن حكاية "جاءت قطة وقتلت "الوقت" نادرة جدا فى إسبانيا باستثناء أستورياس. وقد تلقينا حديثا معلومات عنها فى كاديث.

و"الديك والماء المتجمد" مثال لحكاية بعيدة بوضوح عن التنويعة الراقية الناشئة من البانتشاتانترا، وتتضمن تحوُّل الحيوانات فى سبيل هدف دينى غامض، وهى بالطبع غير موجودة فى التنويعة الشعبية.

وقد تركنا للنهاية التعليق على "النصف ديك". وتنتمى هذه الحكاية المهمة جدا إلى مجموعة "الكرش الكبير"، المعروفة منذ زمن طويل فى بلاد الباسك، وقام بدراستها خوليو كارو باروخا Julio Caro Baroja(٤٠)، الذى لا يبدو رغم ذلك أنه يربط هذه

(٣٩) تتعلق بهدبيات الذُّنَب، من رتبة "ledismoidea". وتُعْرَف خارج الأندلس أيضا باسم "السمكة الفضية".

(٤٠) "Notas de folklore vasco" RDTP, 1947, II, págs. 372-379. وتظهر رواية من أسطورة الباسك "ذو الكرش الكبير" "Barriga-grande" فى رواية پيو باروخا El mayorazgo Pío Baroja: de Labraz.

الخرافة القديمة بحكايتنا. والحكايتان متطابقتان عمليا، فيما عدا التحول الشكلى من نصف ديك إلى عملاق يلتهم كل شىء. ويُثْبِت هذا أن حجم الشخصية هو الأقل أهمية، وبطريقة أخرى: يتساوى الكبير جدا مع الصغير جدا. فكلاهما يبتلع حيوانات وأشياء ستخدمه لاحقًا.

والمهم فى هذه العلاقة بين الخرافة والحكاية أن كلا منهما يطوِّر وظيفيا نفس الرمز: يضع كائن فظيع كل النظام الاجتماعى، المبنى على الملكية الخاصة، فى أزمة. و"ذو الكرش الكبير" قريب مُقرَّب، وأخ تقريبا، لشخصيتنا فى حكاية "خوان ونصف"، كما أنهما مولودان فى عائلة يئست من إنجاب أطفال ليورثوهم ممتلكاتهم. وعندما يصل وريث فى نهاية الأمر، يكون قادرا على التهام مزرعتهم ومزارع الآخرين بالكامل فى وقت قصير. وعلى النقيض الآخر للضرورة، ينشأ النصف ديك عن طريق نقاش بين امرأتين كان عليهما أن تتشاركا بالتناصف فى المنتج الوحيد لعملية ولادة. والأمر غير المُتَّسِق فى "ذو الكرش الكبير" هنا هو غرابة أن يكون النصف ديك قادرا على البقاء وعلى ابتلاع كل ما يوضع أمامه. وانطلاقا من هذه النقطة، تكون الخرافة والحكاية متطابقتين تقريبًا. باستثناء أن الثانية تشتمل على مظاهر تجعلها أغنى بكثير فى دلالات مستمدة من تيمات أساسية أخرى من الحكى الشعبى وباستثناء أنه يوجد هنا صدى أو ملخَّص. وهكذا، فإنه إلى جانب صراع المِلْكِية المثير للسخرية، تظهر تيمة ثراء (كيس النقود) الذى سرقه من بطلنا النادر أمير (كان على وشك الزواج) من خلال خدعة. ولدينا مرة أخرى منظور، مثلما فى حكايات العادات، لرؤية سلبية إلى طبقة النبلاء. والنهاية كلها تغيُّرٌ فى الملكية، بحيلة – وإن كان تحت المظهر العجائبى للفيضان– تماما مثلما فى "يدرو المشاغب". وأخيرا، من الجدير بالذكر أنهم يفترضون فى "النصف ديك" دور كل الحيوانات الأكثر كلاسيكية للفئة الثالثة من الحكايات، مثل حكايات الذئب والثعلبة. ومن المدهش هنا أنه لا توجد مسابقة بينهما، وإنما يتعاونان معًا من أجل سبب مشترك، وهو الانتصار النهائى على المخدوع المتواضع.

وعلى هذا، فإن حكاية "النصف ديك" أشبه بمُلخَّص لكل الحكايات الشعبية؛ الغريبة والجميلة على حد سواء.

وبعد اختبار العديد من الروايات، اتضح لنا أنه فى زمن ما كان من الممكن وجود نوعين أساسيين: نوع ينشأ من العثور على نقود، وهى مقترضة من طحان أو بائع يمر من هناك؛ ونوع تكون نقطة انطلاقه عدم العثور على نقود، وإنما العثور على ورقة أو كارت يقول إن الملك سيمنح حاملها الكثير من المال. ومن السهل جدا المزج بين كلتا البدايتين، وبالفعل فإن الحكايات التى يعثر فيها النصف ديك على النقود ويقرضها لابن الملك، مثل نموذجنا الأصلى، أكثر تواترا.

وكانت شعبية هذه الحكايات قوية جدا فى إسبانيا وفرنسا. ومن هنا استطاع إقليم الباسك أن يلعب دوراً مهماً فى الوساطة بين الخرافة والحكاية لنفس المادة.

أنطونيو رودريجيث ألمودوبار

المراجـــع

AARNE y THOMPSON, *Los tipos del cuento folklórico* (traducción al español de Fernando Peñalosa), Academia Scientiarum Fennica, Helsinki, 1995.

CORTÉS VÁZQUEZ, L., *Cuentos populares salmantinos*, Salamanca, Librería Cervantes, 1979.

ESPINOSA, A. M., *Cuentos populares españoles*, 3 vols., Madrid, CSIC, 1946-47.

ESPINOSA, A. M. (hijo), *Cuentos populares de Castilla y León*, Madrid, CSIC, 1987-88.

FERNÁN CABALLERO, *Cuentos de encantamiento y otros cuentos populares españoles* (ed. de Carmen Bravo), Magisterio Español, Madrid, 1978.

LLANO ROZA DE AMPUDIA, Aurelio de, *Cuentos Asturianos*, Delegación Provincial de Cultura, Oviedo, 1975. (Reedición).

PROPP, V., *Morfología del cuento*, Fundamentos, Madrid, 1971.

—*Las raíces históricas del cuento*, Madrid, 1974.

—*Edipo a la luz del folclore*, Fundamentos, Madrid, 1980.

RASMUSSEN, Poul, *Sociolingüística andaluza, 9. (Cuentos populares andaluces)*, Univ. de Sevilla, 1994.

RODRÍGUEZ ALMODÓVAR, A., *Cuentos al amor de la lumbre* (2 vols.), Anaya, Madrid, 1983-84.

—*Los cuentos populares o la tentativa de un texto infinito*, Universidad de Murcia, 1990.

SIMONSEN, Michèle, *Le conte populaire*, PUF, París, 1984.

SORIANO, Marc, *Los cuentos de Perrault. (Erudición y tradiciones populares)*, Siglo XXI, Ed. B.A., 1975.

المؤلف فى سطور :

أنطونيو رودريجيث ألمودوبار

ولد فى (1941) وهو كاتب وبروفيسور إسبانى من إشبيلية. درس الفولكلور الأندلسى وجمع الحكايات التراثية التى تنتشر شفاهيا فى جنوب إسبانيا، وحصل على "الجائزة القومية لأدب الأطفال والشباب" Premio Nacional de literatura infantil y juvenil، لعام ٢٠٠٥. من إنتاجه: Cuentos de la media-lunita (حكايات الهلال الصغير).

المترجمة في سطور:

عزة كلفت

- مترجمة مصرية حرة.

- من مواليد القاهرة، ١٩٨٩.

- تخرجت في قسم اللغة الإسبانية، كلية الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٠.

- تدرس في قسم التصوير السينمائي، المعهد العالي للسينما، القاهرة.

- تُترجم عن اللغتين الإسبانية والإنجليزية.

- صدر كتابها الأول "الأميرة التي لا تبكي وحكايات أخرى" عن المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، [وهو مترجم عن الإنجليزية].

التصحيح اللغوى: وجيه فاروق
الإشـراف الفنـى: حسن كـامل